النَّجْمُ الثَّاقِبُ

في

أشرفِ المناقِبِ

يتضمن خلاصة ما ورد في كتب السيرة
من شمائل ومناقب ومعجزات النبي ﷺ

تأليف

الشيخ العلامة أديب حلب
بدر الدين الحسن بن حبيب الشافعي
المتوفى ٧٧٩ هـ
تغمده الله برحمته وأسكنه الفردوس من جنته

حقق نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه
بلعمري محمد فيصل الجزائري



النَّجْمُ الثَّاقِبُ

في

أَشْرَفِ المَنَاقِبِ

(يتضمن خلاصة ما ورد في كتب السيرة
من شمائل ومناقب ومعجزات النبيّ ﷺ)

تأليف

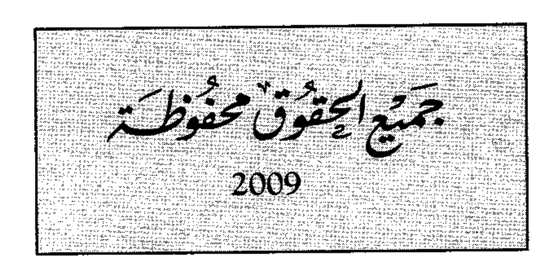
الشيخ العلامة أديب حلب
بدر الدين الحسن بن حبيب الشافعي
المتوفى ٧٧٩ هـ
تغمده الله برحمته وأسكنه الفردوس من جنته

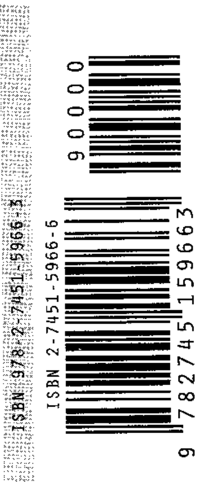
حققه نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه
بلعمري محمد فيصل الجزائري



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title	: THE PROPHET'S CHARACTERISTCS (A Summary of what was mentioned in his biography books about his character and miracles)	النجم الثاقب في أشرف المناقب	الكتاب :
Classification:	Prophetic biography	: سيرة نبوية	التصنيف
Author	: Badruddīn Al-Ḥasan ben Ḥabīb	: الشيخ بدر الدين الحسن بن حبيب	المؤلف
Editor	: Balcamri Muḥammad Fayṣal	: بلعمري محمد فيصل الجزائري	المحقق
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	: دار الكتب العلميـــة – بيروت	الناشر
Pages	: 160	: 160	عدد الصفحات
Size	: 17*24	: 17*24	قياس الصفحات
Year	: 2010	: 2010	سنة الطباعة
Printed in	: Lebanon	: لبنـــان	بلد الطباعة
Edition	: 1st	: الأولى	الطبعة





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرُور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠ - ٧١].

أمَّا بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعدُ؛ فلئن كان النبي ﷺ قد تمَنَّى من أعماق قلبه لو رأى إخوانَه، الذين آمنوا به ولم يَرَوه[1]؛ فإنَّ الرّاجيَ أن يُنتظَم في سلك أولئك الإخوان، لا بد له من الاطلاع

(١) كما في «صحيح مسلم» (٢٤٩)، وغيره من حديث أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون! وَدِدت أنَّا قد رأينا إخواننا! قالوا: أو لسنا إخوانك، يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك، يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلا له خيلٌ غُرٌّ مُحجَّلةٌ بين ظهري خيل دُهم بُهم، ألا يعرف خيله؟! قالوا: بلى، يا رسول الله!
=

على أحوال ذلك الرسول الكريم، وتَلقِينها أبناءه وتحفيظِهم إيَّاها، كما يُحَفِّظُهم السُّورة من القرآن، حتى يَشِبُّوا على حُبِّه ﷺ ويَستَنُّوا بسُنَّته، ويقتفوا أثره، ولا يتخذوا لهم أسوةً سواه؛ كيف لا - وهو الوحيد الذي وُلد على ضوء الشَّمس - ، كما قال أحد النقاد الغربيين، فلا تخفى علينا من حياته خافية، ولا شابت سيرته شائبة. ولم يزل الناس يرون ويسمعون من انتقام الله ممَّن يسُبُّ نبيَّه ويذمُّ دينه بأنواع من العقوبات العجيبة التي تبين كلاءة الله لعِرضِه، وقيامَه بنصره وتعظيمه لقدره، ورفعه لذكره؛ فمزَّق الله مُلك الفرس كل مُمزَّقٍ لما مَزَّق كسرى كتابه، وأبقى لهرقل والمُقَوقِس ملكهم لما أكرما خطابه، وكانت عساكر المسلمين بالشَّام إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب وتعسَّر عليهم فتحه وطال بهم الأمر، استبشروا بسَبِّ العدو الرسولَ ﷺ، وعَلِموا قُرب النصر؛ لأن الله تعهَّد بالانتقام ممن نال نبيه بسُوء أو أذى ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥][٢].

ولم تزل السيرة النبوية تَستَدِرُّ مِداد الأقلام وتحشُد السُّطور، على مَرِّ السنين وكَرِّ الدُّهور؛ سَارِدةً تارةً الأحداث المتسلسلة المتصِّلة بحياة النبي ﷺ منذ ولادته بل وقبلها وحتى وفاته، ومَعنِيَّةً تارةً أخرى بأوصافه ﷺ الخَلقِيَّة والخُلُقيَّة، راصِدةً إيَّاها في قائمة الشمائل المحمدية، ومُستقصِيةً طَورًا الدَّلائل الشاهدة على صدق دعوى النبوة، والمؤكدة على صحَّة الرِّسالة، أو مُتناوِلةً الحقوق المصطفوية على الأمَّة، أو ما اختُصَّ به ﷺ دون سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين، صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

ولمَّا كان الوقوف على ما تفرَّق في هاتيكَ الدَّواوين السِّيَرِيَّة مُتعسِّرًا، إن لم يكن مُتعذِّرًا، على غالب المسلمين، فضلاً عن غيرهم ممَّن قد تُكتب له الهداية إذا كاتب في الاطِّلاع على الإسلام ونبي الإسلام، ولم يَقنع بما يُروِّجه الشَّانئون له ﷺ

=

قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض؛ ألا ليُذادَنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هَلُم! فيُقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك! فأقول: سُحقًا! سُحقًا!».

(٢) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/٢٩٥ - ٢٩٦).

في وسائل الإعلام؛ فلا جَرَم أنَّ وجود كتابٍ مُختصرٍ جامعٍ لمُجمل ما حَوَت المُطوَّلات، يغدو أمرًا مُلِحًّا، ومَطلَبًا لا مَناص من تَلبيَتِه، وقد تجشَّم أحدُ أبناء حلب البررة وأدبائها المُبرِّزين: الحسن بن حبيب بدر الدين الشافعي، ذلك العناء، وقام - بيَّض الله وجهه - بإسداء تلك الخدمة الجليلة للأمة؛ فضمَّن فصولَ «النجم الثاقب» الثلاثين خُلاصةَ ما جمعت كتب السِّيرة، وجاد إبريجُه بزُبدة من القول، تَتَشنَّفُ بها الأسماع، وتطمئِنُّ إليها الأفئدة؛ وهو مع اختصاره، قد أحاط بالمادة السِّيَريَّة إحاطةً يَعزُّ الوقوف على مثلها في المصنَّفات، واختطَّ فيه صاحبُه لنفسه طريقةً في العرض تَشي بتمكُّنٍ من ناصية اللُّغة وأفانين البلاغة، امتزج فيها النظم بالنثر، ووُظِّفت السَّجعة، بآليَّةٍ غايةً في السَّلاسة والرَّوعة.

ونحن إذ نتقدَّم بتحقيقنا لهذا الكتاب إلى قرائنا الأعزاء، فإنَّ جهدنا يأتي تثمينًا واستِكمَالاً لجُهد ناسِخَين فاضِلَين من قبلنا، تقاربا سُكنًى، وتباعدا زمَنًا، إلا أنَّ القرون الثلاثة التي فصلت بينهما، لم تحجبهما عن وَهَج «النجم الثاقب»؛ فعُني كلاهما به أيَّما عناية، مُوشِّحَينِ إيَّاه بتعليقاتٍ فَكَّت مُبهَماتِ مُفرداتِه، وقرَّبت معاني عبارته، عامِدَين إلى تنويع الحِبر واستعمال الألوان، مع ما في ذلك من المشقَّة، خُصوصًا في تلك الأيام.

شَكر الله سبحانه وتعالى سعيَ مُؤلفه، وقابله برحمته وكرمه، ونسأله جَلَّ شأنه أن يَأجُر قارئه وناشره، ويُوفِّقنا إلى أن نكون ممَّن يقتفي أثر صفوته من خلقه ﷺ في كل ما يأتيه ويَذَره، ويجعلنا ممَّن يثبِّته بالقول الثابت إذا حان مَصرَعُه، ويكون له في عَرَصَات القيامة نورٌ يسعى بين يديه ويتبعُه. وصلى الله وسلَّم وبارك على نبي الهدى، وعلى آله وصحبه مصابيح الدُّجى، وعلى من سلك سبيلهم واقتفى، وسلَّم تسليما كثيرًا.

وكتبه:

بلعمري محمد فيصل الجزائري

في العشرين من صفر سنة تسع وعشرين وأربعمائة وألف

BELAMRI@GAWAB.COM

ترجمة المصنف

* هو: الشَّيخ العلاَّمة الفقيه المُحدِّث المؤرِّخ المُتفنِّن أديب حلب، بدر الدين أبو محمَّد وأبو طاهر الحسن بن زين الدين عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر، الدِّمشقيُّ الأصل، الحلبيُّ الشَّافعي.

* ولد بحلب في شعبان سنة عشر وسبعمائة.

* كان أبوه مُحتسِباً(٣)، وله عملٌ كثيرٌ في الحديث؛ لذلك اهتمَّ بتسميعه منذ نعُومة أظفاره، فأُحضر في الشَّهر العاشر من عمره على إبراهيم وإسماعيل وعبد الرحمن وعبد الرحيم أولاد صالح ابن العجمي «عشرة الحَدَّاد» بسماعهم على يوسف بن خليل.

وحضر في الرَّابعة على بيبَرس العديمي «كتاب المصافحة» للبَرقاني و«جزء هلال الحفَّار» و«جزء البانِياسي»، وغير ذلك. وعلى أبي بكر بن العجمي «جزء محمد بن الفرج الأزرق»، وعلى تاج الدين أبي المكارم بن النَّصيبي «عوالي سعيد بن منصور».

* ولمَّا استوى عُودُه رحل إلى مصر؛ فسمع بالقاهرة والأسكندرية من: إبراهيم بن صالح، ومن والده عمر، ومن فخر الدين ابن خطيب جبرين، والكمال ابن النَّحَّاس، ونجوة بنت النصيبي، ومن إسحاق النحاس، ومحمد بن معضاد، ومحمد بن غالي، وعبد المحسن ابن الصابوني، ويحيى بن المصري، وغيرهم.

* وقد أجاز له غير واحد من محدثي زمانه؛ فأُجيز من الديار المصرية من قِبَل

---

(٣) وهو: من نصَّبه الإمام أو نائبه للنَّظر في أحوال الرَّعيَّة، والكشف عن أمورهم ومصالحهم، وتصفُّح أحوال السُّوق في معاملاتهم، واعتبار ومراعاة ما يسري عليه أمورُهم، واستتابة المخالفين، وتحذيرهم بالعقوبة على قدر الجناية.

انظر: «الموسوعة الفقهية» (٢٣٤/١٧)، و«الطرق الحكمية» (ص١٩٨)، و«أحكام القرآن» (٤/ ٥٣) لابن العربي.

الحسن الكردي، والرشيد بن القيِّم المعلم، ومحمد بن علي بن ساعد، وموسى بن علي الحسيني في آخرين. وأجازته من بيت المقدس زينب بنت شكر. كما أخذ الفقه عن فخر الدين بن خطيب جبرين.

* نشأ مُحِبًّا في الأدب وأخذ عن ابن نباتة وغيره، واشتغل وبرع إلى أن صار رأساً فيه، وإمام عصره في صناعتي الإنشاء(٤) والشُّروط(٥)؛ وشغل عدة وظائف، فكان يوقِّع عن القضاة، وباشر نيابة القضاء، ونيابة كتابة السِّر، ووقَّع في الإنشاء.

* وكان فاضلاً كَيِّسًا، دَمِث الأخلاق، صحيح النَّقل، حسن المحاضرة، حميد المذاكرة.

* حدَّث عنه: ابن عشائر، وابن ظهيرة، وسبط ابن العجمي، ومحب الدين ابن الشحنة، وعلاء الدِّين ابن خطيب الناصريَّة، وأجاز له(٦)، وللجمال محمَّد بن أحمد بن محمد الكازَروني.

* انتقى وخرَّج وأرَّخ، وتعانى في تأليفه السَّجع، ونظم ونثر، وجمع مجاميع مفيدة، وكان في آخر عمره قد لزم بيته، وتفرَّغ للتَّصنيف دون سواه من الوظائف؛ فكان ثمرة ذلك كتب قيمة، منها:

١ - الكوكب الوقَّاد من كتاب الاعتقاد(٧).

٢ - إرشاد السامع والقاري المنتَقَى من صحيح البخاري.

---

(٤) والمرادُ بها: كُلُّ ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والوِلايات والمسَامحات والإطلاقات ومَنَاشير الإقطاعات والهُدَن والأمانات والأيمان، وما في معنى ذلك ككتابة الحِكَم ونحوها. «صبح الأعشى» (٨٣/١) بتصرُّفٍ.

(٥) وهو علمٌ باحثٌ عن كيفيَّة إثبات الأحكام الثَّابتة عند القاضي في الكتب والسِّجلات على وجه يصحُّ الاحتجاج به عند اقتضاء شهُود الحال، وبعض مباديه مأخُوذ من الفقه، وبعضُها من علم الإنشاء، وبعضها من الرُّسُوم والعادات والأمُور الاستحسانيَّة.
راجع: «التراتيب الإدارية» (١١٩/١).

(٦) قال ابنُ حجر في «الدُّرر» (١٣٦/٢): «أُسمع عليه وهو في الخامسة، وأظنُّه آخرَ الرُّواة عنه بالسَّماع».

(٧) انتقاه من كتاب «الاعتقاد» للحافظ البيهقي، كما في «كشف الظنون» (١٥٢٤/٢).

٣ - التَّوشيح على التَّوضيح[٨].

٤ - أخبار الدُّوَل وتِذكَار الأول[٩].

٥ - دُرَّة الأسلاك في دولة الأتراك[١٠].

٦ - تذكرة النَّبيه في أيَّام المنصور وبنيه[١١].

٧ - معاني أهل البيان من وفيات ابن خلكان[١٢].

٨ - جهينة الأخبار[١٣].

٩ - النجم الثاقب في أشرف المناقب. وهو كتابنا هذا.

١٠ - المقتفى في ذكر فضائل المصطفى[١٤].

١١ - المنتقى من ديوان إبراهيم النحوي المسمَّى بقواعد إبراهيم.

١٢ - تحيَّة المسلم المنتقى من شعر ابن المُعلِم.

١٣ - مقياس النِّبرَاس[١٥].

١٤ - نسيم الصَّبَا[١٦].

١٥ - مقامة الوحُوش.

١٦ - مقامة الخيل والإبل.

---

(٨) «حاشية على توضيح الحاوي» لقُطب الدِّين الغالي؛ أورد فيها زوائد مُفيدة من إظهار الفتاوي وكشف بعض أسرار الحاوي. «كشف الظنون» (١/٦٢٥).

(٩) وهو تاريخٌ مُختصَرٌ مُسجَّعٌ؛ ذكر فيه الأنبياء والخلفاء والملوك. «كشف الظنون» (١/٢٦).

(١٠) قال الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» (٢/١٣٥): «سَجعٌ كُلُّه؛ يدلُّ على اطلاع زائد، واقتدارٍ على النَّظم والنَّثر، لكنَّه ليس في الطَّبقة العليا منهُما». قال صاحب «النجوم الزاهرة» (١١/١٨٩): «أنهاه إلى سنة سبع وسبعين وسبعمائة».

(١١) جرى فيه على طريقة سابقه.

(١٢) أتى فيه بمائتين وسبعة وثلاثين نفرًا مع أشعارهم وآثارهم، وهو مختصرٌ. «كشف الظنون» (٢/٢٠١٨).

(١٣) مختصرٌ في التَّاريخ؛ ألفه على السَّجع ورِعايةِ الفَقَرات. «كشف الظنون» (١/٦٢٣).

(١٤) وهو مطبوعٌ مُتَداوَلٌ.

(١٥) وهو على حُرُوف المعجم نظمًا ونثرًا. «كشف الظنون» (٢/١٨١٠).

(١٦) قال الحافظ ابن حجر في «الدرر» (٢/١٣٥): «يشتمل على أدبٍ كثيرٍ».

١٧ - المقامة الطَّرديَّة.

١٨ - دليل المجتاز بأرض الحجاز.

١٩ - كشف المرُوط عن محاسن الشُّروط.

* لقي ربه تعالى ضحى يوم الجمعة، حادي عشر ربيع الآخر بحلب سنة تسع وسبعين وسبعمائة، عن تسع وستين سنة. تغمَّده الله برحمته.

بين يدي الكتاب

وصف المخطوط وتوثيقه:

* اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على مخطوطتين:

إحداهما - وهي الأصل - : محفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية؛ تحمل الرقم ١٦٨٠، تقع في ٥٣ قطعة، مقاس القطعة الواحدة ١٩٩×١٣٢، وتشتمل على ١٧ سطرًا، في كل سطرٍ ٩ كلماتٍ تقريبًا. وقد تَمَّ نسخها في يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة سنة خمس وألف بثغر دِمياط، وهي نسخةٌ جميلةٌ مُجَوَّدةٌ، كتبت بخط جميل، وضبطت الألفاظ فيها بالشَّكل، واستعمل ناسخها[١٧] الحِبرين الأسود والأحمر، وميَّز الشِّعر من النَّثر، وله عليها تعليقات علَّمها بـ (ن) اختصارا للفظة ناسخ[١٨].

والأخرى: محفوظة بالمكتبة الأزهرية المصرية؛ تحمل الرقم ٣٠٩٨٦٢، تقع في ٥٨ قطعة، تشتمل كل قطعة على ٢٣ سطرًا، في كل سطرٍ ٧ كلماتٍ تقريبًا، نسخت يوم الأحد ثامن عشر رمضان سنة ثلاث وثلاثمائة وألف، وهي نسخة جيدة، استعمل ناسخها[١٩] الحِبرين الأسود والأحمر[٢٠]، وعليها تعليقات بقلمه، وقد ألحق بآخرها بيتين للإمام الشافعي[٢١]. والرمز إليها (م).

---

(١٧) وهو: محمَّد بن غرس الدِّين الحنفي؛ ولم أقف له على ترجمة.

(١٨) وقد جاء على طُرَّة هذه النسخة: الحمدُ لله؛ حَبَس ووقَفَ لله تعالى هذا الكتاب مالكه (...) على نفسه، ثم على من له أَهلِيَّةٌ من طلبة العلم، بشرط أن يكون النَّظر لناظر خزانة الكتب التي بناها المرحوم حسن باشا بحذاء جامعه بالجزائر؛ وذلك عام ١٢٤٥.

قلت: وقد طُمِس بالقلم عمدًا اسم المالك ونسبه حديثًا، إبَّان العهد الفرنسي البائد.

(١٩) واسمه: معوض سلامة؛ ولم أقف له على ترجمة.

(٢٠) وميز الشعر بقوله قبل كتابته: وأنشد شعرا.

(٢١) وقد جاء على طُرَّة هذه النسخة: هذا كتاب «النجم الثاقب في أشرف المناقب»، تأليف بدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٩، رتبه على ثلاثين فصلا؛ أوله: الحمد لله الولي الحميد إلخ. نقلا عن «كشف الظنون». نبه على ذلك كاتبه أحمد عمر =

* نسب هذا الكتاب إلى بدر الدين بن حبيب غير واحدٍ من أهل العلم؛ منهم أبو الطيّب الفاسِي[٢٢]، والقُسطَنطِيني[٢٣]، وقد كُتِب على طُرَّة النسخة الجزائرية: كتاب النجم الثاقب في أشرف المناقب؛ للشَّيخ العلاَّمة بدر الدِّين الحسن بن حبيب، تغمَّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته. آمين. وعلى طرة المصرية: النجم الثاقب في أشرف المناقب، بدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الشافعي.

* وأمَّا عن تسمية الكتاب؛ فقد سمَّاه جملة ممَّن ترجم للمصنِّف وغيرهم «النجم الثاقب في أشرف المناقب»، وجاء في مُقدِّمته: «...وسمَّيتها: «النجم الثاقب في أشرف المناقب»». وقال في خاتمته: «نجز إملاء قلم الكاتب، وانتهى مسير النجم الثاقب...»، وتقدَّم أنَّه العُنوان المُثبَت على غلاف المخطوطتين[٢٤].

منهج المصنف:

* اختصر المؤلف «كتاب الشفا في حقوق المصطفى» للقاضي عِياض اختصاراً جيدًا، واعتصره اعتصارًا مفيداً؛ فأتى على مقاصده بعبارةٍ موجزةٍ، وطريقته أن يسبك الآثار والأخبار سبكا أدبياً راقياً منثورًا، ثم يلخِّص ما يذكره في أبياتٍ، وقسَّم كتابه على مقدمة وثلاثين فصلاً وقصيدة في مدحه ﷺ وخاتمة؛ ويمكن حصر المحاور التي أديرت عليه الفصول إلى خمسٍ:

الأول[٢٥]: في بيان ثناء الله عليه وتعظيمه لقدره.

الثاني[٢٦]: في بيان شمائله ﷺ.

الثالث[٢٧]: في بيان دلائل نبوته ﷺ.

=

المحمصاني الأزهري.

(٢٢) في «ذيل التقييد» (١/٥٠٨).

(٢٣) في «كشف الظنون» (٢/١٩٣٠).

(٢٤) أما قول الحافظ ابن حجر في ترجمته من «الدُّرر الكامنة» (٢/١٣٥): «استعمل مقاصد الشِّفاء لعياض، وسمَّاه «أسنى المطالب في أشرف المناقب»؛ فسبكَها سجعًا؛ سمعه منه أبو حامد ابن ظهيرة». فهو مرجوحٌ لما قدَّمناه. والله أعلم.

(٢٥) ويندرج تحته فصلان (١ - ٢).

(٢٦) ويندرج تحته عشر فصول (٣ - ١٢).

(٢٧) ويندرج تحته تسع فصول (١٣ - ٢١).

الرابع[٢٨]: في بيان خصائصه ﷺ.

الخامس[٢٩]: في بيان حقوقه ﷺ على أمته.

* مكث المصنِّف قريباً من أربعة أشهر ليُنجز تحفته هذه[٣٠]، وله كتابٌ آخر بعنوان: «المقتفى من سيرة المصطفى»[٣١]، وثمَّة جملة من العبارات المشتركة بين الكتابين، والمصنف قد جعل هذين الكتابين كجناحي الطائر، لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر.

عملي في الكتاب:

* يمكن إجمال الجُهد المبذول في ما يلي:

- شرح غريب كلم الكتاب، وقد تولى النَّاسخان بعض ذلك، وتعليقاتهما مثبتة بالهامش.

- ترقيم الفصول، والتَّعليق على بعض المواطن التي لم يُوفَّق فيها المصنف، أو خانته فيها الذَّاكرة أو انتقل فيها بصره.

- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، وقد تعاملت معها بدِقَّةٍ مُتناهيةٍ، مُستحضِرًا مقالة الإمام أحمد بن حنبل: «ثلاثة كُتُبٍ ليس لها أصول؛ المغازي، والملاحم، والتَّفسير»[٣٢]. قال الحافظ - معقبا - : «ينبغي أن يُضاف إليها

---

(٢٨) ويندرج تحته ثلاث فصول (٢٢ - ٢٤).

(٢٩) ويندرج تحته ست فصول (٢٥ - ٣٠).

(٣٠) كما يدُلُّ عليه قوله في خاتمة الكتاب: «قال مؤلِّفُه عفا الله عنه: بدأت في إنشائه يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وفُرِغت منه في يوم الأحد، مُستَهل شوَّال من السُّنَّة المذكورة».

(٣١) طبع عام ١٩٩٦ في دار الحديث بالقاهرة؛ بتحقيق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي.

(٣٢) رواه: الخطيب في «الجامع» (١٦٢/٢) من طريق: الحافظ ابن عدي: سمعت محمد بن سعيد الحراني يقول: سمعت عبد الملك الميموني؛ فذكره.
قال الخطيب: «وهذا الكلام محمولٌ على وجهٍ؛ وهو: أنَّ المراد به كتب مخصوصةٌ في هذه المعاني الثلاثة غيرُ مُعتَمَدٍ عليها، ولا مَوثوقٍ بصِحَّتِها لسُوء أحوال مُصنِّفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القُصَّاص فيها.
فأمَّا كتب الملاحم فجميعُها بهذه الصِّفة، وليس يصحُّ في ذكر الملاحم المُرتَقَبة والفتن المنتَظَرة غير أحاديث يسيرة، اتَّصلت أسانيدُها إلى الرَّسول ﷺ من وجُوه مَرضِيَّة، وطُرق
=

الفضائل، فهذه أودية الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة؛ إذ كانت العمدة في المغازي على مثل الواقدي، وفي التفسير على مثل مقاتل والكلبي، وفي الملاحم على الإسرائيليات، وأما الفضائل فلا تحصى كم وضع الرافضة في فضل أهل البيت، وعارضهم جَهَلَة أهل السنة بفضائل معاوية وبفضائل الشيخين، وقد أغناهما الله وأعلى مرتبتهما عنها»[٣٣].

وقد بذلت جهدي في الوقوف على أسانيد الأخبار المضمَّنة في تضاعيف السُّطور، وعَمِلت جاهداً لتقوية ما يحتاج التَّقوية، ومع ذلك فقد بقيت أحاديث لم أتمكَّن من تخريجها، وهي - بحمد الله - قليلةٌ مقارنةً بتلك التي تَمَّ تخريجها.

وتماشيًا مع هدف المُصنِّف؛ فقد جريت في تحقيق هذا الكتاب على نحو ما فعل صاحبنا أبو محمد بن عيسى في كتابه «الدر المنتقد من كتاب المعتقد»[٣٤]؛ حيث خرَّجت الأخبار الضَّعيفة والواهية، وحرصت على ذكر ما يُغني عنها - إن وُجد - ، وأعرضت عن الثابتة، إلاَّ أن تدعُوَ الحاجة إلى تخريجها.

=

واضحةٍ جليَّةٍ. وأمَّا الكتب المصنَّفة في تفسير القرآن؛ فمِن أشهرها كتابَا الكلبي ومقاتل بن سليمان. وأمَّا المغازي؛ فمِنَ المشتَهِرين بتصنيفها وصَرفِ العناية إليها محمَّد بن إسحاق المطلبي ومحمَّد بن عمر الواقدي».

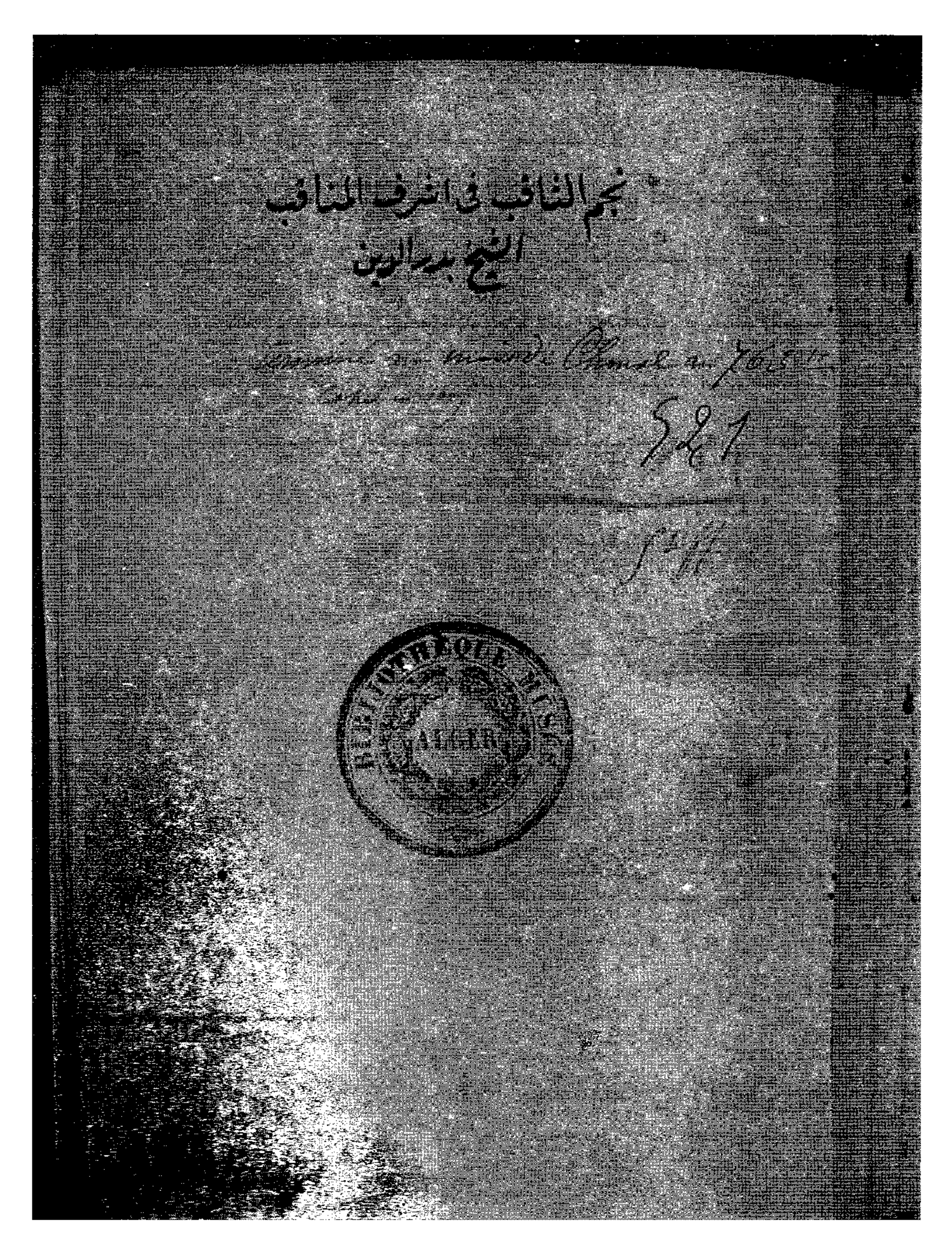
قلت: آخر هذا الكلام يَرُدُّ أوَّله؛ فإذا كانت جميع كتب الملاحم بهذه الصفة، والمشهور من دواوين المغازي والتفسير كذلك، فما المانع من إطلاق عبارة الإمام أحمد؟!

(٣٣) «لسان الميزان» (١/ ١٢).

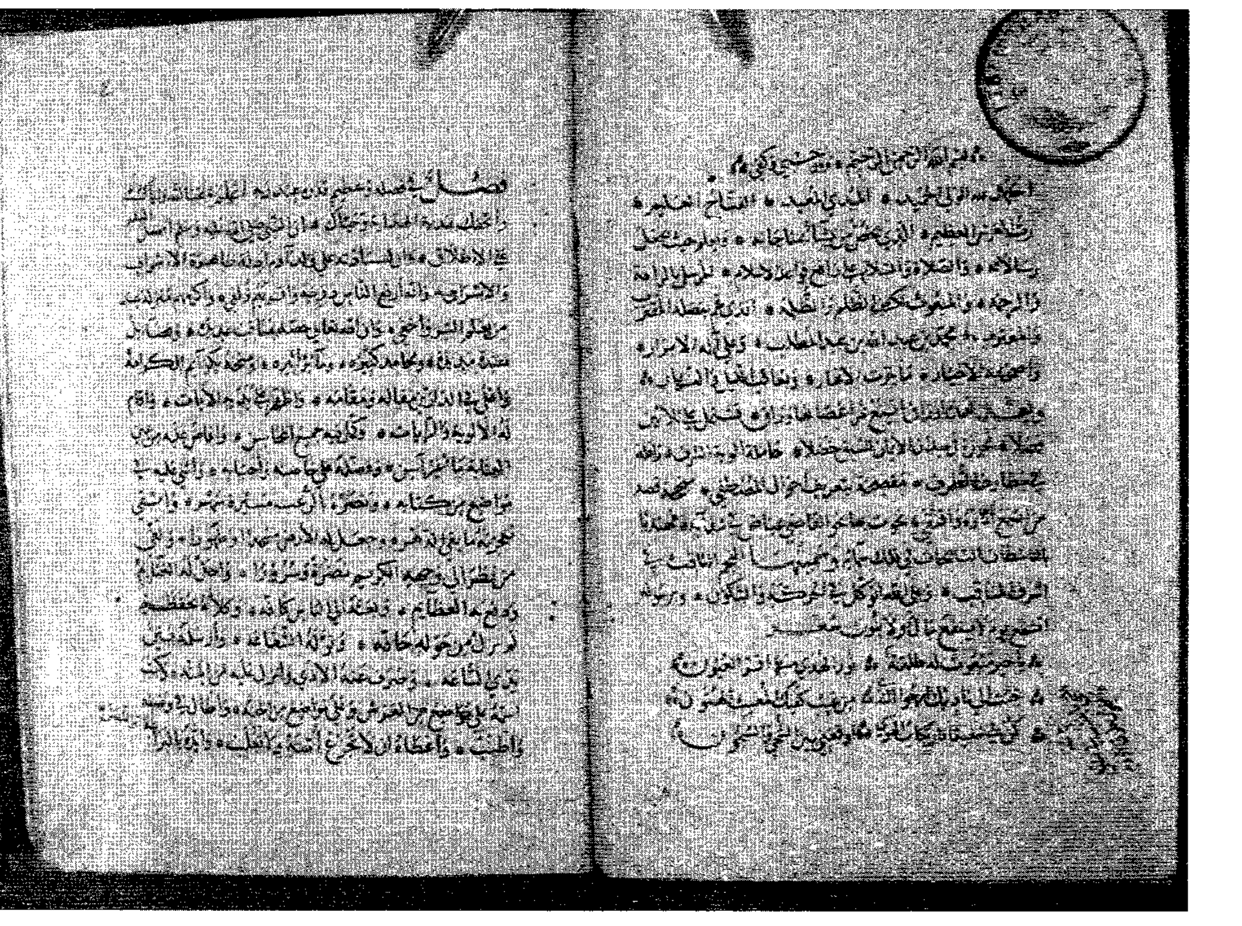
(٣٤) وهو من منشورات دار ابن عفان - دار ابن القيم.

نماذج من صور المخطوط

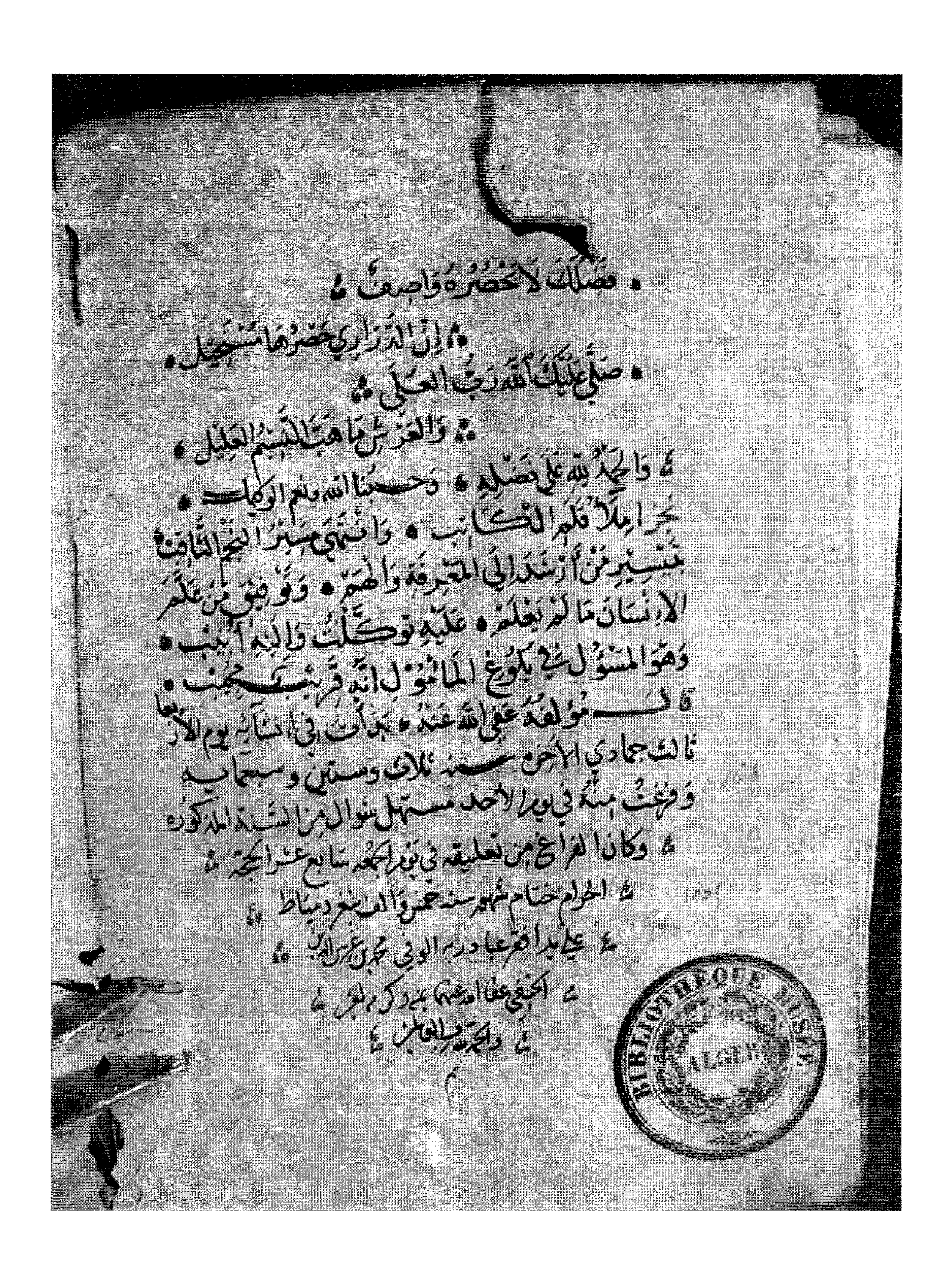
صور من المخطوطة الجزائرية



صورة لغلاف المخطوط

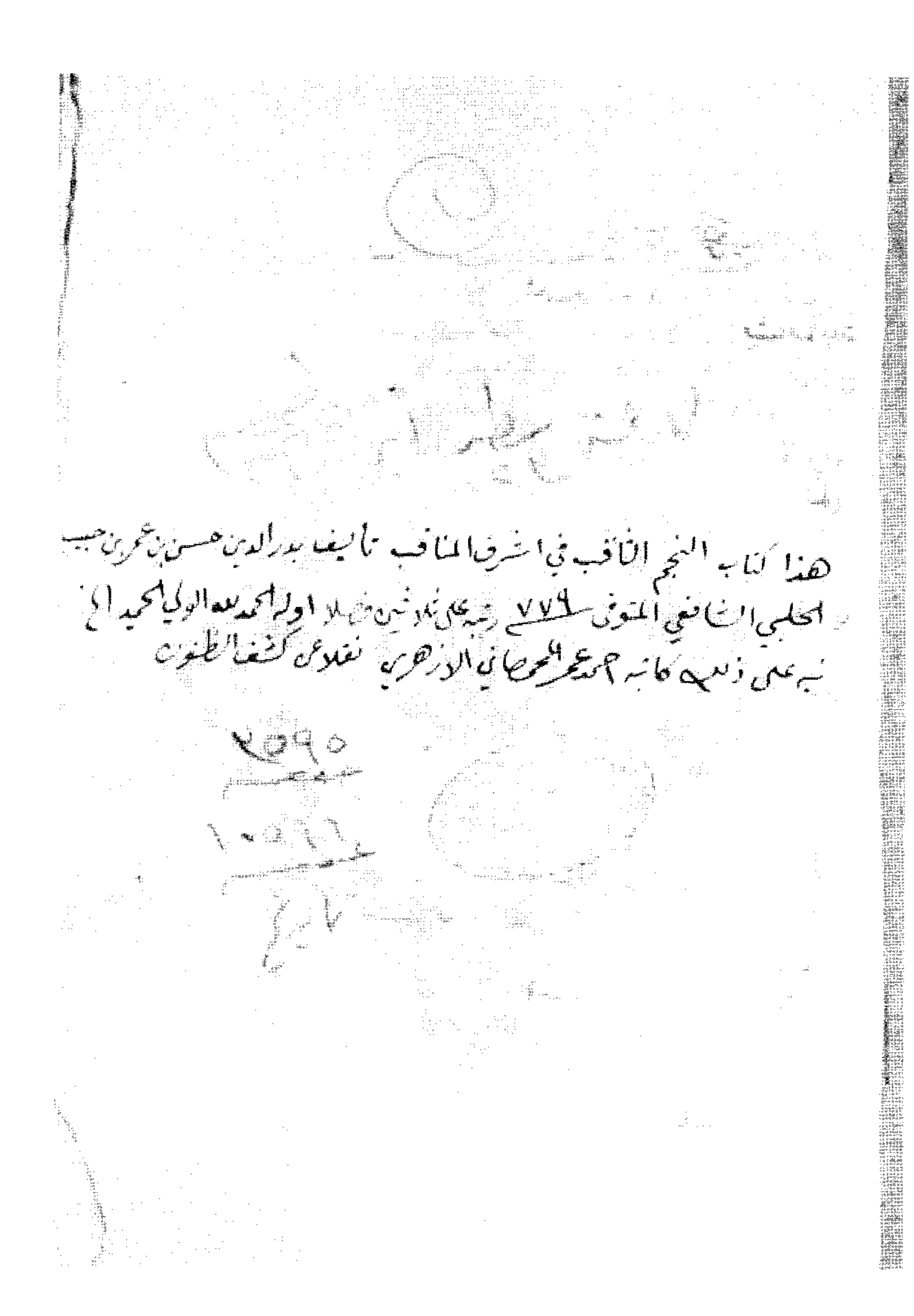


صورة للوحة الأولى



صورة للوحة الأخيرة

صور من المخطوطة المصرية


هذا كتاب النجم الثاقب في اشرف المناقب تاليف بدر الدين حسن بن عمر بن حبيب
الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٩ رتبه على ثلاثين فصلا اوله الحمد لله الولي الحميد الخ
نبه على ذلك كاتبه حمد عمر الحصاني الازهري نقلا عن كشف الظنون

٢٥٩٥

صورة لغلاف المخطوط

صورة للوحة الأولى

صورة للوحة الأخيرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهو حسبي وكفى[٣٥]

الحمدُ لله الولي الحميد، المُبدي المُعيد، الفتَّاح العليم، ربِّ العرش العظيم، الذي يخُصُّ من يشاء بمُناجاته، ويَعلم حيث يجعل رسالاته.

والصَّلاة والسَّلام على رافع قواعد الإسلام، المُرسَل بالرَّأفةِ والرحمة، والمبعوث لكشف الظُّلْم[٣٦] والظُّلْمَة، الذي عَمَّ بفضله المُقترِب والمُغترِب، محمَّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب، وعلى آله الأبرار، وأصحابه الأخيار، ما جرت الأنهار، وتعاقب اللَّيل والنَّهار.

وبعدُ: فهذه أوراق، أينع ثمرُ أغصانها وَرَاق، تشتمل على ثلاثين فصلاً، مُحرِزةً في ميدان الإيمان للسَّبق خصلاً[٣٧]، حاملةً ألوية الشَّرف، رافِلةً في مطارف الطُّرَف[٣٨]، مُفصِحةً بتعريف أحوال المصطفى، مُنجحةً قصد من اتَّبع آثاره واقتفى.

نَحَوتُ بها نحو القاضي عياض في «شفائه»، مُهتدِيًا بالنَّاشطات السَّابحات في فَلَكِ سمائه[٣٩]؛ وسمَّيتُها: «النَّجم الثَّاقب في أشرف المناقب». وعلى الله أتوكَّل في الحركة والسُّكون، وبرسُوله أتشفَّع يوم لا ينفع مالٌ ولا بنُون.

يــا خيــر مــبعوث لــه طلعــةٌ   نــورُ الهــدى مــنها أَقَــرَّ العــيون

---

(٣٥) في (م): وبه ثقتي.

(٣٦) ضبطها في (م) هكذا: الظُّلَم، والصواب ما أثبت.

(٣٧) الخصل - بالمعجمة ثم مهملة - من أخصل الرامي، وهو أن يقع السهم بلزق القرطاس، والمقصود أصابه الغرض. هـ

قلت: كذا وقع في (م)، وبالأصل: الخَضل - وهو النَّدى - . والأقرب الأول.

(٣٨) المَطارِفُ: أردية من خز مربعة لها أعلام. والطُّرف جمع طُرْفةُ؛ وهي: المُستحدَث المعجِب.

(٣٩) هي النجُوم تَطْلُع ثم تَغِيب، تَنْشِط من بُرْج إِلى برجٍ كالثَّور الناشط من بلدٍ إِلى بلد.

جـئت إلــى ناديــك أرجُــو الــنَّدَى   مـن غَـيث كَفَّيك المغيث الهَـتُون[٤٠]
كـن لــي شـفيعاً فارتكــاب الهــوى   أوقعنــي بـين الـشَّجى والـشجون[٤١]

---

(٤٠) مطر هَتُون؛ أي: هطُول.

(٤١) الشَّجَى: ما يَنشِبُ في الحلق، والشُّجُون: طرفُ الأَوْدَب. كذا بهامش الأصل.

تنبيه: ما جرى عليه المصنِّف وغيره من مخاطبة النبي ﷺ، ليس من هدي السَّلف الصالح، ويشتدُّ الخطب إذا تضمَّن شركًا، وطلب الشَّفاعة إنما يكون من الله تعالى، فهو الذي يأذن بها لمن يشاء، والرَّجاء عبادة خالصة لله وحده.

١ - فصل: في فضله وعظيم قدره عند ربه

اعلم - وفَّقنا الله وإيَّاك، وأتحفك بهديَّة الهداية وحَبَاك - : أنَّ النبي ﷺ أفضلُ البشر على الإطلاق، وأنَّ لسيادته على ولد آدم أدلَّةً ظاهرةَ الإشراف والإشراق، وأنَّه أرفعُ النَّاس درجةً وأقربهُم زُلفى، وأكرمُهم منزلةً عند من يعلم السِّرَّ وأخفى.

وأنَّ الله تعالى خصَّه بمناقبَ عديدةٍ، وفضائلَ مفيدةٍ مديدةٍ، ومحامد كثيرةٍ، ومآثرَ أثيرةٍ، ومنَحَه بكرائم الكرامه، وأعلى في الدَّارين مقاله ومقامه، وأظهر على يديه الآيات، وأقام له الألوية والرَّايات، وكمَّل فيه جميع المحاسن، وأفاض عليه من عين العناية ماءً غير آسِن.

وفضَّله على خاصَّته وأحبابه، وأثنى عليه في مواضع من كتابه، ونصره بالرُّعب مسيرة شهر، وأبقى معجزته ما بقي الدَّهر، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، ولَقَّى من نَظر إلى وجهه الكريم نضرةً وسُرُوراً، وأحلَّ له الغنائم، ودفع به العظائم، وبعثه إلى الناس كافَّة، وكلأه بحفَظَةٍ لم تزل من حوله حافَّة، ونوَّله الشَّفاعة، وأرسله بين يدي السَّاعة، وصرف عنه الأذى، وأنزل عليه من المنَّة، وكتب اسمه على(٤٢) العرش، وعلى مواضع من الجنَّة(٤٣)، وأطال في وصفه وأطنب، وأعطاه أن لا تَجزع

---

(٤٢) كتب ناسخ الأصل هنا: «مواضع من»، ثم شطبها. وهو الموافق لـ (م).

(٤٣) قلت: لم يصِحَّ هذا ولا ذاك:

أما الأوَّل؛ فقد أخرج: الحاكم (٤٢٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥٠٢) من طريقين: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: عن أبيه: عن جدِّه: عن عمر بن الخطاب رفعه: «لما اقترف آدم الخطيئة؛ قال: يا رب، أسألك بحقِّ محمَّد لما غفرت لي! فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمَّدًا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من رُوحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتُوباً (لا إله إلاَّ الله محمَّد رسول الله)، فعَلِمت أنك لم تُضِف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك! فقال الله: صدقت يا آدم، إنَّه لأحبُّ الخلق إلي، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمَّد ما خلقتك!».

قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد! وتعقَّبه الذهبي بقوله: بل موضوعٌ.

قلت: عبد الرحمن الأسلمي، قال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعةً.

=

أمَّتُه ولا تُغلب، وأيَّده بالبراعة واللَّسَن، وركَّب فيه كُلَّ خُلق حَسَن.

تبارك من حَمَاه ومن حَبَاه ... بحُسن الخَلق والخُلُق العظيم
وسَدَّد قوله وبه هدانا ... جميعًا للصِّراط المستقيم
وأغنى أهل مِلَّتِه بدُرٍّ ... أتى من بحر منطقه نَظيم
وصَيَّره لمن يرجُوه كهفًا ... وعرَّفه بأصحاب الرَّقيم

وآتاه جوامع الكَلِم وخواتمه، وملَّكه خَوافِي الفضل وقوادمه، وألبسه خِلعَ الجلال والجمال، وأجلسه على ذِروَة الشَّرف والكمال، وحضَّ على الاقتداء بهديه، وأمر بامتثال أمره ونهيه، وألزم بريَّتَه الدُّخُولَ في طاعته، وحثَّ على اتِّباع سُنَّته وجَمَاعته، ونبَّه على عُلُوِّ شأنه لدَيه، وفرض الإيمان به والصَّلاة عليه، وأمدَّه بالملائكة، وأبرز الخيرات على يديه المباركة.

وقرَّبه وأدناه، وأوحى إليه ونَاجَاه، وأراه من آياته الكبرى، وكرَّمه وعظَّمه في الدُّنيا والأخرى، ونصَبَ مَنصِبَه على بقَاعِ(٤٤) الشَّرف، ورفع رُتبَته إلى أعلى الغُرَف. وأعزَّه بالطَّاعة، وأغناه بالقناعة، وقَلَب له الأعيان، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأطلعه على سائر المعارف(٤٥)، وأسبغ عليه من القَبُول أحسن المَطارف، وأولاه كثيرًا من الخصائص، وحماه من العيُوب والنَّقائص.

=

وله شواهد عن غير واحد من الصَّحابة رضي الله عنهم، وكلُّها لا تخلو من وضَّاع أو متروكٌ.
انظر: «الضعيفة» (٢٥ ، ٤٩٠٢).

وأمَّا الآخر؛ فأخرج: الرَّافعي في «التدوين» (٩١/٣): ثنا أبو منصور عبد الله بن عيسى بن إبراهيم بن علي الهمداني: ثنا أبو العباس الفضل بن الفضل سنان: ثنا مسعود القزويني: ثنا عبد الله بن زياد البغدادي: ثنا علي بن عاصم: عن حميد الطويل: عن أنس بن مالك رفعه: «أدخلت الجنة، فرأيت في عارضي الجنة مكتوبًا ثلاثة أسطر بالذهب، لا بماء الذهب؛ السَّطر الأول: لا إله إلا الله محمَّد رسول الله. والسَّطر الثاني: ما قدَّمنا وجدنا، وما أكلنا ربِحنا، وما خلفنا خسِرنا. والسَّطر الثَّالث: أمة مُذنِبةٌ ورب غفورٌ».

قلت: وهذا خبرٌ منكرٌ؛ علي بن عاصم عنده مناكير، ومن دونه لم أعرفهم.
وانظر: «الضعيفة» (٣٢٩١).

(٤٤) البقاع: ما ارتفع من الأرض.

(٤٥) لا دليل على ذلك، وهذا من الغلو المذموم!

وسوَّاه فعدَّل تَركِيبَهُ، وأدَّبَه فأحسن تَأدِيبَه[٤٦]، وعلَّمَه ما لم يكن يعلم، وأرشده إلى حَلِّ كُلِّ مُشكِلٍ ومُبهَم، واتَّخذه حبيباً وخليلاً، وأحلَّه من دار السَّعادة مَحلاً جليلاً، وأناله من حاصل حَبِّ الحُبِّ غاية المطلوب، وغفر له الماضي والمستقبل إذ المحبوب لا يُؤاخَذ بالذُّنُوب[٤٧].

هو الحبيب الذي أنوارُ طَلعَته ... تخفى إذا عاينتها الشَّمس والقمر
هو الإمام الذي مُذ أَمَّ طالعه ... سُرَّ الزَّمان به واستبشر البَشَر
قد خُصَّ بالخُلَّة المأنُوس مَعهدُها ... وبالمحبَّة ممَّن أمرُه قَدَر
لا غرو أن عاد بالغُفران مُغتبطًا ... إنَّ الذُّنُوب من المحبُوب تُغتَفر

ونصَّ على وجُوب توقيره وبرِّه، وحَكَم بلزُوم نُصحه وتعظيم قدره، وجَبَله على الصِّيانة والعَفَاف، وعدَّل به ميزان العدل والإنصاف، وزَيَّن به الوجُود، وقلَّده بعقُود العهود، وأفرده بإيداع سرِّه المَصُون، وعضَّده بقرآن كريم في كتاب مكنُون، وسمَّاه بجملة من أسمائه، وختم بمسكه رحيق أنبيائه.

ونوَّه برفعة مكانته وشرف مَحتَده[٤٨]، وأنزله منزلاً فاق الأُفق وعلا على فَرَق فَرقده، ومنح جانبه العزيز لِينًا، وذاته الكريمة لُطفًا، وفتح به [عيونا][٤٩] عُميًا وآذاناً صُمًّا وقُلُوباً غُلفاً. ورقَّى به أمَّته إلى أرفع الدَّرَج، ولم يجعل عليه ولا عليهم في الدِّين من حَرَج، وعرَّفه بما أخرج لعباده من رُتبته، وأوجب له النُّبوَّة وآدم مُتجدِّدٌ[٥٠]

---

(٤٦) هذا الكلام معناه صحيح، لكنَّه لم يأت من طريق صحيح؛ وقد أخرجه: ابن السَّمعاني في «أدب الإملاء» (ص١) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أدَّبني وأحسن أدبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق؛ فقال ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الآية». وهو خبرٌ ضعيفٌ؛ كما نبَّه عليه ابن تيمية والسَّخاوي وغيرهما.
انظر: «الضعيفة» (٧٢)، و«فيض القدير» (١/٢٢٥).

(٤٧) علق في (م): كما في قوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك - بالأصل: ذنبه - وما تأخر﴾ الآية [الفتح: ٢].

(٤٨) المحتد: الأصل. كذا بهامش الأصل.

(٤٩) زيادة من (م).

(٥٠) كذا بالأصل و(م). وصوبه ناسخ الأصل بهامشه، ووقع في (م): لعله منجدل.
قلت: بل هو الصواب، وهو المطروح على وجه الجَدالة - أي: الأرض الصُّلبة - صورةً من =

في طينته، ولم يبعث نبيًّا إلاَّ ذكر له نَعتَه ومَسلَكَه، وأخذ عليه الميثاق بالإيمان به ونَصرِه إن أدركه.

ولم يُعطِ أحداً من الأنبياء فضيلةً مُستفادة، إلاَّ وقد أعطاه مثلها وزيادة، وأجرى عليه من مواد الفضل ما توقَّف عند مجازاته الغيثُ وتجمَّد، قال جبريل: قَلَّبتُ مشارق الأرض ومغاربها، فلم أر رجُلاً مثل محمَّد(٥١).

يا راغبًا في حصر فضل محمَّد … خَفِّض عليك ففضله لا يحصر
إن قُلت مِثلُ الرَّمل أو مِثلُ الحصى … أو مِثلُ قَطْر الغيث قلنا أكثر
أكرم به مَولىً عَلِيًّا قدرُه … مُتقدِّمًا كلٌّ له يتأخَّر
ذا رُتبةٍ عند الإله عظيمة … معرُوفها بين الورى لا ينكر
صلَّى عليه الله ما هبَّ الصَّبا … من نحو روضته الخطيرة يخطُر

=

طين، لم تَجرِ فيه الرُّوح بعدُ.

(٥١) أخرجه: ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٩٤)، والطبراني في «الأوسط» (٦٢٨٥)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (٢٣٨)، واللالكائي في «الاعتقاد» (١٤٠٢) من طرق: عن موسى بن عبيدة: أخبرني عمرو بن عبد الله بن نوفل: عن الزهري: عن أبي سلمة: عن عائشة؛ مرفوعًا به.

قال الطبراني: لا يُروى هذا الحديث عن الزهري إلاَّ بهذا الإسناد؛ تفرَّد به موسى بن عُبيدة، ولا يُروى عن عائشة إلاَّ بهذا الإسناد.

قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٢١٧): فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيفٌ.

قلت: وشيخه النَّوفلي، لم أعرفه.

٠٢ - فصل: في ثناء الله عليه في كتابه العزيز

أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أنه بعث إليهم رسُولاً من أنفسهم عَلِيَّ القدر لديهم، يعرفُون فضله ومكانته، ويتحقَّقُون صِدقَه وأمانته، عزيزًا عليه ما يهوي بهم من الهوان(٥٢)، حريصًا على دخُولهم إلى دار أمان الإيمان، شَريفَ النَّسَب فيهم، رؤُوفًا رحيمًا بمؤمنيهم.

وأناله من نَيْلِ الكرامة غاية السُّول، وقَرَنَ طاعَتَهُ بطاعَتِهِ فقال ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ ﴾، وأطلع في أفُق التَّوفيق نجمَه، ورحم العالمين به فقال ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾، فمن أصابه شيء من رحمته فاز، ووصل إلى كعبة النَّجاة من غير قطع حِجاز، وحصَّنه من سُوَر كتابه المُبين بأمنع سُور، وسمَّاه فيه نُورًا بقوله ﴿ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ ﴾، وأرسله ﴿ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾.

وشرح بالرِّسالة صَدرَه، ووضع عنه وِزرَه الذي أنقض ظهره، ورفع بذِكرِه معه في الشَّهادتين ذِكرَه، وأظهر دينه على الدِّين كُلِّه وعظَّم أمرَه، ورمى المشركين منه بالمُقعِد المُقيم، ونَعَته في أمِّ الكتاب بالصِّراط المُستقِيم، وآتاه سبعًا من المثاني، وأكرمه بمَنزلةٍ مُحكَمَة المباني.

آتـــاهُ ســبعًا شـمسُ آياتهـا ... أضحَت بآفـاق الهُـدى واضِحه
لهــا معــانٍ سِــرُّها غــامضٌ ... يعــرِفُها ذو الصَّفقة الــرَّابحه
سُــورُ كــتاب الله مــا حَلَّــهُ ... أعظــمُ مــنها ســورةٌ صــالحه
تُخــتَم بالخيــر لقُــرَّائها ... وهــي لأبــواب الرِّضــى فاتحــه

وبعثه حِرزًا للأمِّيِّين، ووضع كتاب الأبرار به في عليِّين، ورفعه إلى المحلِّ الأسنى، وقرَّبه منه فكان قَابَ قوسين أو أدنى، ونزَّه لسانه عن النُّطق بهواه، وفُؤَاده عن الكذِب فيما رآه، وبَصَره عن الزَّيغ والالتفات، وزكَّى جُملَته الجميلة وعَصَمها

(٥٢) بهامش (م): إشارة للعنت في قوله تعالى ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾. هـ

من الآفات.

وأقسم أنَّه ما ودَّعه وما قَلاَه، ولم يُقسِم بحياة أحد في قوله ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ من الخلق سواه، وزَوى له أرض الخيرات طُولاً وعرضًا، حيث أنزل عليه ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾، وأيَّده بأظهر البراهين وأبهر المعجزات، وأراده في ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ ﴾ بقوله ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾.

ودَرَء العذاب عن أهل مكة لكونه بواديهم، فقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾، وأمر الذين هم في حَلبَة الإيمان به مُجَلُّون، أن يُصلُّوا ويسلِّمُوا عليه بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾.

وأعطاه الحوض المعروف بالكوثر(٥٣)، ورَدَّ على عدُوِّه بقوله ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝ ﴾، وطهَّره من الأقذار والأدناس، وبيَّن عصمته في قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، وحماه ممن كان يقصدُ ضَرَّه بيد مغلولة ولسان، ورعاه من نظر العيُون لعينه وكفاه شرَّ طَوَارق الحدَثَان، وأَمَدَّه بحِرَاسة وعِناية محفُوفة باللُّطف والإحسان، وهو الجديرُ بأن يُعظَّم قدرُه عند القدير مُدبِّر الأكوان.

وأحسن مخاطبته في سُورة ﴿ نٓ ﴾، ووعده فيها بأجر غير ممنوع ولا ممنُون، وأثنى عليه ثناءً يَجلُّ أن يحمله رسول النَّسيم، وبالغ في التَّمجيد والتَّأكيد بقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾، وأتحفه تبارك اسمُه في سورة الفتح، بجزيل الصِّلات الواصِلات والمِنح؛ من ظهُوره وغَلَبَته، وعُلُوِّ شِرَاع شريعته وكلمته، وخضُوع من ترفَّع من أعدائه وتكبَّر، وغفران ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وإتمام النِّعمة عليه، وإرسال الهداية إليه، ونصرِه النَّصرَ العزيز، ونصبِ حال من حوله على التَّمييز، وإنزال السَّكينة على قلب من تابعه، ورضاه عمَّنْ تحت الشَّجرة من أصحابه بايعه، إلى غير ذلك ممَّا تضمَّنته آيات السُّوَر المشهورة، وكم له ﷺ من معارِف معرُوفة، ومآثر مأثُورة.

شهد الكتابُ بأنَّ أحمد مرسلٌ ... من صاحب الملكوت جَلَّ جلالُه

(٥٣) الكوثر اسمُ النَّهر، وما ينزلُ من مائه يجتمع في حوض محمَّد ﷺ، دون سائر الأحواض التي أعدَّها الله تعالى لأنبيائه يوم القيامة.

كـم آيـة فـيها اسـمُه تُتلـى وكـم أخـرى بهـا أوصـافُه وجلالُـه[٥٤]

والله أقـسم صـادقًا بحـياته فـي محكـمٍ شـرح الـصُّدُورَ مقالُـه

سـبحان مـن أولاه أنـواع الـوَلاَ وأنالـه مـا لا يُـرام منـالُه

أزكـى الـصَّلاة علـيه مـن ربِّ العُـلا أبـدًا وخـصَّص بالتَّحـيَّة آلـه

(٥٤) بهامش (م): كما في قوله تعالى ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم - بالأصل: غمرتهم - يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢].

٠٣ – فصل: في مولده وشرف نسبه

وأنَّ النبي ﷺ [ولد][٥٥] بمكة أشرفِ البلاد، وأكرمِها على الله سبحانه وعلى العباد، ومن بحر بَحرَتها ظهرت دُرَّتُه اليتيمة، وفي أفُق سمائها طلعت شمسُ طلعتة الوسيمة.

يا لها بلدةً بركاتُها نامية، ومواردُ فضائلها طامية، وأركانُ بيتها بالأمن مأهُولة، وأدعيةُ الطَّائف بكعبتها مقبُولة، وحظُّ القائم بمقامها من السَّعادة واف، وعيشُ السَّاعي بين صفائها ومَروَتها صاف، طُوبى لمن أقبل على حِجرها وقبَّل حَجَرها، وبلغت نفسُه من مِنى مُناها، وقضت من عَرْفِ عَرَفة[٥٦] وطرَها.

وهو صفوةُ أبيه إبراهيم، وبشارةُ عيسى عليهما الصَّلاة والتَّسليم، وصفوةُ سُلالة قريش وصميمُها، ونخبةُ بني هاشم راحلها ومُقيمها، وأشرفُ العرب بدوًا وحضرًا، وأفضلُهم بيتًا وأعزُّهم نفرًا، من قِبل أبيه ذي النَّسب الزَّكي نُور نضرته، وجهة أمه ذات الحسب الزاهر ضَوء زهرته.

إذا افتخـــرت قـــريش بالمعالـــي ... وبالـــشَّرف الـــرَّفيع لـــدى الكـــرام
فهاشـــمُها خلاصـــتُها ومعنَـــى ... عـــبارة مجـــدها بـــين الأنـــام
وســـرُّ صـــميمها مـــن لا يُـــسامى ... رسُـــول الله مـــصباح الظَّـــلام

بعثه الله من خير القُرون والقبائل، واختاره من أرفع البيُوت والمنازل، لأنَّه اصطفى من ولد إبراهيم[٥٧] الخليل، رافعَ قواعدِ البيت معه إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كِنانة، ومن بني كنانة قُريشًا المعروف بالشَّرف والمكانه، واصطفى من قريش بني هاشم، ومن بني هاشم سِرَّ السَّرَاة أبا القاسم، ولم يزل ينقُله

(٥٥) زيادة من (م).
(٥٦) العَرْفُ: الريح طيبة كانت أو منتنة؛ والمراد هنا الطيبة، لشرف البقعة.
(٥٧) بهامش (م): لعله: آدم.
قلت: والصواب ما أثبت، وهو ما توافقت عليه النسختان.

من الأصلاب المأهُولة بأهلَّة الصَّلاح، حتى أخرجه من بين أبويه لم يلتقيا قطُّ على سفاح.

تـنقَّلت فـي أصـلاب أربـاب سُـؤدَد كـذا الـشَّمس فـي أبـراجها تتَـنقَّل
وسـرت سَـرِيًّا فـي بطُـون تـشرَّفت بحَمـل عليه فـي الأمـور المُعـوَّل(٥٨)
هنيـئًا لقـوم أنـت مـنهم وفـيهمُ بـدا مـنك بـدرٌ بالجمـال مُـسَربَلُ
ولله وقــت جـئت فـيه وطالـعٌ سـعيدٌ علـى أهـل الوجُـود ومُقبلُ

ولا يخفى ما جرى عند مولده وانتشر، وما وافى حينَ مَقدَمه المبارك واشتهر(٥٩)، من ظُهور النُّور الباهر، وتدَلِّي النجوم الزَّواهر(٦٠)، وارتجاج إيوان ملك(٦١) الفرس كسرى، وسقُوط شُرَّافاته التي كادت تُعقد بالشّعرى، وخمود نارهم الألفية، وغيض الماء من بحيرة طبريَّة(٦٢)، وحراسة السَّماء بالكواكب، وإضاءة ما

(٥٨) بل المُعوَّل على الله تعالى في الأمور كُلِّها، صغيرها وكبيرها؛ عن عبد الله بن الشِّخِّير: «أنه وفد إلى النبي ﷺ في رهطٍ من بني عامر؛ قال: فأتيناه، فسلَّمنا عليه، فقلنا: أنت وَلِيُّنا، وأنت سيِّدُنا، وأنت أطول علينا طولاً، وأنت أفضلنا علينا فضلاً، وأنت الجفنة الغرَّاء؛ فقال: قولوا قولكم، ولا يستجرِينَّكم الشَّيطان!». رواه: أحمد (٤/٢٥)، وغيره بسندٍ جيدٍ.
فانظر - يا رعاك الله - كيف أنكر هذا القول منهم عليه، وجعل هذا من مكر الشيطان، وتلبيسه، وأمرهم أن يتكلموا بما هو عادَتهم من القول دون تكلُّف. ومهما أثنى البشر عليه ﷺ فلن يبلغوا مبلغ المليك الذي أثنى عليه في أعظم المقامات بوصفي العبودية والرسالة؛ وقد تحققهما ﷺ، وكمل فيهما غاية الكمال.
(٥٩) في (م): واشتهار. والصواب ما في الأصل.
(٦٠) أخرج: الطبراني (٢٥/١٨٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٢١٠) من طريق: يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري: عن عبد العزيز بن عمران: عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان: عن أبيه: عن محمَّد بن أبي سويد الثقفي قال: سمعت عثمان بن أبي العاص يقول: أخبرتني أمي قالت: «شهِدت آمنةَ لمَّا وُلِد رسول الله ﷺ، فلمَّا ضربها المَخاض؛ نظرت إلى النجوم تَدَلَّى حتَّى إنِّي لأقول: إنها لتقعن علي! فلمَّا وُلدت خرج منها نورٌ، أضاء له البيت الذي نحن فيه والدار، فما شيء أنظر إليه إلا نور».
قلت: وهذا خبر ساقطٌ؛ ابن عمران متروكٌ، وابن أبي سُوَيد مجهولٌ.
(٦١) هذه اللفظة سقطت من (م).
(٦٢) أخرج: الأصبهاني في «دلائل النبوة» (١/١٣٤)، والطبري في «تاريخه» (١/٤٥٩)، والخطابي في «الغريب» (١/٦٢٤) من طريق: علي بن حرب الطائي: ثنا أبو أيوب يعلى بن عمران =

بين المشارق والمغارب[٦٣].

وأنَّه عليه [الصلاة و][٦٤] السَّلام أقبل مختُونًا مسرُورًا[٦٥]، وتجلَّى في حُلَل

=

البجلي: ثنا مخزوم بن هانئ: عن أبيه - وكانت له عشرون ومائة سنة - قال: «لما وُلِد رسول الله ﷺ، ارتجَّ إيوان كسرى، فسقطت منه أربع عشر شُرفَةً، وخَمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة، ورأى الموبَذان - هو: قاضي المجوس - ؛ كأنَّ إبلاً صِعابًا تقود خيلاً عِرابًا حتى عبَرت دَجلة، وانتشرت في بلاد فارس...»؛ وذكر خبرًا طويلاً.

قلت: علي بن حرب ثقةٌ، ومن فوقه مجهولون، وفي صحبة هانئ المخزومي نظرٌ!

(٦٣) أخرج: ابن سعد في «الطبقات» (١/١٠١) من طريق: محمد بن عمر الواقدي بأسانيد له عن غير واحد من الصَّحابة والتابعين، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض: أنَّ آمنة بنت وهب قالت: «لقد علِقت به - تعني: رسول الله ﷺ - ، فما وجدت له مَشقَّةً حتى وضعته، فلما فُصِل مَنِّي خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثمَّ وقع على الأرض مُعتمِدًا على يديه، ثم أخذ قبضةً من تُرابٍ، فقضبها ورفع رأسه إلى السَّماء».

وهذا سندٌ ساقطٌ، والبلاء من الواقدي.

ويُغني عنه؛ ما رواه: أحمد (٢٢٣١٥)، وابن سعد (١/١٠٢)، والطبراني (٨/١٧٥)، والروياني (١٢٦٧) من طرق: عن الفرج بن فضالة: ثنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة قال: «قلت: يا نبي الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنَّه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشَّام».

وهذا سندٌ حسنٌ، وله شواهد يصحُ بها. انظر: «الصحيحة» (١٩٢٥).

فائدة: تخصيص الشَّام بظهور نوره؛ لأنها دار ملكه ومحلُّ سلطانه، وفي وصفه في الكتب السَّابقة: «محمَّد رسول الله مولده بمكة، ومهاجرته يثرب، وملكه بالشام»؛ ففي ذلك إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشَّام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان مَعقِلاً للإسلام، وبها ينزل عيسى بن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشَّرقية البيضاء منها؛ ولهذا جاء في «الصحيحين»: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، وفي صحيح البخاري: «وهم بالشام».

راجع: «تفسير ابن كثير» (١/١٨٥)، و«فيض القدير» (٣/٥٧٣).

(٦٤) زيادة من (م).

(٦٥) أورد الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٢٦٥) ما في هذا الباب من أخبار؛ ثم ختم ذلك بقوله: «وقد ادَّعى بعضهم صحَّته لما ورد له من الطُّرق، حتَّى زعم بعضهم أنَّه متواترٌ؛ وفي هذا كُلِّه نظرٌ!».

- مختونًا؛ أي: مقطوع الختان.

- مَسرورًا؛ أي: مقطوع السُّرَّة من بطن أمه.

=

النُّبوة محبُوبًا محبُورًا، واستُرضِع في بني سعد بن بكر، وبُرِّئ من أقوال أهل المَينِ[٦٦] والمكر.

وشُقَّ قلبُه الحيُّ المتَّقي، وغُسل بثلج الإرادة حتى نَقِي، وخُتم بخاتم من نُور، تخفي بهجته الشُّموس والبدور، ومُلئ إيمانًا وحكمة، وحُشِي بالرَّأفة والرَّحمة، ووُزن بمائة من أمَّته فرجَح، ولو وُزن بجميعهم لتبيَّن ترجيحُه واتَّضح.

نَبــيٌّ طَمَــى بحــرُ تــشريفه ... وميــزانُ تعظــيمه قــد رجــح

بمَقدَمــه زال عــنَّا العــنا ... وآن الــنَّدى والمُنَــى والفــرح

لقــد رفــع الله مــن قَــدره ... كثيــرًا ولِلــصَّدر مــنه شَــرَح

وأورثــه حكمــةً حُكمهــا ... بــه الحــقُّ بعــد الخفــاء اتَّــضح

ألا إنَّ مــن يقتفــي نهجــه ... أصــاب ومَقــصِدُه قــد نجــح

وما رُفِع به عن حليمة ظِئره[٦٧] من الضَّير، وما حصل لها ولقومها ببركته من أنواع الخير، وما نشأ عليه من بُغض الأصنام، والعِفَّة عن أمور الجاهليَّة قبل الإسلام، وما ترادفت به الأخبار، عن علماء الملل والأحبار، وما عَرَّف به الأساقف، وطرق الأسماعَ من الهواتف.

وما أنذر بها الكهَّان، ونُقِل عن القُسوس[٦٨] والرُّهبان، من أنبائه وصفاته، وأسمائه وعلاماته، ونُبوَّته ومِلَّته، وبعثَه ونعت أمَّته، وما وُجد من ذلك في أشعار الموحِّدين، وذُكر من كلام مَن مضى مِن المتقدِّمين، وما أُلفي في التَّوراة والإنجيل، وبَيَّنَهُ من أَسلَم من أهل الكُتُب والتنزيل، وما برَزَ على ألسنة الأصنام وظهر، وسُمِع من ذبائح النُّصُب وأجواف الصُّور، وما رُئي مكتُوبًا على الحجارة بالخطِّ القديم، من ذكر اسمه والشَّهادة له بالرِّسالة والتَّعظيم.

ولقد خصَّه الله بمزايا الرُّتب، وأعرب عن تفضيله على العجم والعرب، ونظر

=

وانظر: «فيض القدير» (١٥/٦)، و«التمهيد» (٦١/٢١).

(٦٦) وهو الكذب.

(٦٧) في (م): ظير. والصواب ما في الأصل.

(٦٨) بالأصل: الفسوق؛ والتصويب من (م).

إلى قلوب عباده فانتقى منها قلبه، وسبر[٦٩] أحوال خلقه للتَّقريب منه فلم يختر إلاَّ قُربه، وقسم الناس قسمين فجعله في خيرهم قسمًا، وزكَّاه أبًا وأمًّا وأصلاً وفرعاً ورُوحًا وجسمًا.

لِمولدِ خير الرُّسل أحمدَ أصبحت — وجوه الهدى وضَّاحة مُتبلِّجَه
وأشرقت الدنيا بأنوار بدره — وعادت به أرجاؤها متأرِّجه
وإيوان كسرى أُسقطت شُرُفاتُه — وحُلَّت عُرى أبراجه المتبرِّجه[٧٠]
ونيران بيت الفرس باخَ[٧١] لهيبُها — وكانت لديهم ألف عام مؤجَّجه
وكم آية جاءت قرين[٧٢] قدومه — تنير من الحق المطهَّر منهجه

(٦٩) في (م): ستَر. والصواب ما في الأصل.
(٧٠) في (م): المُنبَرِجَه. والصواب ما في الأصل.
(٧١) بهامش (م): أي: خمد.
(٧٢) بهامش (م): لعله: قريب.
قلت: والصواب ما أثبت، وهو ما توافقت عليه النسختان.

٠٤ - فصل: في أوصافه ونعوته

كان النبي ﷺ عظيم الهامة[٧٣]، مُعتدل القامة، أزهر اللّون أدعَج، أهدَب الأشفار أبلَج، كثُّ اللحية[٧٤] واضح[٧٥] الجبين، مُفلَّج الأسنان[٧٦] أقنى العِرنين[٧٧]، متماسك البدَن[٧٨]، أزجّ الحواجب من غير قَرَن[٧٩]، أَسيل الخدَّين[٨٠]، طويل الزّندَين[٨١]، عَبْلَ العضُدين[٨٢]، بعيد ما بين المنكبين[٨٣]، رحب الكفَّين[٨٤]، مسيح القَدَمين[٨٥].

أَشَمّ[٨٦]، ضَلِيعَ الفَم[٨٧]، أَشْنَب[٨٨]، أطول من المربُوع

---

(٧٣) الهامة - بالتَّخفيف - : الرأس.

(٧٤) أي: كَثُرت أُصولها وشعرها، إلاَّ أَنَّها معتدلة، لا دقيقة ولا طويلة.

(٧٥) كذا بالأصل؛ والصَّواب: واسع الجبين. يعني: الجبينين، وهما ما اكتنف الجبهة عن يمين وشمال؛ والمراد بسعتهما امتدادهما طولاً وعرضاً، وذلك محمودٌ محبوبٌ.

(٧٦) أي: مُفرَّجُ ما بين الثَّنايا.

(٧٧) أي: أعلى أنفه مرتفع، ووسطه مُحدَودِبٌ، دقيق الأرنبة فيه طولٌ.

(٧٨) أي: يمسك بعض أعضائه بعضاً، مع تقدُّم السن.

(٧٩) أي: مرققهما مع تقوُّسٍ وغزارة شَعرٍ، قد طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا.

(٨٠) أي: ليس فيهما نتوء ولا ارتفاع، وذلك أعذب عند العرب.

(٨١) الزَّند: موصل طرف الذراع في الكف.

(٨٢) أي: عظيم ما بين المرفق إلى الكتف.

(٨٣) أي: عريض أعلى الظهر؛ المنكب: مجتمع عظم العضد.

(٨٤) فكانت مع ضخامتها وغلظ عظامها، لينة الجلد. وذلك محمود في الرجل لكونه أشد لقبضه، فاجتمع له نعومة البدن وقوته.

(٨٥) أي: أملسهما مُستوِيَهما، لينهما بلا تكسر ولا تشقُّق جلد.

(٨٦) أي: أنفه مرتفع القصبة، مشرف الأرنبة.

(٨٧) أي: عظيمه مع رقة شفتيه وحسن فيهما، وقوة فصاحته.

(٨٨) أي: أبيض الأسنان مع بريق ورونق وتحديد فيها.

وأقصر من المُشَذَّب(٨٩)، ليس بمُطهَّم، ولا قصير الذَّقن مُكلثَم(٩٠)، رَجِل الشَّعر(٩١)، لُجَينِيَّ الجِيد(٩٢)، أحلى الناس من قريب، وأجملهم من بعيد، دقيق المسرُبَة(٩٣) واسع الصَّدر، يتلألأ وجهُه تلؤلؤ القمر ليلة البدر. الشَّكَل(٩٤) ظاهرٌ بعينيه، لا يجاوز شعرُه شَحمَةَ أُذُنَيه(٩٥)، إذا مشى كأنَّما يَنحطُّ من صَبَب(٩٦)، وإذا نطق أتى من جوامع الكَلِم بالعَجَب.

جميلُ الصِّفات جزيلُ الصِّلات ... عزيزُ الهِبَات كثير الأدَب
بديعُ الجمال رفيعُ المنال ... عديمُ المثال عظيمُ الحَسَب
مَليحُ الشَّمائل بادي السَّنا ... بسيطُ الأنامل عالي الرُّتَب
به أرشد الله أهل النُّهى ... به شرَّف الله جيل العرب

وكان طيِّب الريح والاسم، نظيفَ البدن والجسم، أطيبَ ريحًا من العنبر، وألذَّ عَرفًا من المسك الأذفر، يتضوَّع طِيبًا، ويهتزُّ غُصنًا رطيبًا، تختفي من شَذَاه جُونة العطَّار(٩٧)، وتَتَأرَّجُ بنشره الأرجاء والأقطار.

يصافحُ الرجل فيَظَلُّ يومه يجد في كفِّه نشرًا، ويضعُ يده على رأس الصَّبي فيُعرف من بين الصِّبيان عطرًا، ما مشى في طريق فمشى فيه أحد من بعده، إلاَّ عَرف أنه سلكه من ريحه الذي لا نَدَّ كنَدِّه(٩٨).

وجه الوجود بنور أحمدَ مُشرقٌ ... وبعَرفه أرجاء تتأرَّج(٩٩)

(٨٩) هو البائن الطول مع نحافة. أي: أنه كان يضرب إلى الطول.
(٩٠) أي: لم يكن وجهه مستديرًا كاملاً، بل كان فيه تدويرٌ ما، لحمُه مجتمعٌ بلا جهومة.
(٩١) فلا هو جعد كشعور السُّودان، ولا مسترسل فلا يتكسر منه شيء كشعور الهنود.
(٩٢) أي: كأنَّ عنقه لحسن لهيئة وصفائه وإشراقه قطعة من فضة.
(٩٣) فكان الشعر الذي كأنه قضيبٌ من الصَّدر إلى السُّرة مستطيلاً لا منتشرًا.
(٩٤) هو حمرة تخالط بياض العين.
(٩٥) إذا هو وفَّره، فإن طال واسترسل وصل إلى المنكب.
(٩٦) أي: كأنه منحدر من علو إلى أسفل، فلا إسراع ولا إبطاء.
(٩٧) هي سلة صغيرة مستديرة، مُغشَّاةٌ أدَما تكون مع العطارين.
(٩٨) النَّدُّ - بفتح الدال - : ضَرْب من الطيب يُدَخَّن به.
(٩٩) هذا البيت ساقط من (م).

الطِّيب يُطوى عند فائح نشره ... والرَّوض يخفى زهرُهُ المتأرِّج

وكان دَمِث الأخلاق، عزيز الإرفاد والإرفاق، خافض الطَّرف سابل الأطراف، جميل المحاسن جميل[١٠٠] الأوصاف، ثابت الأساس، قويَّ الحواس، يرى الشَّياطين ويرى الملائكة، وكما يبصر في الضَّوء يبصر في الظُّلمة الحالكة[١٠١]، وينظر من ورائه كما ينظر من بين يديه[١٠٢]، ويَرى في كف الثُّريَّا أحد عشر نجمًا إذا نظر إليه[١٠٣].

ضحكُه التبسُّم، وشِيمتُه التكرُّم، يفترُّ عن مثل حَبِّ الغمام، ويبدأ من يُلاقيه بالسَّلام، يخرج النُّور من بين ثناياه، ويغار النَّسيم[١٠٤] من لُطف سجاياه، الملاحظة جُلُّ نظره[١٠٥]، والمناصحة غايةُ وَطَره، يمشي هَونًا لا سريعًا[١٠٦]، وإذا التفت التفت جميعًا.

أكــرِم بــه ذا وقــارٍ ... يمــشي علــى الأرض هــونًا

---

(١٠٠) بهامش (م): لعله جليل.

قلت: وهذا متجه، لولا اتفاق النسختين على المثبت.

(١٠١) أخرج: الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٧١/٤)، وابن عدي في «الكامل» (٢١٩/٤) من طريقين: عن زُهير بن عبَّاد: ثنا عبد الله بن المغيرة: عن المعلى بن هلال: عن هشام بن عروة: عن أبيه: عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يرى في الظُّلمة كما يرى في الضوء».

قلت: وهذا خَبرٌ مُختَلَقٌ؛ والحمل فيه على المعلَّى، فقد اتَّفقوا على تكذيبه.

انظر: «الضعيفة» (٣٤١).

(١٠٢) هذا مقيَّدٌ بالصَّلاة؛ كما صحَّ عند: مالك (٣٩٩)، وعنه البخاري (٤٠٨): عن أبي الزناد: عن الأعرج: عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قبلتي ههنا؛ فوالله ما يخفى عليَّ خشُوعكم ولا ركُوعكم، إنِّي لأراكم من وراء ظهري».

قال الحافظ في «الفتح» (٥١٤/١): «هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة، وعلى هذا عمل المصنِّف، فأخرج هذا الحديث في علامات النُّبُوَّة، وكذا نُقِل عن الإمام أحمد وغيره».

(١٠٣) لم أقف عليه.

(١٠٤) في (م): النَّسَم. والصواب ما في الأصل.

(١٠٥) أي: نظره في معظمه بشق العين مما يلي الصُّدغ.

(١٠٦) يرفع رجليه رفعًا بائنًا متداركًا إحداهما بالأخرى مشية أهل الجلادة، وتمايل إلى قدام، مشيًا هيِّنًا بلين ورفق مع سعة الخطوة.

عـــند المهمَّـــات ذُخـــرًا وفـــي المُلِمَّـــات عَـــوناً(١٠٧)
ســـاد النبيّـــين طُـــرًّا علمًـــا وفـــضلاً وصَـــونًا
لأنـــه بـــين عُلاهـــم وبـــين عَلـــيَاه بَـــونًا

وكان طويل السُّكوت، مُواظباً على القنُوت، دائم الفكرة، ملازم العَبرَة، مُتواصل الأحزان(١٠٨)، مُتحلّيًا بالعدل والإحسان، لا يُعجبُه من مَالَ إلى المال فَلَهَا، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصرُ لها، يُعظِّم النعمة وإن دقَّت، ويصبر على المحنة وإن شَقَّت، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفةً أحبَّه ولَزم بابه، لم يُر أحسن منه منظرًا، ولا أطيب خُبرًا ومخبرًا، يبادر إلى قضاء حاجة من يبتغي فضله، يقول ناعتُه: لم أر قبله ولا بعده مثلَه.

مـــن أيـــن يُـــوجد قـــبله أو بعـــده مِـثلٌ لـه وهـو الحبـيبُ المـصطفى
الله فـــضَّله وحـــسَّن خَلقـــه وبـــه الأذى عـــنَّا نفـــى(١٠٩)
طوبـى لمـن بجمـيل سـيرته اقـتدى وطـريق سُـنَّته المعظمَّـة اقتفـى
صـلى علـيه مُنيـر بـدر صـفاته مـا لاح فـي الآفـاق نجـم أو خفـى

---

(١٠٧) هذا ربُّنا، أمَّا نبيُّنا، فهو بشرٌ ﷺ مثلنا، خُصَّ بالوحي من دوننا. وقد أوصى ﷺ ابن عمِّه بقوله: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعُوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف». رواه: الترمذي (٢٥١٦)، وغيره بسندٍ صحيحٍ.

(١٠٨) أي: لا ينفكُّ الحزن عنه أبدًا؛ فلم يُر مستجمِعاً ضاحكاً لعلمه بربه.

قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٥٠٥): «والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسُّم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه؛ لأنَّه يُذهِب الوقار، ويُقسِّي القلب». اهـ. بتصرُّفٍ يسيرٍ.

(١٠٩) بهامش (م): لعل هذا الشطر ناقص، ولعلَّه: بلا ريب نفى.

قلت: بل الصواب ما اتفقت عليه النسختان.

٠٥ - فصل: في فصاحته وأدبه وحلمه

كان النبي ﷺ يعرفُ ألسنة العرب، ويعلم لغة من بعُد منهم أو اقترب، ويخاطب كُلَّ طائفة منهم بلسانها، ويجري مع كُلِّ فرقة في ميدان بيانها، فصاحتُه إليها المنتهى، وبلاغتُه حيَّرت ألباب أرباب النُّهى، وجوامعُ كَلِمِه مأثُورة، وبدائعُ حِكَمِه مشهُورة، وعيُون معانيه مُنسجِمة، ودُرَرُ ألفاظه مُنتَظمة، وإيجازُ مَقاطعه يُطرب الأسماع، وحُسن مَنازعه لا شكَّ فيه ولا نِزاع، وطلاوةُ قوله تجِلُّ عن الصِّفة، وحلاوةُ مَنطِقه لا يذُوقها إلاَّ أهل المعرفة، أُنزل القرآن الكريم بلسانه، تعظيمًا لأمره ورفعةً لشأنه.

ما أعذب لفظه، وأنفع وَعظه، وأجزل فوائده، وأجمل فرائده، وأبلغ خطابه وخُطَبه، وأبدع رسائله وكتبه، نشأ في بني سعد ورُتبتُه في قريش عالية، فجمع من الكلام رَونَق الحاضرة وجَزَالة البادية، وأُيِّد ببراعة خَصَّه بها من حَكَم بتوفير قِسمِه، ولَسَنٍ مَدَدُهُ الوحي الذي لا يُدركه البشر ولا يحيطُون بشيء من عِلمِه.

محمَّدٌ أبلغُ العرب الذي نضـرا(١١٠) نعم وأفصحُ من بالضَّاد قد(١١١)نَطقَا
جوامـعَ الكَلِـم المأثُـور طَيِّـبُها آتَـاهُ مـن أَوْجَـد الإصبَاحَ والغَسَقَا
لله ألفاظُـه اللاَّتـي لـنا نَـشَرت جواهـر العلـم مـن تبـيانها نَـسَقَا
مـن قـال أنَّ رسـول الله لـيس لـه كفؤٌ من الناس في الدَّارين قد صَدَقَا

وكان ذا آداب شريفة، ومعارف مُنيفة، ونظر ثاقب، ورأي صَائب، وظنٍّ صادق، وحَدس مُوافق، وسياسة شاملة، وحماية كاملة، وفضائل مقصُودة، وأخلاق محمُودة، ودينُه الإيمان، وخلقُه القرآن، يسخطُ بسخطه ويرضى برضاه، ويحذُو حَذوَهُ ويهتدي بهُداه.

---

(١١٠) بهامش (م): لعله: الذين مضوا.

(١١١) في (م): الذي. والصواب ما في الأصل.

بُعث ليُتِم[١١٢] مكارم الأخلاق، ويَرحضَ شُقَّة الأرض من دَنَس النِّفاق، مُقرِّراً للشَّرائع، حافظاً للودائع، مجتهداً في المصالح، رائضاً للجوانح، ناظراً في المهمَّات، رافعاً أثقال الملمَّات.

آداب خيـــر الرســـل قـــد قارنـــت   أخلاقَـــه الحـــسنى وتهذيـــبَه
لا يحـــصُر الخاطـــرُ أوصـــافها   ولـــو أثـــار الفكـــر تلهيـــبه
وكـــيف لا والله ذو العـــرش إذ   أدَّبـــه أحـــسن تأديـــبَه

وكان عزيز الحِلم والاحتمال، كثير الفضل والإفضال، يصلُ من قطَعَه، ويُعطي من منعه، ويبذُل لمن حَرَمه، ويعفُو عمَّن ظلمه، ويُغضي طرفه على القذى، ويحبسُ نفسَه عند الأذى، ولا ينتقِم مع القُدره، ويصبر على ما يُشَقُّ ويُكرَه، ولا يزيد مع أذى الجاهل وإسرافه إلاَّ صبرًا وحلمًا، وما خُيِّر في أمرين إلاَّ اختار أيسرَهما ما لم يكن إثمًا.

ولم يُؤاخِذ الذين كسرُوا رباعيته وشجُّوا مُحَيَّاه، وقصدُوا خفض المرفُوع من عَرفِه ورَيَّاه[١١٣]، بل دعا لهم واعتذر عن جهلهم، وعفا عنهم وكم عفا عن مثلهم، وتجاوز عن ما بدا من المنافقين في حقِّه قولاً وفعلاً، ولم يقابل من شتمه ولا من أراده بسُوء طَولاً[١١٤] وفضلاً، وكم أعرض عن جاهل ومعاند، وما ضرب بيده شيئاً قطُّ إلاَّ أن يجاهد، وصبر على مقاساة الجاهليَّة، وعلى ما لقي منهم من الشدَّة والبليَّة، إلى أن سلَّطه الله عليهم، وحكَّمه فيهم وأظفره الله بما لديهم.

كـــان النبـــي الـــذي رَاقَـــت شـــمائلُه   بـــالحِلم مُؤتـــزرًا والـــصَّبر مُـــشتمِلا
يعفُـــو ويـــصفح فـــضلاً بعـــد مَقـــدُرَة   ويحبسُ النَّفس عند[١١٥] الشرِّ محتملا
ومـــا يقابـــل مـــن يأتـــي بمظلمـــة   فـــي حقِّـــه مُعرضًـــا عـــن قـــول مـــن جهـــلا

(١١٢) كذا في (م)، وبالأصل: ليتم به. والصواب الأول.
(١١٣) الرَّيَّا: الرِّيحُ الطيبة. وريَّا كل شيء طِيبُ رائحتِهِ.
(١١٤) بهامش (م): بفتح الطاء. هـ.
(١١٥) في (م): عن.

وكـم غـدا آمـرًا بالعُـرف مجـتهدًا   وكـم أنـال وكـم أعطـى وكـم بـذلا

تفـضيلُ تفـضيله لا ينقـضي أبـدًا   يـا ذا الـولا فخُـذ أوصـافه جُمَـلا

منِّـي علـيه سـلامٌ نَـشرُهُ عَطِـرٌ   ما سار بدرُ الدُّجى في الأفق مُنتَقِلا

٠٦ - فصل: في جوده وكرمه وشجاعته

كان النبي ﷺ عالي الهِمم، وافر الفضل والكرم، طويل الباع، مَدِيدَ الذِّراع، بسيط الأنامل، كريم الشَّمائل، جميل العواطف، جليل المعارف، مُحِبًّا للحياء، مطبُوعًا على السَّخاء، سَهل الإنفاق، جَزل الإرفاق، مُهتمًّا بصلة الأرزاق، أين منه الغيثُ المُغيث والبحرُ الغَيدَاق.

يحقِّقُ الوسائل، ولا يخيِّبُ أَمَل الآمِل، يبذُل الرَّغائب، ويُعين على النَّوائب، يحمل الكَلَّ ويُكسِبُ المعدُوم، ويُجري سَيلَ السَّيبِ[116] على السَّائل والمحرُوم، ويمدُّ أطناب الرَّفْدِ وأرْوَاقَه، ويعطي عطاء من لا يخشى الفَاقَه، ويُنيل من أَخلَدَ إليه ما لم يكن في خَلَدِه، ولا يدَّخرُ شيئًا من يومه لغده.

أسخى من الغمائم المُثقَلَة، وأجرى بالخير[117] من الرِّيح المرسلة، ظلالُ عطاياه مَديدة، وحُلَل مَكارمه لا تبرح جديدة، تمتار السَّحائب من يَمِّ أياديه، وتَهرَعُ الرَّكائب إلى ندى ناديه، ما سُئل عن شيء فقال لا، ولا أَعرضَ عن طالبِ عَرَضٍ ولا قلا.

أعطى رجُلاً غنمًا بين جبلين، ولم يَزَل معرُوفُه معرُوفًا عند الثَّقلين، وقسم في مجلس واحد تسعين[118] ألفَ دِرهم، وكم أنجد بعطائه من أَنجد ومن أَتهَم، وأعطى مائة من الإبل غير واحد من العَرَب، وجاد للعبَّاس بما لم يُطِق حَملَه من الذَّهب،

---

(١١٦) هي: العطيَّة.

(١١٧) بهامش (م): لعله: من الريح.

قلت: الصواب أن ثمة سقطا بنسخته، والعبارة كما أثبت بالأصل.

(١١٨) كذا؛ والصَّواب: ثمانين؛ كما رواه: الحاكم (٥٤٢٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١٥/٤) من طريق: هاشم بن القاسم: حدثنا سليمان بن المغيرة: عن حميد بن هلال: عن أبي بردة: عن أبي موسى الأشعري: «أنَّ العلاء بن الحضرمي بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفاً، فما أتى رسول الله ﷺ مال كان أكثر منه لا قبل ولا بعد؛ فأمر بها فنُشرت...».

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ولم يخرجه. ووافقه الذهبي. وهو كما قالا.

ورَدَّ سبايا هوازن وكانوا ستَّة آلاف، وخبر ما مَنَح به صفوان وغيره عن عِلم الرُّواة غير خاف.

لقد كان المُقفِّي سَيلَ سَيبٍ ... وبحر تكرُّم وسحابَ وَبل
طويل الباع منشرِح العطايا ... بَسيطَ الكفِّ ذا جُود وفضل
شريف المُنتمَى جَزل الأيادي ... حليف تُقًى وإحسانٍ وعدل
يجود على العُفاة[١١٩] بلا سؤال ... وينجز وعدَه من غير مَطل
له شِيَمٌ وأوصافٌ حِسان ... يفُوح أنابها[١٢٠] في كُلِّ حفل
يَجِلُّ من البرية عن نظير ... وعن كفؤ يقاسُ به ومِثل

وكان ذا شجاعة ونجدة، وبسالة وشدَّة، وبأس وشهامة، وحماية وصرَامة، وصَولَة وإقدام، وإرغام للضِّرغَام، يُشتِّت شمل الكماة، ويُنهكُ وجُوه الحماة، ويُبطل حيلة[١٢١] الأبطال، ويفرِّق جمع الأقيال، غزواته معدودة، ومشاهده مشهُودة، وحرُوبه لا تُنكر، ومواقفُه أشهر من أن تُذكر.

حضر الوقائع الحامي وَطيسُها[١٢٢]، وشَهِد الملاحم العَرَمرَم خميسُها، وتولَّى الكماة عنه وهو مُستقِرٌّ غير مرَّة، وفرَّ المسلمون من حوله يوم حنين فَرَّةً مُرَّة، وهو ثابت لا يبرَح، ومُقبلٌ لا يُدبر ولا يتزحزح، قائلاً: أنا النبي لا كذب، أنا ابنُ عبد المطلب.

ما قرُب منه أحد إذا التقى الجمعان، إلا وَعُدَّ من أُسُد الكُماة والشُّجعان، وما لقي كتيبةً إلاَّ وكان أوَّل ضارب، ولا تواثَب القوم لوقع صوت إلاَّ وكان أسرع واثب.

ولم يُر أثبت جأشًا منه في الجهاد، ولا أقرب إلى جهة المشركين وقت

---

(١١٩) العُفاةُ: طلاَّب المعروف الواحد عافٍ.

(١٢٠) بهامش (م): الإناب كسحاب المسك، وقوله حَفل في «القاموس» جمع حفل، أي: كثير، فهو هنا على حذف مضاف.
الأَنابُ: ضرَبٌ مِن العِطْرِ يُضاهي المِسْكَ.

(١٢١) في (م): جبلة. والصواب ما في الأصل.

(١٢٢) الوطيس: عبارة عن شدة الحرب. كذا بهامش الأصل.

الجِلاد، قال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد، ولا أرصن[١٢٣] من رسول الله ﷺ ولا أجود[١٢٤]، وقال علي: كُنَّا نَتَّقي برسول الله ﷺ إذا اشتدَّ البأس[١٢٥] واحمَرَّت الحَدَق[١٢٦]، وفي هذا الحديث الحسَن ما فيه مما يخطُب كاعِب السُّرور ويجلب الأنَق[١٢٧].

بـأسٌ وشِـدَّةٌ نجـدةٌ وحماسـة ... رُكِّبن في من وجهه يجلو الغسق
ذاك النبي المصطفى الهادي الذي ... سبق النبيين الكرام بما سبق
كم شَتَّتَ[١٢٨] شمل المشركين بسيفه ... وأحَلَّهم سجن الحفيظة والحَنَق
كـم ألَّـبُوا وتجمَّعـوا للقائـه ... فتفـرَّقوا لما رأوه من الفَـرَق
من قـال إن محمَّـدًا أوفى الـورى ... يـوم الوغـى عـزمًا وإقـدامًا صدق
صلى عليه المالك القدُّوس ما ... هَتَف الحَمام الوُرْقُ[١٢٩] ما بين الوَرَق

(١٢٣) بهامش (م): أي: أثبت.
(١٢٤) رواه: ابن سعد في «الطبقات» (١/٣٧٣)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/٣٢) من طرق: عن مِسعر بن كدام: عن عبد الملك بن عمير: عن ابن عمر قال: «ما رأيت أحداً أجودَ، ولا أنجدَ، ولا أشجعَ من رسول الله ﷺ». وسنده صحيحٌ.
(١٢٥) بالأصل: اشتدب الناس. والصواب ما في (م).
(١٢٦) أخرج: أحمد (٦٥٤)، وابن أبي شيبة (٣٢٦١٤)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٥١) من طريق: وكيع: ثنا إسرائيل: عن أبي إسحاق: عن حارثة بن مضرب: عن علي قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلُوذ برسول الله ﷺ وهو أقربُنا إلى العدو، وكان من أشدِّ الناس يومئذ بأسًا».
قلت: وهذا سندٌ رجاله ثقات، ولا يخشى إلاَّ من عنعنة السبيعي!
وله شاهد عند: مسلم (١٧٧٦)، وغيره من حديث البراء بن عازب قال: «كنا والله إذا احمَرَّ البأس نَتَّقي به، وإنَّ الشُّجاع مِنَّا للَّذي يُحاذي به». يعني: النبي ﷺ.
(١٢٧) الأنق: الفرح. كذا بهامش الأصل.
(١٢٨) بهامش (م): لعلَّه شقَّ. والصواب ما اتفقت عليه النسختان.
(١٢٩) ويقال للحمامة وَرْقاءُ؛ لأنَّ في لونها بياضًا إلى سواد.

٠٧ - فصل: في حيائه وأنسه ولطفه وشفقته

كان النبي ﷺ أكثر النَّاس حياءً، وأوقرهم عن العورات إغضاءً، وأوسعهم صدراً، وأنوَرهم بدراً، وأجملهم وصفاً، وأجزلهم لُطفاً، وأعطفهم نائلاً، وألطفهم شمائلاً، وألْيَنَهم عريكةً وأكرمهم عِشره، وأحسنهم أدباً وأبهجهم نَضره، وأدومهم بشراً وأُنساً، وأبسطهم خُلقاً وأطيبهم نفساً. أشدَّ حياء من العذراء في خِدرها، وألطف من نَسَمات الأسحار عند هُبوبها وممرِّها، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سَخَّاب، ولا فحَّاش ولا مدَّاح ولا عَيَّاب.

يُؤلِّف النَّاس ويُحسنُ إليهم، ويُكرم كريم كُلِّ قوم ويُولِّيه عليهم، ولا يطوي عن بَشر بشرَه، ولا يُشافه أحداً بما يكرَه، ولا يُثبتُ بصرُه في وجه أحد من حيائه، ولم يُر قطُّ مادًّا رجليه بين جلسائه(١٣٠)، ويتفقَّد أصحابه، ولا يُغلق عن الوفد أبوابَه، ولا يقطع عن أحد حديثَه، ولا يمنع عن الملهُوف سُحُبه المُغِيثه، ولا يعدِل عمَّن جالسه لحاجة ولا ينحرف، ولا ينصرف عنه حتى يكون هو المنصرِف، وما التقم أحدٌ أُذنه فنحَّى رأسه حتى يتنحَّى المُلتقِم، ولا يَحسب جليسُه أنَّ أحداً أكرم منه عليه لما يرى من إحسانه المُرتكِم(١٣١).

لــه ســيرة مأثــورة ســار ذكــرها ... وبــشرٌ لمــن يلقــاه لاحــت بــشائرُه
وأُنــسٌ يــرَى الإنــسان مــنه مَــسَرَّةً ... وفـيه رجـاءٌ طـار فـي الحـي طائـرُه
وبَــسطةُ أُنــسٍ للنَّــزيل نفيــسة ... وغيثٌ مُجيبُ الغَوثِ عمَّت مَواطرُه

---

(١٣٠) رواه: أبو نعيم في «الحلية» (٩/٢٥٠)، والذهبي في «السير» (١٢/٢٠٦) من طريق: محمد بن أسلم الطوسي: ثنا عبد الحكم بن ميسرة: ثنا ابن جريج: عن أبي الزبير: عن جابر قال: «ما رئي رسول الله ﷺ - أو قال: ما رأيت رسول الله ﷺ - مادًّا رِجليه بين أصحابه».
قال أبو نعيم: غريبٌ من حديث ابن جُرَيج، لم نكتبه إلاَّ من حديث محمد بن أسلم.
قلت: وهو ثقةٌ، والحمل فيه على شيخه، وابن جريج وأبو الزبير مدلِّسان، وقد عنعنا.
وقد قال الذهبي في «المغني» (١/٣٦٧): هذا منكرٌ.

(١٣١) بهامش الأصل: المرتكم؛ هو: المجتمع. (ن)

أَيَا من يرُوم الحَصر من نَعتِ أحمدِ أَفِــق فهُــو بحــرٌ لا تُعــدُّ جواهــرُه

وكان يقبل الهديَّة ويكافئ عليها، ويثابرُ على المَعونة ويُسارع إليها، ويُجيبُ دعوة المسكين والمسكينة، ويعود المرضى في أقصى المدينه، ويخفِّفُ الصَّلاة بسبب طالب الحاجه، ويُكثِر إلى التَّغافل معاده ومعاجه(١٣٢)، ويقبل عُذر المعتذر بالقَبُول، ويُطلعُ لزَائرِه نجوم إكرام ليس لها أُفول، ويُؤثر من يدخل عليه بوسَادتِه، ولا يخرج في مكارم الأخلاق عن عادتِه.

ويدعو أصحابه بكُناهم وأحبِّ أسمائهم، ويميل إلى مخاطبتهم ومحادثتهم ومداعبة(١٣٣) أبنائهم، ولا يُجيب أحداً منهم ومن أهل بيته إلاَّ بالتَّلبيه، ويَعُدُّ كُلاًّ من جُلسائه من مودَّته بالتَّسويه، ويجزي على من أمَّه وأَمَّلَه نيلَ النَّوال، ولا يردُّ ذا الحاجة إلاَّ بها أو بميسور من القَوَال(١٣٤)، قال أنس: خدمتُه عشر سنين، فما قال لشيء صنعتُه: لم صنعته؟ ولا لشيء تركتُه: لم تركته؟

رســول حلــمٍ ورحمــةٍ ورضــى مُقــدَّسُ الخُبــر طَــيِّب الخَبَــرِ
أُنــسُ وَحــيدٍ وغَــيثُ مُنــتَجع كهــفُ طَــريدٍ وعــونُ مُفتَقِــرِ
يُكــرمُ أصــحابه وزُمــرته ويلتقــيهم بأحــسن الــصُّورِ
مــاذا يقــول البلــيغ مجــتهداً فــي حقِّــه وهــو سـيِّد البــشرِ

وكان ذا شفقةٍ تامَّه، ورأفة عامَّه، ورحمة شامله، وحُنُوٍّ سحائبه هامله، يُحبُّ الرِّفق ولا يعدل عن جهاته، وإذا سمع بكاء الصَّبي تجوَّز في صلاته، ويأمر بالحسنة ويُدني أهلَها، ولا يجزي بالسيِّئة مثلَها، ولكن يعفو ويصفح، ويتجاوز عن المسيء ويسمح، ويدفع بالتي هي أحسن، ويأتي من المعروف(١٣٥) بما أمكن، ويصلُ الرَّحم

---

(١٣٢) بهامش (م): أي: رجوعه.

ولله درُّ الإمام المُطَّلبي الشَّافعي إذ يقول: «اللَّبيب العاقل؛ هو: الفَطِن المتغافل». رواه: البيهقي في «الشعب» (٨٣٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٣/٩) من طريقين: عن الربيع بن سليمان؛ به.

(١٣٣) وفي (م): ملاعبة.

(١٣٤) بهامش (م): لعلَّه السؤال. والصواب ما اتفقت عليه النسختان.

(١٣٥) في (م): بالمعروف. والصواب ما في الأصل.

ويُقري الضَّيف، ويقطع أسباب الجَنَف[١٣٦] والحَيْف، ويحرص على دخول المسلمين إلى دار السَّلامه، قال ابنُ مسعود: كان يتخوَّلنا بالموعظة مخافة السَّآمه، خفَّف عن أمَّته وسهَّل، وتوقَّف فيما يشقُّ عليهم وتمهَّل، وبالغ في إسداء الإحسان إليهم، وكرِه أشياء مخافة أن تُفرض عليهم، وأطلَع لهم شفقاً من الإيمان لا يغيب، وخصَّهم من مناهل خَبَرِه وموارد خيره بأوفر نصيب.

يـــا أمَّـــة المخـــتار بُـــشراكمُوا بالفوز من قُرب الحَسيب[١٣٧] النَّسيب
المُحــسِن الهــادي البــشير الــذي خفَّــف عــنكم كــل أمــر عــصيب
وكثَّـــرَ الخيـــر علـــيكم ومِـــن بحـــر القِـــرَى جـــاءكم بالعجـــيب
صـــلى علـــيه الله مـــا غَـــرَّدت حمامــة مــن فــوق غــصن رطــيب

(١٣٦) بهامش (م): أي: الميل.
(١٣٧) في (م): الحبيب. والأنسب ما في الأصل.

٠٨ - فصل: في وفائه وتواضعه وعدله ووقاره

كان [النبي](١٣٨) ﷺ أجملَ النَّاس وُدًّا(١٣٩)، وأحسَنهم وفاءً وعهداً، وأعدَلهم حُكماً، وأسعدَهم نجماً، وأعلاهم مناراً ومنالاً(١٤٠)، وأوفاهم سكينةً ووقاراً، وأوفرَهم للحقُوق ذكراً، وأكثرَهم تواضُعاً وأقلَّهم(١٤١) كِبراً، يركبُ الحمار ويُردف خلفه، ويُبدي للفقير والمسكين لُطفه، ويأكل مع الخادم، ويُبادر إلى خدمة القادم، ويرقعُ ثوبه، ويخصِف نعله، ويَقُمُّ بيته، ويخدمُ أهله، ويحلِبُ الشَّاة ويعقِل البعير، ويُجيب إذا دعي حتى إلى خُبز الشَّعير، ويتوَّكأ على العصى(١٤٢)، ويضطجع على الرَّمل والحصى، ويحمل بضاعته من السُّوق، ويقوم بما يتعيَّن عليه من الحقُوق.

ويرى أنَّ حُسن(١٤٣) العهد من الإيمان، ويُعامل من أكرم أصحابه بأتم الإحسان، وينظر في حال المديُون والمُفلِس، ويجلس حيث انتهى به المجلس، ويكره أن يُقام له إذا أتى، ويُنصِفُ المظلوم ممن تعدَّى عليه وعَتَا، ويُسَكِّن من ريح العزِّ والكبرياء عَجَاجَتها، وينطلق مع الأمَة حيث شاءت حتَّى يقضي لها حاجَتها.

حجَّ على رحلٍ، رث الهيئة والصُّوره، وأهدى مائة بدنة(١٤٤) في تلك الحجَّة المبروره، وأدار في سماء السَّعادة لنجُوم أصحابه فلَكاً، واختار أن يكون نبيًّا عبداً لا نبيًّا مَلِكاً، على أنه سيِّدُ البشر بلا شك ولا ريب، وأكرم الخلق على عالم الشَّهادة والغيب.

كـــــان الرســـــول المــــــصطفى　　أوفـــــى الأنـــــام بعهــــــده

---

(١٣٨) زيادة من (م).

(١٣٩) في (م): ردا. والصواب ما في الأصل.

(١٤٠) في (م): مثالا ومنارا.

(١٤١) بهامش (م): المراد نفي الكبر عنه بالكلية. فتدبر!

(١٤٢) كذا رسمت في النسختين.

(١٤٣) في (م): من حسن. والصواب ما في الأصل.

(١٤٤) بهامش الأصل: البدنة: ناقة أو بقرة. (ن)

وأجلَّهـــم قـــدراً ... وأكـــرمهم بخـــالص وده
وأقلَّهـــم كبـــراً ... وأنجـــزهُم[١٤٥] لـــصادق وعـــده
مُـــتلطِّفاً مُـــتِّعطفا ... متواضـــعا فـــي مجـــده
يـــسعى لخدمـــة ضـــيفه ... ويـــرى الـــسماح بـــرَفده
والحـــقَّ يتـــبع دائمـــا ... فـــي حَلِّـــه أو عَقـــدِه

وكان أكثر النَّاس أمانه، وأجزلهم عفَّة وصيانه، وأنضرهم بهجه، وأصدقهم لهجه، وأجملهم سرًّا وإعلاناً، وأغزرهم عدلاً وإحساناً، صادقاً بالكلام، صادعاً في الحقِ بالأحكام، أميناً في السَّماء والأرض، مكيناً عند من إليه النُّشُور والعرض، وعدُه مقرونٌ بالإنجاز، ولفظُه مُشتمِلٌ على الإيجاز، لا يأخذ أحداً بقذف أحد، ولا يقبل من مَالَ إلى العناد[١٤٦] وعَنَد، يحكم عدلاً، وينطق فضلاً، ويَشفَعُ فرض الصَّلاة بنفلها، ويؤدِّي الأمانات إلى أهلها. تعرفُ الجاهلية فضله قبل الإسلام، وكانوا يتحاكمُون إليه في النَّقض والإبرام، يشهدُ وَلِيُّه وعدُوُّه بعلمه وعدله، والفضلُ ما شهدت به الأعداء لأهله.

نعم يعرفون الفضل منه وكيف لا ... وقد عاينُوا منه الأمانة والعدلا
ويكفـــيه أنَّ الله أظهـــر فـــضله[١٤٧] ... وفي محكم القرآن أوصافه تُتلى

وكان ذا مُروءة وافره، وتُؤدَةٍ عن وجه السَّداد سافره، جزيل الصَّمت والوقار، جميلَ المآثر والإيثار، يرعى حقَّ الصُّحبة القديمة، ويجود بجود نعمه العميمة، ويتعطَّف على ذوي رحمه برحمته وصِلاته[١٤٨]، ويتلطَّف بالصِّغار من أولاد أولاده حتى في صلاته، ويأمر باستعمال خصال الفِطره، ويسكت على الحلم والحذر والتقدير والفكره.

ويسكُن إلى قلَّة الكلام ويميل، ويُعرضُ عمَّن تكلَّم بغير جميل، مجلسُه مجلسُ هدى وعلم، ومحلُّ خير وحلم، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تُذكر فيه

---

(١٤٥) في (م): وأنجر باسم. والصواب ما في الأصل.
(١٤٦) في (م): العباد. والصواب ما في الأصل.
(١٤٧) كذا في (م)، وفي الأصل: الله فضَّله. والصواب ما أثبت.
(١٤٨) بهامش (م): بكسر الصاد؛ أي: عطائه.

العورات، ولا تُؤبَّن[١٤٩] في حَرمِه الحُرَم، ولا تُخفر[١٥٠] في أرجائه الذِّمم، إن تكلَّم أطرق جلساؤه، وإن صمت زاد وقارُه وبهاؤه، لا يكاد يخرج في مجلسه شيئاً من أطرافه، ولا يعدل عن طريق عدله وأدبه وإنصافه.

يا حبَّذا أوصاف عدل مُنصفٍ ... قد حارت الأفكار في أوصافه
ولاَّج أبواب المروءة والحيا ... فَرَّاج ضيقِ المُعتفِي[١٥١] كشَّافِه
ذي مجلس لا يحتوي إلا على ... قَرم[١٥٢] يُسَرُّ بمُلتقى أضيافه
العلم في أقطاره والحلم في ... أرجائه والسِّلم في أكنافه
صلى عليه إلهه ومحبُّه ... ما لاح بُردُ الروض في أفوافه[١٥٣]

---

(١٤٩) بهامش الأصل: تؤبن: تُذكر بقبيح. (ن). وبهامش (م): أي: تعاب.
(١٥٠) بهامش (م): أي: تنقض.
(١٥١) بهامش (م): أي: طالب المعروف.
(١٥٢) بهامش (م): القرم: السيد.
(١٥٣) بهامش (م): الأفواف جمع: فوف؛ أي: القشر. اهـ.
قلت: الأَفْواف: جمع فُوفٍ وهو القُطْن. وواحدة الفُوف فُوفةٌ، وهي في الأَصل القشرة التي على النواة. يقال: بُرْدُ أَفْوافٍ وحُلَّةُ أَفوافٍ بالإِضافة.

٠٩ - فصل: في زهده وقناعته وعبادته

كان النبي ﷺ زاهداً في الدُّنيا، نازلاً في تركها بالمنزلة العليا، مُتنزّهاً عنها، مُتقلّلاً منها، مُعرضاً عن زَهرَتها، غير ناظرٍ إلى نَضرَتِها، مُتحلّياً بالطَّاعه، مُتلفّعاً بمرُوط القنَاعه، مُزَيّناً بالعفاف والكفاف أحوَاله وأمُورَه، مقتصراً من نفقته وملبسه [على] ما تدعو إليه الضَّرُوره.

يلبسُ البُرد الغليظ والكساء والشَّملَه، ويقسمُ حُلَل الدِّيباج على أصحابه حُلَّة بعد حُلَّة، عيشُه طليف[١٥٤]، ومأكلُه طفيف، وملبسُه خسيف[١٥٥]، وفراشُه من أَدَم حشوُه ليف[١٥٦].

يُقِلُّ المَنام، ولا يَستكثِر من الطَّعام، يَبيتُ جائعاً طاوياً، ويُصبح صائماً خاوياً، لا يسأل أهله طعاماً، ولا يُظهر لهم غَرَثاً ولا أُواماً[١٥٧]، إن أطعمُوه أكل، وإن سقوه قنِع بالنَّهَل[١٥٨].

زُهــدٌ عظــيمٌ واقتــصادٌ زائــدٌ ... فــي مأكــلٍ ومــشربٍ ومَلــبَسِ
وعِفَّـــةٌ يَتـــبعُها صَـــبرٌ علـــى ... صــوم الــنهار وقــيام الحُــنْدُسِ
وفــرطُ إعــراضٍ عــن الدُّنــيا ومــا ... تُلهــي بــه مــن وَشــيها المُــدلَّسِ
يــا سَــيّد الرُّســل ويــا أعلــى الــورى ... منــزلةً تفــديك كُــلُّ الأنفُــسِ

---

(١٥٤) الهَيّنُ، وقيل: هو ضِدّ الثمين. وفي (م): ظليف؛ وعلق عليها الناسخ بقوله: بالمعجمة؛ أي: غليظ شديد.

(١٥٥) بهامش (م): لعله بالمهملة من الحسف؛ أي: الشوك، أو بالمعجمة من خسف الشيء أي: خرقه. وانظره.

(١٥٦) هو: ليف النخل.

(١٥٧) بهامش الأصل: الغرث: الجوع، والأوام: العطش. (ن)

(١٥٨) النَّهَلُ: الشُّرب الأول.

ما أكل قطُّ على خِوان، ولا خُبزَ له المُرقَّق حيناً من الأحيان، ولا شَبع من خُبز شعير يومين مُتوَالِيَين، ولا من خُبز بُرٍّ ثلاثة أيام تِباعاً[١٥٩] حتى أدركه الحَين[١٦٠]، ولا رأى أبداً لحم شاة سَميط[١٦١]، ولقد نام أحياناً على سرير مُرمَّل بشريط[١٦٢]، وما خلَّف ديناراً ولا درهماً ولا نفقه، ولم يترك إلاَّ سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقه.

هذا؛ وقد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح الكنُوز، وأُبرز له من الإبريز كُلُّ محجُوب ومحجُوز، وأظلَّته غمائم الغنائم، وجاءته هدايا أهل التِّيجان والعمائم، وحُمِلت إليه الجِزَى والصَّدقات، وانثَالت عليه الأموال والنَّفقات، وسِيقت إليه الدنيا بحذافيرها، وترادفت عليه الفتُوحات بجماهيرها، فقابل الإيراد من ذلك بالإصدار، وما استأثر منه بدرهم ولا دينار، بل قصد به الخير، وأغنى به فاقة الغير، وفرَّقه في مصالح المسلمين، وكفَّ به أكُفَّ المشركين، وبذَلَه لطالبي رِفدِه وقاصدي نَوالِه، حتى أنه توفي ودرعُه مرهونة في نفقة عِيالِه.

نبـــي وافـــت الدنـــيا إلـــيه ... وجاءتـــه مفاتـــيح الكـــنُوز
ومالـــت نحـــوه فأبـــى علـــيها ... وقابلهـــا بإفـــراط النُّـــشُوز
تجنَّـبها وأعــرض عــن جــناها ... ولاذ بجانـــب الملـــك العزيـــز
رعـــاه الله مخـــتاراً هـــدانا ... إلـــى المـــنهاج بـــاللَّفظ الوجيـــز

وكان شديد الخوف والعباده، وافر الطَّاعة والمحبَّة والإراده، طاعتُه نظير حُبِّه، وخوفُه على قدر علمه بربِّه، عملُه دِيمَه، وطريقتُه مُستَقيمَه، يُصلِّي طويلاً، ويقُوم الليل إلاَّ قليلاً، ينام على شقِّه الأيمن بغير مِهاد، ليستظهر على قلَّة النَّوم والرُّقَاد، يُراقبُ من يحاسبُ على الدُّرَّة والذَّرة، ويستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرَّة.

---

(١٥٩) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(١٦٠) الحَيْنُ: الهلاك - يعني: الموت - .

(١٦١) أي مَشْوِيَّة؛ والسَّمْطِ أن يُنْزَعَ صُوفُ الشاةِ المذبوحة بالماء الحارِّ، وإنما يُفعل بها ذلك في الغالب لتُشْوى.

(١٦٢) أي: مُظاهَر به، والشَّريطُ: شِبْهُ خُيوطٍ تُفْتَل من الخُوص واللِّيف.

قام حتى انتفخت قدماه، وهجر الطَّعام في الهواجر طاعةً لمولاه، المحبَّةُ أساسُه، والصَّبر لباسُه، والزُّهد حرفتُه، والصِّدقُ سَجِيَّتُه، واليقين قُوَّتُه، والرضى مَطيَّتُه، والمعرفةُ رأسُ ماله، والطَّاعة مُنتهى آماله، والشَّوق مركبُه والفكرُ أنيسُه، والثِّقةُ كنزُه والحزنُ جليسُه، والفقرُ فخرُه(١٦٣) والعقل مصباحُه، والجهاد خُلقُه والعلم سلاحُه، وقُرَّة عينه في الصَّلاه، وثمرةُ فؤاده ذكرُ من لا إله سِواه.

الخوف مَألَفُه والصَّبر مَطرَفُه ... والعلم مَرهَفُه والشَّوق مَركَبُه
عبادةُ الخالق الجبَّار هِمَّتُه ... وطاعةُ الواحد القهَّار مَطلَبُه
ودِيمةُ العمل المبرور شِرعتُه ... ومذهبُ الحقِّ والإيمان مذهبُه
أزكى التحيَّات منِّي لا تفارقُه ... ما طاب من سَلسَل الأمطار مَشربُه

(١٦٣) لو قال الكفاف، لكان أصوب؛ فقد تواتر عنه ﷺ كثرة الاستعاذة بالله من الفقر؛ من ذلك ما في «الصحيحين» من حديث عائشة: «اللَّهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شرِّ فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال...».

١٠ - فصل: في الإسراء به وعروجه إلى السماوات ﷺ

سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً، وسحب له على سُحب المعالي ذيلاً، ونقله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأتحفه من نعمه الظاهرة والباطنة بما لا يُحصر ولا يحصى، أُتي ﷺ بالبُراق، فركبه ليخترق به(١٦٤) السَّبع الطِّباق، وهو دابَّة أبيض طويل، يضعُ حافره عند مُنتهى طرفه الكحِيل، فلمَّا وصل بيت المقدس صلَّى في مسجده امتثالاً للأمر، وأصاب الفِطرة باختياره اللَّبن دون الخمر.

ثم عرج مع جبريل إلى السَّموات، ومُنح في العالم العُلوي أعلى(١٦٥) الدَّرجات، ورأى آدمَ في السَّماء الدُّنيا، وفي السَّماء الثَّانية عيسى ويحي، وفي السَّماء الثالثة يوسف الصدِّيق، وفي الرابعة إدريس الحقيق بأسرار التَّحقيق، ولَقِي هارون في السَّماء الخامسة، وأخاه موسى في السَّماء السَّادسة، وفي السَّابعة إبراهيم المشهود فضله المشهور، وإذا هو مُسندٌ ظهره إلى البيت المعمور، يا له بيتاً يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلاَّ بمشيئة من أدار الفلك.

واستأنس بالأبوين والإخوة وابني الخاله، وكُلٌّ منهم أشار إلى صلاحه ورحَّب به ودعا له، وعند كُلِّ سماء يَستَفتح جبريل فيُفتح له الباب، ويُسأل عن بعثة من مَعَه فَيَردُّ على سائله الجواب.

رَكِبَ البُراقَ محمَّدٌ ليلاً ولم ... يركبه أفضل منه عند الخالق
ورقى ليحظى بالنعيم من اللِّقا ... و القُربُ مخترقا لسبع طرائق
ورأى النبيِّين الكرامَ ورحَّبُوا ... بقدُومه ترحيب خِلٍّ صادق
وسما إلى رُتب هناك يحار في ... أوصافها فكرُ البليغ الحاذق

ثم ذهب به جبريل إلى سِدرة المنتهى، ذات الأغصان الوريقة والثمر المشتهى، وهي شجرة تخرجُ أنهارُ الجنَّة من أصلها، ويسيرُ الراكب سبعين عاماً في ظِلِّها،

---

(١٦٤) لفظة (به) ساقطة من (م).

(١٦٥) كذا في (م)، وفي الأصل: بأعلى. والأول أقرب.

وإليها ينتهي ما من الأرض يعرُج، وما يهبط من فوقها عندها يقف ومنها يخرج، فلمَّا غشيها من أمر الله ما غشي تغيَّرت، فما أحد يستطيع نعت حُسنها الذي لو أدركته الأبصار لتحيَّرت، فأوحى الله تعالى ما أوحى إليه، وفَرَض ما فرض من الصَّلوات عليه، ثم تصدَّق برحمته وخفَّف، وزاد الأجر مع التَّخفيف وضَعَّف، بعد أن كلَّمه في ذلك موسى شكر الله عُلُوَّ همته، وأشار عليه بسؤال الله تعالى في التخفيف عن أمَّته، ورفعه حتى بلغ مُستوًى يسمع(١٦٦) فيه صريف الأقلام، وملأ في الملإ الأعلى أذنيه من ترجيع الكلام، وأنزله في روضة القُرب والرضى، وأكرمه بالمنزل الأفضل الأسنى، دنا فتدلَّى وهو خيرُ مُقرَّب، فكان اقتراباً قابَ(١٦٧) قوسين أو أدنى(١٦٨).

وعظَّمه بإمامة أهل السَّماء، وقدَّمه للصَّلاة بالملائكة والأنبياء(١٦٩)، وأحضره لمشاهدة حضرته، وكشف له حُجُب غيبه وقُدرته، وأعانه على معاينة النُّور الأعظم(١٧٠)، وأعلم المُقرَّبين إليه بأنه أفضلُ خلقه وأعلم، وأسمعه الأذان من لفظ

---

(١٦٦) في (م): سمع.

(١٦٧) في (م): من قاب.

(١٦٨) قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/٣): «وقوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝﴾ إنما هو جبريل عليه السَّلام، كما ثبت ذلك في «الصحيحين» عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، ولا يُعرف لهم مُخالِفٌ من الصَّحابة في تفسير هذه الآية بهذا».

(١٦٩) الثَّابت: صلاته بالأنبياء والمرسلين، أما الملائكة؛ فلا.

(١٧٠) ثبت عند: مسلم (١٧٨) وغيره من حديث أبي ذر قال: «سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: نور أَنَّى أراه؟!». فأخبر ﷺ أنَّ النور الذي احتجب به سبحانه عن خلقه، حال بينه وبين رؤيته.

قال ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص١١): «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول: معناه كان ثَمَّ نورٌ، وحال دون رؤيته نور فأنى أراه؟! قال: ويدل عليه أن في بعض الألفاظ الصحيحة: «هل رأيت ربَّك؟ فقال: رأيت نورًا». وقد أعضل أمرُ هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحَّفه بعضهم؛ فقال: نور إِنِّي أراه، على أنَّها ياء النَّسَب، والكلمة كلمة واحدة؛ وهذا خطأٌ لفظاً ومعنىً.

وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ: أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله رأى ربه، وكان قوله: «أنَّى أراه» كالإنكار للرُّؤية، حارُوا في الحديث، وردَّه بعضهم باضطراب لفظه؛ وكل هذا =

ملك الحجاب[١٧١]، واستخرج لرؤيته من بحر قدرته ما يقضى له بالعَجَب العُجاب.

وأكرم له المثوى، وأدخله جنَّة المأوى، وأوضح له الطرَّائق، وأظهره على الحقائق[١٧٢]، وأودعه الأسرار المكنُونه، وأطلعه على الغرائب المخزُونه، وأشهده عجائب سلطانه وملكوته، وأفرده بالنَّظر إلى عظيم كبريائه وجبَروته[١٧٣].

=

عُدولٌ عن مُوجِب الدَّليل. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرؤية» له إجماع الصَّحابة على أنه لم ير ربَّه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك، وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإنَّ ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين؛ حيث قال: إنه رآه عز وجل ولم يقل بعيني رأسه، ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما».

(١٧١) أخرج: البزار (٥٠٨) من طريق: زياد بن المنذر: عن محمَّد بن علي بن الحسين: عن أبيه: عن جدِّه: عن علي قال: «لما أراد الله أن يعلم رسُوله الأذان، أتاه جبريل صلى الله عليهما بدابَّة يقال لها البراق، فذهب يركبها فاستصعبت، فقال لها جبريل: اسكني، فوالله ما رَكِبَك عبد أكرم على الله من محمَّد ﷺ. قال: فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى، قال: فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل، من هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق، إني لأقرب الخلق مكانًا ،وإنَّ هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه، فقال الملك: الله أكبر الله أكبر، قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر أنا أكبر. ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلاَّ الله. قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا لا إله إلاَّ أنا. قال: فقال الملك: أشهد أن محمَّدًا رسول الله. قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أرسلت محمَّدًا. قال الملك: حيَّ على الصَّلاة، حيَّ على الفلاح، قد قامت الصَّلاة. ثم قال الملك: الله أكبر الله أكبر. قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر أنا أكبر. ثم قال: لا إله إلاَّ الله. قال فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي ،لا إله إلاَّ أنا. قال: ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدَّمه، فهم أهل السماء فيهم آدم ونوح». قال أبو جعفر محمد بن علي: يومئذ أكمل الله لمحمد ﷺ الشَّرف على أهل السَّماوات والأرض.

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ عن علي إلاَّ بهذا الإسناد، وزياد بن المنذر فيه شيعية.

قال الهيثمي في «المجمع» (٣٢٨/١): فيه زياد بن المنذر، وهو مجمعٌ على ضعفه.

وقال الحافظ في «الفتح» (٧٨/٢): في إسناده زياد بن المنذر أبو الجارود، وهو متروك.

(١٧٢) في (م): الطريق.

(١٧٣) من قوله: «وأفرده...» إلى هنا ساقط من (م).

وشَمَله بعنايته الوافرة وألطافِه الخفيَّة، وأدناه دُنوًّا تنقطع عنه الكيفيَّة، ومهَّد له بساط التَّلطُّف[١٧٤] والتَّأنيس، وأعلاه على المُقرَّبين من أهل التَّسبيح والتَّقديس، وأراه ما أراه من آياته الكبرى، وذكره فيمن عنده إن في ذلك لذكرى.

نبـــيٌّ قـــد ســـرى لـــيلاً ... فـــسُبحان الـــذي أســـرى
نبـــــيٌّ قـــــد أراه[١٧٥] الله ... مِـــن آياتـــه الكبـــرى
نبـــيٌّ خُـــصَّ بالعُلـــيا ... ورُتبـــته بهـــا أحـــرى[١٧٦]
نبـــيٌّ جـــاء بالإيمـــا ... ن والإحـــسان والبُـــشرى
نبـــي شـــامخُ المقـــدا ... ر فـــي الدنـــيا وفـــي[١٧٧] الأخـــرى
ســـــلامُ الله موصُـــــولٌ ... بـــه مـــا دامـــت الـــشِّعرى

(١٧٤) في (م): اللطف.

(١٧٥) في (م): أراده.

(١٧٦) لفظة: (في) ساقطة من (م).

(١٧٧) في (م): اللطف.

١١ - فصل: في تعظيمه وتكريمه يوم القيامة

النبي ﷺ أوَّلُ الناس خُرُوجاً إذا نُشرُوا، وقائدُهم إذا حُشرُوا، ومُبشِّرُهم إذا يئسُوا، وشفيعُهم إذا حُبسُوا، وخطيبُهم إذا أنصتُوا، ومنجدُهم إذا ذهلُوا في ذلك اليوم وبُهتُوا، لواء الحمد بيده المُعِيرة للغيث وأنوائه، وما مِن نبي - آدمُ فمَن سواه - إلاَّ تحت لوائه.

وهو أوَّل من تَنشقُّ عنه الأرض، وأوَّل من يدخل الجنَّة بمن معه يوم العرض، وأفضل السَّابقين، وأكرم عباد الله الصَّادقين، وخير أصحاب اليمين، وأبركُ من نزل عليه الرُّوح الأمين.

وهو صاحبُ الحوض الشَّهير بالكوثر(١٧٨)، الذي ريحُه أطيب من المسك الأذفر، وحافَّاته قِبابُ اللؤلؤ المتَّسِق، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الوَرِق، طُوله ما بين أيلة إلى عَمَّان، يَشخَب فيه من الجنة(١٧٩) ميزابان، أحدهما من اللُّجَين، والآخر من خالص العِين، كِيزانُه كنجوم السَّماء بهجةً وعدداً، من شَرِبَ منه شربةً لا يظمأ بعدها أبداً.

حوض بعيد المدى أرواح(١٨٠) مورده ... تفوحُ بالطِّيب يا طوبى لمن ورده
يأتيه ماء من الفردوس مُطَّردٌ ... أحلى من الشُّهد يحيي نفس من شهده
كيزانه كالنجوم الزُّهر طالعةٌ ... أوصافُه بمزايا الحسن منفرده
من أمَّه داخلاً في ظلِّ صاحبه ... قد هيأ الله في الأخرى له رَشَدَه

وهو أوَّلُ شافع وأوَّل مُشفَّع، وهو أوَّل من يقوم فيُنصَت لقوله ويُسمَع، وهو أعظم الأنبياء أجراً، وأرفعهم ذكراً، وأبهرهُم آيةً، وأبعدهم غايةً، وأبدعُهم تِبياناً،

(١٧٨) سبق التنبيه على أنَّ الكوثر مادَّة الحوض، لا عينُه.

(١٧٩) عبارة (من الجنة) ساقطة من (م).

(١٨٠) بهامش (م): جمع روح. اهـ.

وأقطعُهم[181] بُرهاناً، وأجلُّهم مِقداراً، وأعزُّهم أنصاراً، وأجزلهُم حمداً وشُكراً، وأوفاهم توكُّلاً وصبراً، وأعلمُهم بالله وصفاته وأسمائه، وأسخنهم قلباً بعظمته وجلاله وكبريائه، وأعرفُهم بشريعته وأحكامه، وأفهمُهم لمعاني وَحيِه وكلامه، وأغزرُهم[182] إحاطةً بالمدارك العقليَّة، وأقربُهم مجلساً من الحضرة المقدَّسة الإلهيَّة، وأظهرهم سِمةً وعلامةً، وأكثرُهم تبعاً يوم القيامة، يوم يُؤتى الوسيلة المحفُوفة بأصناف المنَّه، قال أبو هريرة: «هي أعلى درجة في الجنَّة»، يوم يُعطى ألف قصر من اللؤلؤ تُرابها المسك السَّحيق، وفيها من الأزواج والخدَم ما يصلح لمثله وبه يليق.

يوم يقُوم النَّاس أفواجاً إلى بارئهم، ذي العزَّة والتَّنزيه، يوم المآب والحساب واللِّقاء، يوم يفرُّ المرء من أخيه، يوم يصير النَّاس فيه[183] حيارى، ويُرون سُكارى وما هم بسُكارى. يوم يلجؤون إليه في أمر الشَّفاعه، حيث يرون تأخُّر غيره عنها وانقطاعه، يوم يقُوم على يمين عرش الرحمن، ويُكسى حُلَّةً خضراء مُعلَّمة ببلوغ المُنى والأمان، ويُؤذن له فيقول ما شاء الله أن يقول، ويُفتح عليه من الحمد والثَّناء ما وردت به النُّقول، يا له موقفاً يقصُر عن الوصول إليه المقرَّبُون، ومقاماً محمُوداً يغبطُه فيه الأوَّلون والآخرون.

يَشفع لأكثر ممَّا في الأرض من شجر، ولأزيد ممَّا حملت على ظهرها من حجَر، ويشفع في تعجيل من لا حساب عليه إلى دار القرار، وفي من وجب عليه العذاب وأُدخل إلى النَّار، وفيمن تلفَّظ بالشَّهادة المعظمَّة، وهذه المنزلة الجليلة لا تصلُح لغير ذاته المكرَّمة.

وكم حوى فضيلةً ليس له فيها من الخلق مُشارك، على أنه ﷺ لم يفتخر بشيء من ذلك، شكر الله جميل سعيه وأبيل[184] هِمَّتِه، وجزاه أفضل ما جزى نبيًّا عن أمَّته.

رســولٌ لــه يــوم القــيامة منــزلٌ ... علــى الــذُّرى أعلامُــه الزُّهــرُ تلمــعُ

(١٨١) بهامش (م): أي: للخصم. اهـ.

(١٨٢) في (م): وأشزرهم.

(١٨٣) لفظة (فيه) ساقطة من (م).

(١٨٤) كذا بالأصل و(م)، وقد علم عليها ناسخها، وكأنه لم يتَّضح له المراد منها؛ وهي مشكلة!

وموقــفُ قُــربٍ لا يُدانــيه غيــرُه | يقُــولُ الــذي فــيه يقُــولُ فيُــسمَعُ
ويــسأل والــباري يجــيبُ سُــؤاله | ويَــشفَعُ فــيمن جــاءه[١٨٥] فُيُــشَفَّعُ
نبــيٌّ أَبــيٌّ كــان ينهــى عــن الأذى | ويأمــر بالحــسنى وبالحــقِّ يــصدعُ
علــيه ســلام الله مــا لاح بــارقٌ | وما انْهَلَّ من جَفنِ السَّحائب[١٨٦] مَدْمَعُ

(١٨٥) في (م): جاء.

(١٨٦) في (م): السحاب.

١٢ - فصل: في أسمائه وكناه وألقابه

أسماءُ رسول الله ﷺ وألقابه كثيره، وأوصافُه حَوَت دُرَرَ المحاسِن ولم تُغادر منها صغيرةً ولا كبيره، فمِن أسمائه محمَّد وأحمد، وهذان اسمان مخصُوصان بالطَّالع الأسعد، منع الله تعالى أن يُسمَّى بهما قبل زمانه أحد من النَّاس(١٨٧)، لئلاَّ يدخل على القلوب الضَّعيفة شكٌّ والتباسٌ، وهو أحمد الحامدين وأكثر النَّاس حمداً، وهو حاملُ لواء الحمد يوم يحشر الله المتَّقين إليه وفداً.

ومنها الماحي والحاشر، والمقدَّس والطَّاهر، فالماحي الذي يُمحى الكفرُ بكلِمِه، والحاشر الذي يحُشر النَّاس على قدَمِه، والنَّجم الثَّاقب، والمُصلح العاقِب، وهو الذي لا نبيَّ بعده، ولا يعقُب جَزرُ ذي رسالة مدَّه، والشَّاهد والمُبشِّر والنَّذير، والدَّاعي إلى الله بإذنه والسِّراج المنير، والمقفِّي والقُثم(١٨٨)

---

(١٨٧) اشتهر في كتب السير، ولم أقف له على دليل معتبر؛ انظر: «البداية والنهاية» (٢/٢٥٩).

(١٨٨) أخرج: الدارمي (٥٣): أخبرنا عبد الله بن صالح: حدثني معاوية بن صالح الحضرمي: عن يونس بن ميسرة: عن أبي إدريس الخولاني: عن عبد الرحمن بن غَنم الأشعري قال: «نزل جبريل على رسول الله ﷺ فشقَّ بطنه، ثم قال جبريل: قلب وكيع، فيه أذنان سميعتان، وعينان بصيرتان، محمد رسول الله، المُقفِّي، الحاشر؛ خلقك قَيِّمٌ، ولسانك صادقٌ، ونفسك مُطمئِنَّةٌ».

قلت: ابن غَنم اختُلِف في صُحبته، وفي كاتب اللَّيث كلامٌ.

وله شاهدٌ؛ عند: ابن عدي (٧/٦٤) بلفظ: «إنَّ لي عند ربي عشرة أسماء؛ أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعدي أحد، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الخلائق معي على قدمي، وأنا رسول الرحمة، ورسول التوبة، ورسول الملاحم، وأنا المُقفِّي قضيت النبيين عامَّة وأنا قُثَم». لكن في إسناده أبو البَختري، وهو وضَّاعٌ.

- القُثَم: المجْتَمِع الخَلْقِ، الجامِع الكامِل، وقيل الجَمُوع للخير، الكثير العَطاء.

- الوكيع: الحفيظ لما يوضع فيه، لقوته وشدته.

راجع: «النهاية» (٤/١٦)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/١٠٥).

والقُثموم[١٨٩]، وهذا الاسم الآخر في آل بيته مَعلوم[١٩٠].

يـا سـيّداً أسـماؤه قـد سـمَت ... وفـي معانـيه تَحـار الحلُـوم
ومـن حـوت أزهـارُ ألقابـه ... نَـشرَ شَـذًى تُطـوي علـيه الـرُّقُوم
ومـن لـه فـضلٌ أياديـه لا ... تحصى وهل تحصى دراري النُّجُوم
أنـت الـذي أنـوار أعلامـه ... تهـدي إلـى الحكمـة أهـلَ العلـوم

ومن أسمائه ﷺ: المدَّثِّر والمزمِّل، والمختار والمتوكِّل، والرؤوف الرَّحيم، والصِّراط المستقيم، والحقُّ المبين، والصَّادق الأمين، فالحقُّ هو المحقَّق صدقُه وأمرُه، والمُبين الذي بَيَّنَ ما بعثه به من جلَّ ذكرُه.

و﴿طه﴾ و﴿يسٓ﴾[١٩١]، ورحمة للعالمين، وسيِّد المرسلين، وخاتم النبيِّين، وإمام المتَّقين، وقائد الغر المحجَّلين، ونعمة الله على الخلائق، وعبد الله المُعبِّد للطَّرائق، ونبي الرحمة والمرحمة، ورسول التوبة والملحمة، وهي إشارة إلى ما بُعث به من القتال، وما أُمر به من ردع المشركين بجدِّ النِّضال وحدِّ النِّصال.

وخليلُ الرحمن، وحبيبُ الملك الديَّان، ومقيمُ السُّنَّة ورُوح الحقِّ، والشَّفيع المشفَّع في الخلق، وصاحبُ الوسيله، والدَّرجة الرفيعة والفضيله، والحوض المورود، والمقام المحمُود، والبُراق والمعراج، والهِراوة والتَّاج، وما المراد به تاجُ

---

(١٨٩) في (م): القَثَم والقَثوم. وبهامشها: القثم: كثير العطاء والجامع للخير، ومثله القثوم كصبور. وقثم: اسم لابن العباس بن عبد المطلب.

(١٩٠) يعني: قُثم بن العبَّاس رضي الله عنهما؛ وكان يُشبه النبي ﷺ.

(١٩١) أخرج: ابن عدي في «الكامل» (٤٣٦/٣) من طريق: أبي يحيى التيمي: عن سيف بن وهب: عن أبي الطُّفيل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي عند ربي عشرة أسماء؛ قال أبو الطفيل: قد حفظت منها ثمانية: محمد، وأحمد. وأبو القاسم، والفاتح، والخاتم، والماحي، والعاقب، والحاشر». قال أبو يحيى: وزعم سيف: أنَّ أبا جعفر قال له: إنَّ الاسمين الباقيين: ﴿يسٓ﴾ و﴿طه﴾.

قلت: وهذا خبر ساقطٌ؛ سيفٌ قال ابن معين: كان هالكاً من الهالكين.

مُلكٍ مُوّه بالذَّهب، بل العمامة لأنَّ العمائم تيجان العرب[١٩٢].

بـك يـا رسـول الله يـا علـم الهـدى ... تتــشرَّفُ الألقــاب والأســماء
وبــيُمن طالعــك الــسَّعيد قدُومُــهُ ... ذهــب الظــلامُ وآبــت الأضــواء
وبنَــصر فــضلك سُــرَّ كُــلُّ مُــوحِّد ... وبعــزِّ عــزمك ذلَّــت الأعــداء
سُــقياً لأمــتك التــي طابــت لهــم ... ينــبؤهم بــين الــورى الأنــباء

وهو ﷺ ذو الحجَّة والسُّلطان، والعلاَمة والبُرهان، وربُّ اللِّواء والقضيب، وراكب النَّاقة والنَّجيب، وسيِّد ولد آدَم، والمُهيمِن والفاتح والخاتَم، والمصطفى والمجتبى والكريم، وأبو القاسم وأبو إبراهيم، والنبي الأمي والهادي والنُّور، والعروة الوثقى التي من تمسَّك بها نال الغِبطة والسُّرور، والبَارَقْلِيط، وهو الذي يفرُقُ بين الحقِّ والباطل، وحِمطاما[١٩٣]، ومعناه حامي الحُرم بالمُرهِفات والذَّوابل.

ولعمري إنَّها أسماء على مُسمًّى جليل، وألقاب عَلَت بذي فضل أثير وقدر أَثيل، فمنها ما ورد في حديثه الصَّحيح، ومنها ما ذكر في القرآن الكريم باللَّفظ الصَّريح، ومنها ما جاء في التَّوراة والإنجيل، ومنها ما عُرف من الكتب البعيدة عهدها من التَّنزيل، ومنها ما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه الحسنى، وفي ذلك ما فيه من التعظيم الأسمى والتَّشريف الأسنى.

أســــماؤه وســــماتُه معلُــــومة ... عِــــند الــــرُّواة وعُــــرفُهُ معــــروف
وخلالُــــه مأثُــــورة وخــــصالُه ... مــــسطُورة وجَلالُــــه موصُــــوف

---

(١٩٢) روي في ذلك أحاديث، لا يصح منها شيء؛ منها: «العمائم تيجانُ العرب، فإذا وضعوا العمائم، وضعُوا عزَّهُم». رواه: الدَّيلمي في «مسند الفردوس» (٣١٥/٢) من طريق: أحمد بن سعيد بن خُثيم: حدَّثني حنظلة السَّدوسِي: عن طاوس: عن ابن عباس؛ مرفوعا به.
قال العامريُّ: غريبٌ.
وقال السَّخاويُّ: سندُهُ ضعيفٌ؛ لضعف حنظلة، وجهالة الراوي عنه.
راجع: «فيض القدير» (٣٩٢/٤)، و«الضعيفة» (١٥٩٣).

(١٩٣) في (م): حمطايا، وبهامشها: أو حنطايا.

أكـرِم بـه خِـرقا[١٩٤] عِطـاف نـواله   أبــداً علـــى قُــصَّاده معطـــوف
بـــرًّا أميـــنا صـــادقا صـــدقاته   المـــن عـــنها والأذى مـــصروفُ
منـــي علـــيه تحـــيَّةٌ مِـــسكِيَّةٌ   بفـــناء طَيْـــبَة طِيـــبُها معكـــوف

(١٩٤) بهامش (م): أي: عاقلا.

١٣ - فصل: في معجزة القرآن الكريم

اعلم أنَّ النبي ﷺ له معجزاتٌ أدلَّتُها قاطعه، وكراماتٌ لأنواع الغرائب جامعه، وكلماتٌ صادعة صادقه، وآياتٌ للعادات خارقه، رآها في محافل المسلمين الجمُّ الغفير، ورواها الثِّقاتُ عن العدد الكثير، لا تزداد مع تقادُم العهد إلاَّ ظُهُوراً، ولا يُبدي سراجُها مع اجتهاد الملحد على إطفائه إلاَّ نُوراً[١٩٥].

فمن مُعجزِاتِه: ما جاء به من القرآن المجيد، المنزَّل عليه بالحقِّ من حكيم حميد، الذي عَقَلَ بحُسن تأليفه العقُول، وأناف بالتئام كَلِمِهِ على كُلِّ مَقُول، وأخرس بإيجازه فُصحاء العرب، ورمى بلغائهم من إعجازه بحِراب الحَرَب، وخرق عاداتهم بأسنَّة بلاغته، وأوقعهم في الحصر بسعة فصاحته، على أنَّهُم كانوا فرسان الكلام، وزعماء أرباب النِّثَار والنِّظام، لا يشكُّون أن البيان طَوعُ مُرادهم، وأنَّ الحكمة جاريةٌ في ملك سَعدهم وسُعادهم، كانوا ذوي فصاحة ومِقْوَلٍ[١٩٦] مُستملَح الأوصاف والنُّعوت، لكن أتاهم بالصَّواب ناطقٌ ألقاهم في علَّة السُّكوت.

يا له كتاباً أحكمت آياتُه، وفُصِّلت كلماتُه، وبهرت مطالعه، وزهرت مقاطعه، وقهرت جوامعه، وظهرت بدائعه، وأنارت زُجاجة براعته، وأضاءت دِيباجة عبارته، ورَسَت قواعد إيجازه وإعجازه، ورَقَت وطائد حقيقته ومجازه، واعتدل حسن نظمه، وزها ثَمَرُ حِكمِه وحُكمه، واتَّسَقت عقُود فرائده، واطَّردت أنهارُ فوائده، وحسُن ترصيعُه وترصيفُه، وخُصَّ بالبيان والبديع تأليفُه. وجمع بين نصَاعة الألفاظ وقُوَّة الجزالة، وأقام من بلاغته على وجُوه العجز عنه أوضح الدَّلالة، وأدهش النَّواظر بطلاوته، وحرَّك الألسُن بوصف حلاوته، وحيَّر الأفكار فَنُّه العجيب، وسَلبَ الألباب أسلوبُه الغريب.

وأنـار مـشكاة الوجـود وقـد فـشا ... دَيجُـورها بالـضوء مـن آياتـه

---

(١٩٥) في (م): الأنوار.

(١٩٦) بهامش (م): اللسان.

وأراح أرواح السُّعاة[١٩٧] لروضه بلذيذ عَرف الزَّهر من زَهَراته
وأمَدَّ طالبه وقاصِدِ بحره باللُّؤلؤ المكنون من كلماته
وأثاب حامله وسامعه ومَن يتلُوه ما يجنيه من جَنَّاته

واشتمل على العلوم والمعارف، وذكر الشَّرائع القديمة وأخبار القرون السَّوالف، وأنباء الأمم الخالية، وسَرد القصص الماضية، وشرح أحوال الدَّار الآخره، ونشر ما انطوت عليه الكُتب الغابرة، وبدء الخلق وإعادتهم، وأسباب شقاوتهم وسعادتهم، والتَّنبيه على طُرق الحجج العقلية، والرد على الفرق بالبراهين البيّنة والأدلة القطعيَّه، وكشف أسرار المنافقين وأهل الكتاب، وتوبيخهم على الكذب والعدول عن الصَّواب، إلى غير ذلك من النواهي والأوامر، والموانع والزَّواجر، والسِّير والأمثال والتَّحريض على القتال، والمواعظ والحكم، ومحاسن الأداب والشِّيم، والوعد والوعيد والتَّنزيه والتَّوحيد، والتقريب والترتيب، والترغيب والترهيب، والرَّوعة التي تعتري القلوب عند سماع قراءته، والهَيبة التي تطرق الأسماع لدى تلاوته.

كتاب يخص المؤمنين بوعظه ويُحيي قلوب العارفين بوعظه
ويُهدي سنا هَدي لتالي حروفه ورامِقَها بين الرُّقوق بلحظه[١٩٨]
لقد حارت الأفكارُ في حسن نظمه وسرِّ معانيه وجوهر لفظه
فسَقياً لمن يقفو مناهج حقه ورَعياً لعبدٍ عاد من أهل حِفظه

وكم حوى مجموعه وحاز، نوعاً من أنواع الإعجاز، قصُرت العرب عنها، وعجزت عن الإتيان بواحد منها، إذ كانت خارجة عن قُدرتهم، مُباينة لكلامهم وفصاحة ألسنتهم، وما منهم إلاَّ من بذل جُهده، واستنفذ جميع ما عنده، وقصد إطفاء نُوره، واجتهد في إخفاء ظُهوره، فما جَلَوا خبيئةً من بَنَان[١٩٩] شفاههم، ولا برزوا[٢٠٠] بقطرة من معين مياههم، مع طول المدَّة وكثرة العدد، وتظافُر الوالد وما

(١٩٧) في (م): السعادة.
(١٩٨) هذا البيت ساقط من (م).
(١٩٩) في (م): بيان.
(٢٠٠) في النسختين (م): برزُ. ولعل الصواب ما أثبت.

ولد، بل أُبلسُوا فما نَبسُوا، وجلسُوا صاغرين لما أيسُوا.

ثم إنَّه لا يُعدُّ من سعى من المعطِّلة في تعطيله، ولا يحصى من ثابر[٢٠١] من المُلحِدة على تغيير مُحكَمه وتبديله، وأجمعوا كيدهم وقولهم، واستفرغوا قُوَّتهم وخيلهم، فما قدِرُوا على تحويل كلمة من تأليفه، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حرُوفه، لأنَّ الله تعالى تكفَّل بحفظه، ومنع من التعرُّض إلى شيء من لفظه.

وبالجُملة؛ فلم يوجد قبله ولا بعده له نظير، ولا استطاع أحدٌ مماثلة فصل منه طويل ولا قصير، بل حارت فيه العقول وتدلَّهت[٢٠٢] فيه الأحلام، وجفَّت[٢٠٣] عند معارضته [الصُّحف][٢٠٤] ورُفعت الأقلام، وهو من باب الخوارق الممتنعة عن البدو والحضر، ولا يمكن أن يدخل مثله تحت مقدُور البشر؛ يعرف ذلك من تفنَّن في علوم هذا الشان، وأرْهَفَ خَاطِرَه الخطَّار أدبُ صناعة اللسان.

تـــــــبًّا لآراء ذي عِـــــــــناد ... لا يهـــــتدي خاســـــرِ الـــــتِّجاره
يـــــريدُ إطفـــــاءَ نـــــورِ ذكـــــرِ ... اللهِ ربُّ العلـــــــــى أنـــــــــاره
قـــد خـــاب مـــن رام أن يُغـــشِّي ... حـــــلاوةَ الحـــــقِّ بالمـــــرَارَه
يـــا ويلـــه مـــن لهـــيب نـــار ... وَقُـــودُها الـــنَّاس والحجـــاره

وهو الذِّكرُ الحكيم، والقرآن الكريم، والفوزُ المبين، وحبل الله المتين، والرَّبيع للقلوب، والماحي للذُّنوب، والنَّافع الشَّافي، والكافل الكافي، والنَّجاة لمن تبعه، والهدى لمن قرأه أو سمعه، ينفِرُ عنه الذين أذهب الشرك لُبَّهُم، وتقشعرُّ منه جلود[٢٠٥] الذين يخشون ربَّهم، يُؤتى تاليه طلاقةً وبشاشه، ويُكسِب قارئه ارتياحاً وهشاشه. لا يَمَلُّهُ القارئ ولا المستمع، ولا تحصي الألسُن ثناءً على فضله المجتمع.

حجَّتُه قاهرة ودرجتُه عليا، وآيتُه البيِّنة باقية ما بقيت الدنيا، لا يزال غضًّا طريًّا،

---

(٢٠١) بهامش (م): أي: واظب.

(٢٠٢) الدَّلَهُ: ذهابُ عقل الإنسان من عشق أو هَمَّ أو نحوه.

(٢٠٣) عبارة: (وجفت) ساقطة من (م).

(٢٠٤) قدَّرتها، لاقتضاء السياق لها. والله أعلم.

(٢٠٥) من قوله: «الذين أذهب...» إلى هنا ساقط من (م).

ولا يبرح عذباً شهيًّا، تكريرُه يزيدُه حلاوةً ظاهره، وترديدُه يُوجبُ له المحبَّة الوافرة، يُستأنسُ به في الخلوات، ويستلذُّ بترتيله في الصَّلوات. لا تفنى عجائبُه، ولا تنطوي غرائبُه، ولا تنقضي عبرُه، ولا تضمحلُّ دُررُه، ولا يبلى على كثرة الردِّ جديدُ وصفه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من قال به صَدَق، ومن رمى به حَرَق، ومن حكم به عَدَل، ومن قَسَم به برِئ(٢٠٦) من العَذَل، ومن عمل به حصل على الأجر العظيم، ومن تمسَّك به هُدي إلى الصِّراط المستقيم.

تمسَّك بحبل الله أعني كتابه ... وقِف عنده فهو المجيد المعظَّمُ
يُبشِّر أهل الصَّالحات بنعمة ... وفضل ويهدي للتي هي أَقْوَمُ
ويُنذِر أقواماً عن الحقِّ أعرضُوا ... وبالعدل والإنصاف يقضي ويحكُمُ
به نزل الرُّوح الأمين مُنجَّماً ... على خير مبعوث يَرقُّ ويرحمُ
محمَّد الهادي الذي بجنابه ... يلوذ فصيحٌ في المعاد وأعجمُ
عليه سلامٌ من سلامٍ مُهيمن ... مدى الدَّهر لا يفنى ولا يتصرَّمُ

(٢٠٦) هذه اللفظة ساقطة من (م).

١٤ - فصل: في انشقاق القمر وحبس الشمس وتكثير الماء

ومن معجزات رسُول الله ﷺ أنَّ أهل مكة سألوه أن يُريهم آيه، وذلك لقلَّة اليقين وكثرة الغِوَايه، فأراهم انشقاق القمر فِرقَتين، حتى رأَوا حِرَاء بينهما عَلَماً بين شُعلتين، وقال اشهدُوا وهم حينئذ بمُنى، فانصب على أعدائه الأذى كما حصل أصحابه على المُنى؛ فجعلها أبو جهل من حُمقه سحراً، وقال ابعثوا إلى أهل الآفاق طُرا، فأخبر أهلُ الآفاق أنَّ معجزته كانت حقًّا، وأنهم عاينُوا القمر تلك الليلة مُنشقًّا.

ومنها أنَّ الشمس رُدَّت لعلي بدُعائه، وكلاهما زهرة من أرضه وقطرة من سمائه، طلعت بعدما غَرَبت، وشَبَّت نار ذهابها بعد أن ذهبت، ووقفت على الأرض وَقفَةَ ممتثل لما يُؤمر، وذلك بالصَّهباء في خيبر، وحُبِست بدعائه الشَّمس ساعة وقريش ينظرون، وزِيد له في النَّهار بعد أن اكتحلت بالقار منه الجفون(٢٠٧).

---

(٢٠٧) قال ابن كثير: «هذا الحديث ضعيفٌ ومنكرٌ من جميع طرقه، فلا تخلو واحدة منها عن شيعي ومجهول الحال، وشيعي ومتروك. ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد إذا اتَّصل سنده؛ لأنه من باب ما تتوفر الدواعي على نقله، فلا بد من نقله بالتواتر والاستفاضة، لا أقل من ذلك.

ونحن لا ننكر هذا في قدرة الله تعالى، وبالنسبة إلى جناب رسول الله ﷺ؛ فقد ثبت في الصحيح: أنَّها رُدَّت ليوشَع بن نُونٍ، وذلك يوم حاصر بيت المقدس، واتَّفق ذلك في آخر يوم الجمعة، وكانوا لا يقاتلون يوم السَّبت، فنظر إلى الشمس، وقد تنصَّفت للغروب؛ فقال: «إنَّكِ مأمورةٌ، وأنا مأمورٌ؛ اللَّهُمَّ احبسها عليَّ! فحبسها الله عليه حتى فتحوها».

ورسول الله ﷺ أعظم جاهاً، وأجَلُّ منصِباً، وأعلى قدراً من يوشع بن نون، بل من سائر الأنبياء على الإطلاق، ولكن لا نقول إلا ما صحَّ عندنا عنه، ولا نُسنِد إليه ما ليس بصحيح؛ ولو صحَّ لكُنَّا من أوَّل القائلين به والمعتقدين له. وبالله المستعان.

... والأئمة في كل عصر ينكرون صحة هذا الحديث، ويَردُّونه، ويبالغون في التشنيع على رواته، كما قدمنا عن غير واحد من الحفاظ؛ كمحمَّد ويعلى بن عبيد الطنافسيين، وكإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق، وكأبي بكر محمَّد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه، وكالحافظ أبي القاسم ابن عساكر، والشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، =

وجرت هذه الكرامة التي ليس لها نظيرٌ، في واقعة الرُّفقة والعلامة التي في العير، وكان الغمام يُظِلُّه حيث سار، وفيء الشَّمس يدور معه كيف ما دار.

سبحان من أيَّد خير الورى بمعجزات خارقات غِزَار
وأمسك الشَّمس له ساعة وردَّها طوعاً وزاد النهار
وشقَّ بين الناس بدرَ الدجى شقًّا أولوا الألباب فيه تحار
هذا عطاءٌ لمن اختاره من هاشم من مُضر من نِزَار

ومنها أنَّ النَّاس التمَسُوا الماء فلم يصِلوا إليه، فطلب فضل ماء وصبَّه في إناء وُضع بين يديه، ثم إنه عليه السَّلام وضع فيه كفَّه الميمون، فجعل الماء يفُور من بين أصابعه كأمثال العيُون، فتوضَّأ الناس عن آخرهم وكانوا ألفاً وخمس مِئِين، ولو كانوا مائة ألف لكفاهم ببركة يمين من لا يَمِين(٢٠٨).

وأقبل النَّاس(٢٠٩) في غزوة تبوك(٢١٠) إلى العين، وهي تَبضُّ بشيء من الماء دون عُشر القُلَّتين، فغسل منه وجهه ويديه، ثم أمر بإعادة الغُسالة إليه، فجرت بماء كثير ارتوى منه الجيش، وزال ببركته الظَّمأ وطاب العيش.

وورد النَّاس بئر الحُدَيبيَّة، وهم إذ ذاك أربع عشر مايه، فلم يتركوا منها قطرة، وأذهبوا قُلَّ مائها وكُثْرَه، فقعد على حَبَاها، ودعا لها واستدعاها، فجاشت كبحر طما(٢١١) أو غيث هتَن، فرُوي الناس حتى ضربوا بعَطَن.

مِن كَفِّ مختارِ الكَفَاف محمَّد خير الورى نَبَعَ الزُّلالُ الطَّاهر
روَّى من الماء القليلِ جيُوشَه حيث الأوام له دليل ظاهر

=

وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين. وممَّن صرَّح بأنه موضوعٌ شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزِّي، والعلاَّمة أبو العباس بن تيمية، وقال علي بن المديني: خمسة أحاديث يروونها ولا أصل لها عن رسول الله؛ فذكره فيها». «البداية والنهاية» (٦/٧٩، ٨٥) باختصارٍ.

وانظر: «الضعيفة» (٩٧١ ، ٩٧٢).

(٢٠٨) بهامش (م): أي: لا يكذب.

(٢٠٩) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٢١٠) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٢١١) أي: ارتفع وملأ النهر.

ومـن العـيُون النَّاضِـبات سَـالَ مـا هـو للعـيُون مـن العـساكر باهـر
لا غـرو أن يجـري لديـه مَعِيـنُه ومُعيـنُه الملـك العزيـز القاهـر

وشكا النَّاس إليه العطش في بعض الأسفار، فدعا بالميضأة وجعلها من ضِبنِه(٢١٢) في محلِّ الإزار، ثم التقم فَمَها فحلَّت عليها البركة والسَّعاده، فشرِب منها الناس وملؤوا آنيتهم وكانوا سبعين رجلاً وزياده. وأمَّا الحديث المروي عن عِمران بن حُصين، في قضية المرأة والبعير والمَزَادَتَين، وما شرب الناس من مائها عند الظَّمأ في السَّفر، فهو حديثٌ يعرفه الثِّقات من أهل العلم والأثر.

ولقد أصاب الناس شدَّةً من العطش في جيش العُسره، حتى إن الرجل لينحَرُ بعيره فيشرَبُ عصير فَرثه من فرط الحَرَّه(٢١٣)، فرَغِب أبو بكر رضي الله عنه في الدُّعاء إليه، فرفع - زاده الله شرفاً لديه - يديه(٢١٤)، فلم يرجعا حتى أتت السَّماء من دِيَبها(٢١٥) بما لا يُحصر، فملؤوا ما معهم من الآنية ولم يجاوز العسكر. وعَطِشَ أبو طالب وهو رديفُه بذي المجاز(٢١٦)، وليس هناك ما يُملَكُ(٢١٧) ولا يحَاز، فنزل وضرب الأرض بقدميه، فخرج الماء يفُور ببركته صلى الله عليه(٢١٨).

قِـف سـائلاً أرض المجـاز ومـا جرى منها وسال بجانب المنهاج
وسَـلِ الحُديبـية النَّـزوحةِ بئـرُها وتـبوكَ عـند تلاطُـم الأمـواج

---

(٢١٢) في (م): الضِّبْنُ بالكسر: ما بين الكَشْح الشق والإبْطِ. اهـ.

(٢١٣) يعني: من شِدَّة العطش.

(٢١٤) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٢١٥) كذا بالأصل؛ ولم يتبيَّن لي معناه.

(٢١٦) في (م): اسم موضع.

(٢١٧) عبارة: «ما يملك» ساقطة من (م).

(٢١٨) أخرج: ابن سعد في «الطبقات» (١٥٢/١)، والخطيب في «تاريخه» (٣١٢/٣) من طريقين: عن عبد الله بن عون: عن عمرو بن سعيد القُرشي: أنَّ أبا طالب قال: «كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي - يعني: النبي ﷺ - ، فأدركني العطش فشكوت إليه؛ فقلت: يا ابن أخي، قد عطشت وما قلت له ذاك، وأنا أرى أن عنده شيئًا إلاَّ الجزع. قال: فثنى ورِكه، ثم نزل؛ فقال: يا عم، أعطشت؟ قال: قلت: نعم! قال: فأهوى بعقِبِه إلى الأرض، فإذا بالماء؛ فقال: اشرب يا عم، قال: فشربت».

قلت: وهذا سندٌ مُنقطِعٌ بين عمرو بن سعيد وأبي طالب.

وبقـاعِ جـيش العُـسرة اللاَّتـي هَمَـت ... بـــركاتُ مـــاء ســـمائها الـــثَّجَّاج

تخبـرك عـن آيـات أشـرف مُرسَـلٍ ... ركـــب البـــراق وســـار للمعـــراج

صـلى علـيه الله مـا ذهـب الدُّجـى ... وأتـــى الـــضُّحى بـسِراجه الـوهَّاج

١٥ - فصل: في تكثير الطعام ببركته ﷺ

ومن معجزاته ﷺ [أنه][219] أطعم سبعين رجلاً من أقراص شعير، كان أنس قد جاء منها تحت إبطه باليسير[220] وهو يسير، بعد أن تقبَّلها بالقبول، وقال فيها ما شاء الله أن يقول. وأطعم يوم الخندق باتِّفاق الحُذَّاق ألف رجل من صاع شعير وعَناق، بعد أن بصق وبارك في العجين والبُرمه، والقصَّة معروفة من حديث جابر تغمَّده الله بالرحمة. وصنع أبو أيوب له عليه السَّلام، ولأبي بكر معه زُهاء[221] ما يكفيهما من الطَّعام، قال: فأجبت أمره ودعوت الأنصار مُمتثِلاً، فأكل من طعامي يومئذ مائة وثمانون رجلاً[222]، وأتي بقصعة فيها لحم فتعاقبها الصَّادرون

(٢١٩) زيادة مني ليعتدل السياق، وهي ساقطة من النسختين.

(٢٢٠) سقطت هذه اللفظة من (م).

(٢٢١) أي: قدر ما يكفيهما.

(٢٢٢) أخرج: الفِريابي في «دلائل النبوة» (١٢)، والطبراني (١٨٥/٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٩٤/١) من طرق: عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى: عن سعيد الجريري: عن أبي الورد - هو: ابن ثمامة بن حَزن القشيري - : عن أبي محمد الحضرمي - غلام أبي أيوب الأنصاري - : عنه قال: «صنعت لرسول الله ﷺ ولأبي بكر رحمة الله عليه طعامًا قدر ما يكفيهما فأتيتهما به؛ فقال رسول الله: اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار! قال: فشق ذلك علي، ما عندي شيء أزيده!! قال: فكأني تثاقلت! فقال: اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار! فدعوتهم فجاؤوا، فقال: اطعَموا! فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله، ثم بايعوه قبل أن يخرُجوا.

ثم قال: اذهب فادع لي ستين من أشراف الأنصار! قال أبو أيوب: فوالله لأنا بالسِّتِّين أجود مني بالثَّلاثين! قال: فدعوتهم، قال: فقال رسول الله ﷺ: فيتلوم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا؛ قال: اذهب فادع لي تسعين من الأنصار، قال: فلأنا أجود بالتسعين وبالستين مني بالثلاثين، قال: فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله، وبايعوه قبل أن يخرجوا. فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الأنصار».

قال ابن كثير: هذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا إسناداً ومَتناً.

والواردون، ولم يبرَحوا من الغداة إلى العَشِيِّ يقوم قوم ويقعد آخرون.

وصُنعت شاة فشُوِي سواد بطنها لديه، وكان معه ثلاثون ومائة من أصحابه صلى الله عليه[٢٢٣]، قال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما في حديثه المشهُور: وأيم الله ما منهم إلاَّ وقد جَزَّ له جَزَّةً من السَّواد المذكور.

يـا مُطعم المسكين والأسير وجابرَ اليتيم والكسير
ويا جـواداً زَادَ زَادَ صَحبه ومن قليلٍ جاء بالكثير
من ذا الذي يُنكر ما تأتي به يا رحمة المهيمن القدير
كم آية جئت بها بيِّنة ليس لها في الخلق من نظير

وأصابت الناسَ مخمصةٌ في بعض مغازيه، فجمع من الأزواد ما رَبضَة العَنز تُوازيه، ثم دعا النَّاس بأوعيتهم الخليَّه، فلم يبق في الجيش وعاء إلاَّ مُلئ وفَضَلَت بَقيَّه. وأمر أبا هريرة أن يدعو له أهل الصُّفه، فتَتَبَّعهم حتى جمعهم ووُضعت بين أيديهم صَحفه، يا لها صَحفة تخجل من جفناته الغرُّ في الضُّحى لمعت، أكلُوا منها ما شاؤوا وفرَغُوا وهي مثلُها حين وُضعت، وسقى جميعهم في وقت من قدح لبن، فرووا منه حتى كادوا أن يضربوا بعطن[٢٢٤].

=

قال الهيثمي في «المجمع» (٣٠٣/٨): في إسناده من لم أعرفه.

قلت: أبو محمد الحضرمي مجهولٌ، والرَّاوي عنه أخذ عنه جماعةٌ، وقال الذهبي: شيخٌ.

(٢٢٣) زاد في (م): وسلم. والسجعة تأباها.

(٢٢٤) رواه: ابن أبي شيبة (٣١٧١١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٠٧)، والفريابي في «دلائل النبوة» (١٣)، والخطيب في «الموضح» (٦٢/١) من طريق: حاتم بن إسماعيل: عن أُنَيس بن أبي يحيى: عن إسحاق بن سالم: عن أبي هريرة قال: «خرج علي رسول الله ﷺ؛ فقال: ادع لي أصحابك من أصحاب الصفة، فجعلت أُتبّعُهم رَجُلاً رَجُلاً، فجمعتهم فجئنا باب رسول الله، فاستأذنا فأذن لنا، قال أبو هريرة: فوضعت بين أيدينا صحفة، أظنُّ أنَّ فيها قدر مُدٍّ من شعير، قال: فوضع رسول الله عليها يده، وقال: كلوا بسم الله! قال: فأكلنا ما شئنا، ثم رفعنا أيدينا؛ فقال رسول الله حين وُضِعت الصَّحفة: والَّذي نفسي بيده ما أمسى في آل محمد طعامٍ، ليس ترونه؟ قيل لأبي هريرة: قدر كم كانت حين فرغتم منها؟ قال: مثلُها حين وُضِعت إلاَّ أنَّ فيها أثر الأصابع».

قال الهيثمي في «المجمع» (٣٠٨/٨): رجاله ثقاتٌ.

=

وجمع بني عبد المطلب وكانوا أربعين، فصنع لهم مُدًّا من طعام فأكلوا وشربوا أجمعين، ودعا بعُسٍّ[٢٢٥] فشرِبوا حتى بلغوا من ريِّهم المَطلَب، وبقي الطَّعام والشَّراب كأنه لم يؤكل ولم يُشرب. وأمر مرَّةً عمر بن الخطاب، أن يُزَوِّد أربع مائة من الرِّكاب، وعَيَّن له تمراً قدر الفَصِيل الرَّابض، فأعطى منه كُلاًّ منهم ما سار وهو به راض وعليه قابض.

أفـــاد صِـــحابه خَيـــراً ومَيْـــراً وقـــد جـــاؤوا بأوعـــية خلـــيَّه
وأطعمهُـــم كثيـــراً مـــن قلـــيل وأرشـــدهم إلـــى الطُّـــرق الجلـــيَّه
وأتحـــف مـــن دنـــا مـــنه ووفَّـــى إلـــيه مـــن الهدايـــة بالهديَّـــه
وكـــم للمـــصطفى مـــن مَكـــرُماتٍ تفـــيد ومـــن كـــرامات عَلِـــيَّه

وحديث مِزوَد أبي هريرة معروف، وما حصل فيه من بركة يده الكريمة موصُوف، أطعم منه الجيش وجماعة من صحبه، وحمل من ثمره كذا وكذا[٢٢٦] وَسَقاً من سبيل ربِّه، وآثرَ الناس منه مُدَّةً من الزَّمان، واستمرَّ على ذلك إلى أن ذهب منه في قتل عثمان. وخبر جابر مع غرماء أبيه مذكور، وتكثير التَّمر عند وفاء ديُونهم بدعائه مسطُور. وقصَّة قِدر فاطمة سيِّدة نساء العالمين، وفَيضه بعد أكل الجمع الكثير منه لا يخفى عند أئمَّة المحدثين[٢٢٧]، وكذا حديث وليمتها بالأمداد

=

قلت: حاشا ابن سالم؛ فهو مجهولٌ.

وأخرجه: الطبراني في «الأوسط» (٧٣٨٧) من طريق: حفص بن عمر الإمام: ثنا عبد الحميد بن جعفر: عن أبيه: عن عامر بن سعد: عن أبي هريرة؛ فذكره بأطول ممَّا تقدَّم.

قال الهيثمي في «المجمع» (٣٠٨/٨): رجاله ثقاتٌ.

قلت: إلاَّ حفصاً هذا، فإنَّه ضعيفٌ.

(٢٢٥) العُسُّ: القدَح الضَّخم العظيم، يُروي الثَّلاثة والأربعة.

(٢٢٦) في (م): وحمل كذا كذا.

(٢٢٧) قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سهل بن زنجلة الرازي: حدثنا عبد الله بن صالح: حدثنا عبد الله بن لهيعة: عن محمد بن المنكدر: عن جابر: «أن رسول الله أقام أيامًا لم يطعم طعامًا حتى شقَّ ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه، فلم يصب عند واحدة منهن شيئًا؛ فأتى فاطمة، فقال: يا بُنيَّة، هل عندك شيء آكلُه فإنِّي جائع؟! فقالت: لا - والله - بأبي أنت وأمي؛ فلمَّا خرج من عندها رسُول الله بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها

=

والجَزُور، وما فضُل من بعد أكل النَّاس كافة مأثُور[٢٢٨].

=

فوضعته في جفنة لها وغطت عليها، وقالت: والله لأُوثِرَنَّ بهذا رسول الله على نفسي ومن عندي - وكانوا جميعًا محتاجين إلى شعبة طعام - ، فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله، فرجع إليها، فقالت له: بأبي أنت وأمِّي، قد أتى الله بشيء فخبأته لك. قال: هلُمِّي يا بُنيَّة، فكشفت عن الجفنة، فإذا هي مملوءة خبزًا ولحمًا. فلمَّا نظرت إليها بُهتت وعرفت أنَّها بركة من الله، فحمدت الله وصلَّت على نبيِّه، وقدَّمته إلى رسول الله، فلما رآه حمد الله، وقال: مِن أين لك هذا يا بنية؟ قالت: يا أبت ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾؛ فحمد الله، وقال: الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة سيِّدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئًا، فسئلت عنه قالت ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

فبعث رسول الله إلى علي، ثم أكل رسول الله وعلي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج رسول الله وأهل بيته جميعاً حتى شَبعوا؛ قالت: وبقيت الجفنة كما هي، فأوسعت بقيَّتها على جميع جيرانها، وجعل الله فيها بركةً وخيراً كثيراً».

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/١١١): هذا حديث غريبٌ إسناداً ومتناً.

قلت: ابن صالح فيه ضعفٌ، وابن لهيعة قد عنعن؛ قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/١١): «قد سبَرت أخبار ابن لهيعة من رواية المُتقدِّمين والمتأخِّرين عنه، فرأيت التَّخليط في رواية المتأخِّرين عنه موجودًا، وما لا أصل له من رواية المُتقدِّمين كثيرًا، فرجعت إلى الاعتبار؛ فرأيته كان يُدلِّس عن أقوام ضَعفَى، عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقاتٌ؛ فالتزقت تلك الموضوعات به».

(٢٢٨) رواه: عبد الرزاق (٩٧٨٢)، وعنه الطبراني (٢٢/٤١٠) من طريق: يحيى بن العلاء الرازي: عن عمِّه شعيب بن خالد: عن حنظلة بن سبرة بن المسيب بن نجية: عن أبيه: عن جدِّه: عن ابن عباس في قصَّة زواج علي بفاطمة رضي الله عنهما: «...ثم دعا بلالاً، فقال: يا بلال، إني قد زوجت ابنتي ابن عمِّي، وأنا أحبُّ أن يكون من سُنَّة أمتي الطَّعام، ثم النكاح، فائت المغنم فخذ شاة وأربعة أمداد، واجعل لي قصعة لعَلِّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت فآذِنِّي بها!

فانطلق ففعل ما أمره، ثم أتاه بقصعة فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله ﷺ في رأسها وقال: أدخل الناس عليَّ زقة زقة، ولا تغادرون زقة إلى غيرها - يعني: إذا فرغت زقة فلا تعودَنَّ ثانية - . فجعل الناس يَرِدون، كُلَّما فرغت زقة وردت أخرى حتى فرغ الناس، ثم عمد النبي ﷺ إلى ما فضل منها، فتفل فيها وبارك، وقال: يا بلال، احملها إلى أمهاتك، وقل لهن: كلن، وأطعمن من غَشِيَكُن!».

=

ولمَّا ابتنى بزينبَ أمر بأن يُدعى له النَّاس، ويُقدَّم إليهم مُدٌّ من تمر بعد أن يُحاس[٢٢٩]، فجعلوا يأكلون ويخرجون زُمَراً زُمَراً، قال أنس: وكان القوم أكثر من سبعين نفراً، بل كانوا زُهاء ثلاثمائة في رواية أخرى[٢٣٠]، وهذا سهل لديه، صلى الله عليه[٢٣١]، ولو كانوا عدد جيش كسرى.

أنس ونجل عَتيقٍ العدل الرِّضى ... وأبو هريرة وابن خطاب وعُمَر
وكذا أبو أيوب يَتبَع جابراً ... كلٌّ روى ما قد رواه من الخبر
ذكروا الطعام وما تزايد فيه من ... بركات من بدعائه نزل المطر
هو أحمد رب القِراة والقِرى ... صلى عليه الله ما طلع القمر

=

قال الهيثمي في «المجمع» (٩/٢٠٩): فيه يحيى بن العلاء، وهو متروكٌ.

(٢٢٩) وهو تمر يُخلَط بسمن وأَقِطٍ، وحَاسَ الحيس: اتَّخَذه.

(٢٣٠) وهي الصَّواب.

(٢٣١) زاد في (م): «وسلم»، والسجعة تأباها.

١٦ - فصل: في كلام الشجر والحجر وطاعتها له

ومن معجزات رسول الله ﷺ أنَّ المسجد كان على جُذوع نخل مسقُوفاً، وكان إذا[٢٣٢] خطب يلازم في قيامه جذعاً منها معرُوفاً، فلما صُنع منبرُه العليُّ الدَّرَج الرَّفيع المنار، سَمِع الناس لذلك الجِذع صوتاً كصوت العِشار، حتى ارتجَّ المسجد بخُواره، وكثُر البكاء لتصدُّعه وانكساره، فوضع يده الكريمة عليه فسكت، والتزمه لمَّا علم حنينه إليه فصمت، ولو لم يلتزمه أعلى الله مقامه، لبقي كذلك إلى يوم القيامه.

وفي رواية: أنه دعاه فجاء يخرِق الأرض طائعاً، فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه راجعاً[٢٣٣]، وفي أخرى: قال له: إن شئت أن أرُدَّك إلى ما كنت فيه مع الشَّجر، تُنبت عرُوقك ويكمُل خلقُك ويجدَّد لك خوص وثمر، وإن شئت أغرسك في الجنَّه، فقال: بل تغرسني فيها ولك المنَّه[٢٣٤]، رغِب لسعادته في دار البقاء،

---

(٢٣٢) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٢٣٣) أخرج: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠٢/٧) من طريق: صالح بن عمرو بن نباتة: حدثني أمير المؤمنين المأمون بسنده عن آبائه: عن العباس بن عبد المطلب قال: «كان في مسجد رسول الله ﷺ جذع، إذا خطب الناس أسند إليه ظهره. قال: فلمَّا كثر الناس وانجفلوا عليه من كل ناحية، اتخذ له منبرًا، فلما صعده حنَّ الجذع، دعاه فأقبل يخدُّ الأرض، والناس حوله والناس ينظرون، فالتزمه وكلَّمه، ثم قال له وهم يسمعون: عُد إلى مكانك، فمرَّ حتى عاد إلى مكانه، وبحضرته المؤمنين وجماعة من المنافقين؛ فازداد المؤمنون إيمانًا وبصيرةً، وشكَّ المنافقون وارتابوا، وقالوا: أخذ محمَّد بأبصارنا، وهلكوا».
قلت: وهذا حديث منكر؛ تفرَّد به ابن نباتة، ولم أقف له على ترجمة.

(٢٣٤) رواه: الدارمي (٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢٢٥٠) من طريقين: عن صالح بن حيان: عن عبد الله بن بريدة: عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع يتساند إليه، فمرَّ رومي؛ فقال: لو دعاني محمد فجعلت له ما هو أرفق به من هذا! قالت: فدعي لرسول الله ﷺ، فجعل له المنبر أربع مراقي، فصعد النبي ﷺ المنبر فخطب، فحنَّ الجِذع كما تحِنُّ النَّاقة، فنزل إليه رسول الله ﷺ؛ فقال: ما شأنك إن شئت دعوت الله، فردَّك إلى =

واختارها لخيرها على دار الفناء. وفي رواية: فأُمر به فدُفِن تحت منبره ليصلي إليه[٢٣٥]، فلمَّا هُدم المسجد أخذه أبي فكان عنده رحمة الله عليه.

الجذع حنَّ إلى الرسول المصطفى — بالله أُقسِم أنَّه مَعذُور
قد كان حالَ القُرب من أنواره — في نعمة إقبالها مأثور
فغدا لفُرقة بدره مُتصدِّعاً — يُبدي الأنين وقلبُه مكسُور
من ذا الذي يَقوَى على هجران من — بين البريَّة فضلُه مشهُور

وخرج إلى نواحي مكة في بعض الأيام، فما استقبله شجر ولا حجر إلاَّ شافهه بالسَّلام[٢٣٦]، ولما أتى جبريل بالرِّسالة المُعظَّمة إليه، جعل لا يمرُّ بحجر ولا شجر إلاَّ سلَّم عليه.

=

مُحتبَسَك! وإن شئت دعوت الله، فأدخلك الله الجنة فأثمرت فيها فأكل من ثمرتك أنبياء الله المرسلون وعباده المتقون، قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: نعم! فغار الجذع فذهب». لفظ الدارمي.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/٢٧٥): لا يصِحُّ إسناده.

قلت: فيه صالح بن حيان؛ قال البخاري: فيه نظر، وقال الحربي: له أحاديث منكرة، وضعَّفه جماعةٌ.

(٢٣٥) في (م): ليصلى عليه.

(٢٣٦) رواه: الترمذي (٣٦٢٦)، والدارمي (٢١)، والحاكم (٤٢٣٨)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٠٩٧، ٢٠٩٨)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (١/٣٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/١٧٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/٣٦٠) من طريقين: عن إسماعيل السُّدِّي: عن عَبَّاد بن أبي يزيد: عن علي بن أبي طالب قال: «كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجرٌ إلاَّ وهو يقول: السَّلام عليك يا رسول الله».

قال الحاكم: صحيحُ الإسناد، ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي!

قلت: شيخ السدِّي مجهولٌ، وقد اختُلِف على السدي فيه؛ فرواه عنه عنبسة (و) الوليد بن أبي ثور كما تقدَّم، ورواه: الطبراني في «الأوسط» (٥٤٣١)، وابن عساكر (٤/٣٦١) من طريقين: عن أبي بدر شجاع بن الوليد: نا زياد بن خيثمة: عن السدي: عن أبي عمارة الخيواني: عن علي.

قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٦٠): أبو عمارة الخيواني لم أعرفه، وبقيَّة رجاله ثقاتٌ.

قلت: أبو عمارة هو عبد خير بن يزيد الثقة المعروف؛ كما بيَّنه ابن سعد وغيره.

لكن أبو بدر هذا صدوق ورع له أوهام، ولا أستبعد أن يكون هذا من أوهامه!

وأمَّنت الأبواب والجُدران على دُعائه[٢٣٧]، وكان كُلٌّ من الحجر والشَّجر يسجُد له إذا مرَّ بإزائه[٢٣٨]، وعرض الإسلام على بعض الأعراب، فقال من يشهد لك على ما تقول بالصَّواب، فأشار إلى سَمُرَة[٢٣٩] بشاطئ الوادي، فأقبلت تَخُدُّ الأرض بحضرة الحاضر والبادي، حتى قامت بين يديه فشهِدت، ثم صدرت إلى مكانها بعدما وردت[٢٤٠].

وسأله أعرابي آية تكون له سبباً للهداية فأمره بدعوة بعض الشَّجر، فأقبلت الشَّجرة مُمتثِلة لما أمر[٢٤١]، فسلَّمَت عليه[٢٤٢]، ووقفت بين يديه، ثم رجعت

---

(٢٣٧) رواه: ابن ماجه (٣٧١١)، والطبراني (٢٦٣/١٩)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (٢٢١)، والمزي في «التهذيب» (٢٧٥/١٥) من طريق: عن عبدالله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص: عن جدِّه مالك بن حمزة بن أبي أسيد السَّاعدي: عن أبيه: عن جدِّه أبي أسيد السَّاعدي قال: «قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: يا أبا الفضل، لا ترم منزلك أنت وبنوك غدًا حتى آتيكم، فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى، فدخل عليهم، فقال: السلام عليكم. قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، قال: كيف أصبحتم؟ قال: بخير أحمد الله، فقال: تقاربوا تقاربوا، يزحف بعضكم إلى بعض، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته، ثم قال: يا رب، هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي، فاسترهم من النار كستري إيَّاهم بملاءتي هذه. قال: فأمَّنت أسكُفَّة الباب وحوائط البيت، فقالت: آمين آمين آمين».
قال الهيثمي في «المجمع» (٢٦٩/٩): إسناده حسنٌ!
وقال البوصيري في «المصباح» (١١١/٤): هذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ قال البخاري: مالك بن حمزة: عن أبيه: عن جده: «أنَّ النبي دعا للعباس» الحديث، لا يُتابع عليه. وقال أبو حاتم: عبد الله بن عثمان شيخٌ يروي أحاديث مشتبهة.
قلت: مالك بن حمزة، والرّاوي عنه مجهولان كلاهما.
وله شاهدٌ من حديث عبد الله بن الغسيل؛ رواه: الطبراني في «الأوسط» (٤٠٧١)؛ لكن في سنده مجاهيلٌ.

(٢٣٨) وقع هذا قبل البعثة؛ في رحلته ﷺ إلى الشام.

(٢٣٩) سمرة: شجرة المصطاكي أو شجرة ذات شوك. اهـ.

(٢٤٠) هي: من شجر الطَّلحِ.

(٢٤١) زاد في (م): الله.

(٢٤٢) بل استشهدها، فشهدت له بالرسالة؛ أخرج: ابن حبان (٦٥٠٥)، والدارمي (١٦)، =

بإشارته إلى منزلتِها، وكم له من آية[٢٤٣] منقُولة عن مُثبتِها. وذهب يقضي حاجته في بعض الأحيان، فلم ير شيئاً يَستَتر به عن العَيَان، فلحقت بصاحبتها إحدى شجرتين، وعادتا على شخصه الكريم مُلتئمتين، ثم افترقتا بعد الاتِّفاق، وقامت كُلُّ واحدة منهم على ساق.

إذا جــاء الجمــادُ إلــيه طــوعاً ... وخاطــبه فــلا تعجــب لــذَاكَا
أتــى يبغــي التَّدَانــي مــن نبــي ... عــلا مقــداره وســما الــسِّماكا
رســولَ الله أفلــح مــن ترامــى ... علـيك وفـاز مـن وافـى حماكـا
وفــي ناديــك مــن حُلَّــت حُــباه ... تَلَفَّــعَ بــالملابس مــن حِــباكا

وذهب لحاجته في بعض مغازيه، وأسامة بن زيد صُحبَته يُناجيه، فأمره أن يدعو له نخلات وحجاره، ليكنَّ له بمنزلة الوِقاية والسِّتارة، فتقاربت النَّخلات حتى عُدن لِزاماً، وتعاقدَت الحجارة حتى صِرن خلفهنَّ رُكاماً، فلمَّا قضى حاجته من منافعِهِنَّ، رجعن بإشارته إلى مواضعهن[٢٤٤].

=

والطبراني (١٢/٤٣١) من طرق: عن محمد بن فضيل: عن أبي حيان: عن عطاء: عن ابن عمر قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: أين تريد؟ قال: إلى أهلي. قال: هل لك إلى خير؟ قال: ما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمَّدًا عبده ورسوله. قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال ﷺ: هذه السمرة، فدعاها رسول الله ﷺ، وهي بشاطىء الوادي؛ فأقبلت تخد الأرض خدًّا حتى كانت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن يتبعوني أتيك بهم، وإلاَّ رجعت إليك فكنت معك!».

قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٩٢): رجاله رجال الصحيح.

وله شاهدٌ من حديث بريدة بن الحصيب؛ عند: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/٣٦٥)، والروياني (٣٧، ٣٨)؛ يصحُّ به.

(٢٤٣) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٢٤٤) أخرجه: العقيلي (٣/٨١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/٣٦٩) من طريقين: عن معاوية بن يحيى الصَّدفي: أخبرني الزهري: عن خارجة بن زيد قال: قال أسامة بن زيد:

=

وجاءت للسَّلام عليه طَلحةٌ أو سمُرَةٌ من قبل نفسها، فأطافت مُلِمَّة به ثم رجعت إلى مَنبت غرسها. ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه إن الجنَّ قالوا: من يشهد لك بما عنه تدافع؟ قال: هذه الشَّجرة! فجاءت تجرُّ عرُوقها لها قعاقع(٢٤٥).

=

«خرجنا مع رسول الله ﷺ في الحجة التي حجها، حتى إذا كنا ببطن الروحاء نظر إلى امرأة تحمل صبيا، فغنج رسول الله ﷺ راحلته، فلما دنت منه قالت: يا رسول الله، هذا ابني، والذي بعثك بالحق ما أفاق من جنون من يوم ولدتُه...»؛ وذكر حديثاً بطوله.

قال العقيلي: وابن حمَّاد هذا؛ مجهولٌ بالنَّقل، حديثه غير محفوظ.

وقال ابن كثير في «البداية» (١٤١/٦): فيه مُعاوية بن يحيى الصَّدفي، وهو ضعيفٌ.

(٢٤٥) رواه: الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣١٩) من طريق: ابن جريج: عن مجاهد: قال ابن مسعود: «انطلق بي النبي ﷺ، حتى إذا دخلت المسجد الذي عوف خط علي خطا، فأتاه نفر منهم، فقال: لا، أصحابنا كأنهم رجال الزُّط - هم: جِنْس من السُّودان والهُنُود - ، وكأن وجوههم المكاكي. قال مجاهد: قالوا: ما أنت؟ قال: أنا نبي! فقالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال ﷺ: هذه الشجرة؛ تعالي يا شجرة! فجاءت تجر عروقها، الحجارة لها قعاقع، حتى انتصبت بين يديه ﷺ؛ فقال: على ماذا تشهدين؟ قالت: أشهد أنك رسول الله! قال النبي ﷺ: اذهبي! فرجعت كما جاءت تجرُّ عروقها، ولها قواقع حتى عادت حيث كانت».

قال ابن جريج: فذكرت ذلك لعبد العزيز بن عمر، فعرفه فقال: هذا حديثٌ مستفيضٌ بالمدينة.

قلت: وهذا سندٌ ضعيفٌ؛ مجاهد لم يدرك ابن أم عبد، وابن جريج مُدلِّس وقد عنعن!

وأما قضيَّة الاستفاضة؛ فقد صحَّ عند: مسلم (٤٥٠) عن الشعبي قال: «سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود؛ فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا! ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب؛ فقلنا: استُطير أو اغتيل! قال: فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبَل حِراء. قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم! فقال: آتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن. قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم؛ فقال رسول الله ﷺ: فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم!».

فهذا الخبر الصَّحيح صريحٌ في أنَّ ابن مسعود وغيره، لم يشهدوا لقاء الجن بالنبي ﷺ!

وسار في غزوة الطَّائف ليلاً، وقد أسبل الوَسَن[٢٤٦] من جفنيه ذيلاً، فاعترضته سِدرةٌ فانفجرت له نصفين، واستمرَّت باقية راقيةً قائمةً على ساقين[٢٤٧]. ودعا ببعض الأودية غصناً من شجره، فجاء يخطُّ الأرض مُطيعاً لأمره، فحبسه بمشيئة من أعطى ومنع، ثم قال له: ارجع كما جئت فرجع[٢٤٨]. وقصد هداية أعرابي إلى السبيل، فدعا بحضرته عَذقا من النخيل، فجعل يَبقَر حتى أتاه، ثم رجع بأمره إلى مكانه ومثواه.

نبـي لـه الأشـجار جـاءت مُطـيعةً نبـي علـيه سـلَّم الحجـر الـصَّلد

(٢٤٦) بهامش (م): الوسن نوم خفيف كالنعاس.

(٢٤٧) قال الماوردي في «أعلام النبوة» (١/١٩٣): «ومن آياته: أنَّه مَرَّ في غزوة الطائف في كثيف من طلح، فمشى وهو وِسِنٌ من النَّوم، فاعترضته سدرة، فانفرجت السِّدرة له بنصفين، فمرَّ بين نصفيها، وبقيت السدرة منفرجة على ساقين إلى قريب من أعصارنا هذه. وكانت معروفةً بذلك في مكانها، يتبرَّك بها كُلُّ مَارٍّ، ويُسمُّونها سِدرة النبي ﷺ».
قلت: ولم أقف على سند هذه القصة.

(٢٤٨) أخرج: البيهقي «دلائل النبوة» - كما في «البداية والنهاية» (٦/١٢٤) - من طريق: مبارك بن فضالة: عن الحسن قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى بعض شعاب مكة، وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه إياه؛ فقال: يا رب، أرني ما أطمئن إليه ويذهب عني هذا الغم، فأوحى الله إليه: ادع إليك أيَّ أغصان هذه الشجرة شئت! قال: فدعا غصنا، فانتزع من مكانه، ثم خدَّ في الأرض حتى جاء رسولَ الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ارجع إلى مكانك! فرجع فحمد الله رسول الله ﷺ، وطابت نفسه».
قلت: هذا مع إرساله، فيه تدليس مُبارك.
ويُغني عنه؛ ما رواه: ابن ماجه (٤٠٢٨)، وأحمد (١٢١٣٣)، والدارمي (٢٣)، وابن أبي شيبة (٣١٧٣٢)، وأبو يعلى (٦/٣٥٨)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٢٧)، والضياء في «المختارة» (٦/٢١٤) من طرق: عن أبي معاوية: عن الأعمش: عن أبي سفيان: عن أنس قال: «جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ، وهو جالس حزين قد خُضب بالدِّماء، قد ضربه بعض أهل مكة؛ فقال: مالك؟ فقال: فعل بي هؤلاء، وفعلوا! قال: أتحب أن أريك آية؟ قال: نعم، أرني! فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، قال: ادع تلك الشجرة! فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه؛ قال: قل لها فلترجع، فقال لها فرجعت، حتى عادت إلى مكانها؛ فقال رسول الله ﷺ: حسبي!!».
قال الضياء: إسناده صحيحٌ. وهو كما قال.

نبـي هـدى حتـى الجمـاد يحـبُّه   نبـي كـريم مـا لِدعـوته رَدُّ
لـه الفـضل والإفـضال والبـر والتُّقـى   له العدل والإحسان والجود والمجد
علـيه سـلام الله مـا ذَرَّ شـارِقٌ[٢٤٩]   ومـا مـال فـي كثـبانه الـبان والـرَّند[٢٥٠]

(٢٤٩) أَي: كلّ يوم طلعت فيه الشمس.

(٢٥٠) البَانُ: شجرٌ يَسْمُو ويَطُول في اسْتِواءٍ مثل نَبات الأَثْل، وورقُه أَيضاً هدبٌ كهَدَبَ الأَثْل.
الرَّنْدُ: شجر طيب الرائحة من شجر البادية، وربما سموا العود رندا.

١٧ - فصل: في كلام الحيوان والجماد وطاعتها له

ومن معجزات النبي ﷺ، أنَّ الضبَّ كلَّمه في محفل من أصحابه، وقال له: لبَّيك وسَعدَيك يا زينَ من وافى القيامةَ حالَ خطابه، ونطق بربوبية إله الأوَّلين والآخرين، وشهد أنه رسول ربِّ العالمين وخاتم النبيِّين[٢٥١].

وأخبر الذِّئب راعي الغنم بنُبوَّته وعظمته، وقتاله للمشركين حينئذ وعلوِّ كلمته، فحكَّمه الراعي في غنمه، ومضى لتحقيق صدق كلمه، فوجده في القتال كما قال فأسلم، وعاد واجداً غنمه على أكمل الأحوال[٢٥٢]. وسبَّح المأكل بين يديه بلُغةٍ

---

(٢٥١) رواه: الطبراني في «الصغير» (٩٤٨)، وابن منده في «ترجمة الطبراني» (ص٣٥٠) من طريق: محمد بن علي بن الوليد السلمي: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني: حدثنا معتمر بن سليمان: حدثنا كهمس بن الحسن: حدثنا داود بن أبي هند: عن الشعبي: عن عبد الله بن عمر: عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي من بني سُلَيم قد صاد ضبًّا، وجعله في كُمِّه». وذكر خبرًا طويلاً.
قال الطبراني: لم يروه عن داود بن أبي هند بهذا التَّمام إلاَّ كهمس، ولا عن كهمس إلاَّ معتمر؛ تفرَّد به محمَّد بن عبد الأعلى.
قلت: وهو ثقة، ومن فوقه كذلك، وإنما الحمل في هذا الحديث على السلمي. وبه أعلَّه البيهقي، والهيثمي في «المجمع» (٨/٢٩٤).

(٢٥٢) قال صاحب «السيرة الحلبية» (١/٣٣٤): «وفي رواية: «أنَّ الذئب قال له: أنت أعجب مني، واقفًا على غنمك وتركت نبيًّا لم يبعث الله قط أعظم منه قدرًا، وقد فتحت له أبواب الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى، فقال له الراعي: من لي بغنمي؟ فقال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع، فأسلم إليه غنمه، ومضى إليه ﷺ وأسلم، وقال له رسول الله ﷺ: عُد إلى غنمك تجدها بوفرها، فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاةً منها»».
قلت: لم أقف على سندها، ويُغني عنها؛ ما رواه: الترمذي (٢١٨١)، وأحمد (١١٨٠٩)، وعبد بن حميد (٨٧٧) من طرق: عن القاسم بن الفضل الحُدَّاني: عن أبي نضرة: عن أبي سعيد الخدري قال: «عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه؛ قال: ألا تتقي الله؟! تنزع مني رزقا ساقه الله إلي! فقال: يا عجبي، ذئب مُقعٍ على =

فصيحه، قال ابن مسعود: كُنَّا نأكل معه ونحن نسمع تسبيحه، وأخذ كفًّا من الحصى فسبَّح في يده، وهو حديث رواه الثقات عن أنسٍ بسنده. ومرض فجاءه جبريل بطبق فيه عنب ورُمَّان، فلما أكل منه سبَّح للملك الديَّان(٢٥٣).

يا خاتِماً خاطبه ضَبُّ الفَلا ... وأخبر الذِّئب به راعيَ الغنم
لولاك ما غاب العِدا لولاك ... ما آبَ الهُدى كَلاً ولا أمَّ(٢٥٤)الأمم
أُقسم يا رب القُسام المجتلى ... إنَّك خير النَّاس عُرب وعجم

وكان حول البيت ثلثمائة وستُّون(٢٥٥) صنما، أرجُلُها مُثبَتةٌ بالرَّصاص إثباتاً مُحكماً، فلمَّا دخل عام الفتح إلى المسجد الحرام، جعل يسير بقضيب في يده إلى تلك الأصنام، فوقعت لظهورها ووجوهها حسب إشارته، وكم له من آية بيِّنة تدل على كثرة فضله وغزارته. وكلام ضِمار صنم عبَّاس بن مِرداس، وإنشاده للشِّعر الذي ذكره لا شكَّ فيه ولا التباس، وكذا كلام الذي عند ضِمار سقط، وشهادته برسالته غير خاف عمَّن روى وضبط(٢٥٦). وسجدت له الشَّجر(٢٥٧) في حائط بعض

=

ذنبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق! قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاةَ جامعةً! ثم خرج، فقال للراعي: أخبرهم! فأخبرهم؛ فقال رسول الله ﷺ: صدق، والذي نفسه بيده لا تقوم الساعة حتى تُكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عَذَبَة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده».

قال الترمذي: حديث حسن غريبٌ.

وقال ابن كثير في «البداية» (١٤٣/٦): وهذا إسنادٌ على شرط الصَّحيح، وقد صحَّحه البيهقي.

قلت: وغيره، وهو كما قالوا.

(٢٥٣) لم أقف عليه مُسندًا.

(٢٥٤) بهامش (م): أي قصد.

(٢٥٥) في (م): وستين.

(٢٥٦) رواه: ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٩٢)، وابن قانع في «المعجم» (٢٧٧/٢)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (١٥٢) من طريق: عبد الله بن عبد العزيز: عن أخيه محمد بن عبد العزيز: عن ابن شهاب: عن عبد الرحمن بن أنيس السلمي: عن عباس بن مِرداس قال:

=

الأنصار، والبعير برك بين يديه ومن الذبح به استجار.

أشار إلى الأصنام في فتح مكة فخرَّت وعاد البيت منها مُطهَّرا
وأخبر عن إرساله الطَّائرُ الَّذي أفاد ضِماراً ما أسَرَّ وأضمرا
كمالاتِ معروفِ المكارم عَارفٍ يفوق الورى فضلاً وخُبراً ومخبرا

وحديث ناقته العضباء وكلامها له مشهور، ومبادرة العشب إليها وتجنب الوحوش عنها في الكتب مسطور، على أنها بعد وفاته ما اقتاتت، ولم تأكل ولم تشرب حتى ماتت(٢٥٨). وأظلَّته حمام مكة يوم فتحها(٢٥٩)، وازدلفت إليه البُدنُ في بعض الأعياد لذبحها، ونبتت بأمر الله تجاهه شجرة ليلة الغار، ونسجت العنكبوت

=

«خرجت إلى رسول الله ﷺ فدخلت المسجد، فلمّا رآني تبسَّم قال: يا عباس، كيف كان إسلامك؟ فقصصت بذلك وأسلمت...»، وذكر حديثاً طويلاً فيه شعرٌ.

قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٤٦): فيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي ضعَّفه الجمهور، ووثقه سعيد بن منصور وقال: كان مالك يرضاه، وبقية رجاله وُثِّقوا.

قلت: الليثي ضعيف مخلِّطٌ، وأخوه وشيخ الزهري مجهولان.

(٢٥٧) كذا بالأصل! ولعلَّ الصواب: «الغنم»؛ فقد أخرج: الضياء في «المختارة» (٦/١٣١) من طرق: عن أبي جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس: عن أنس بن مالك قال: «دخل النبي ﷺ حائطًا للأنصار، ومعه أبو بكر وعمر ورجال من الأنصار، قال: وفي الحائط غنم، فسجدت له. قال أبو بكر: يا رسول الله، إنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم. فقال: إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد، ولو كان ينبغي أن يسجد أحد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

قال الضياء: إسناده حسن!

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/١٤٣): غريبٌ، وفي إسناده من لا يُعرف.

قلت: أورد له الضياء سندين آخرين، غير الذي ذكره ابن كثير، لكن مدار الطرق كُلِّها على أبي جعفر الرازي؛ وهذا وإن كان صدوقا، إلاَّ أنه كثير الوهم؛ فلا يُقبل منه ما تفرَّد به.

(٢٥٨) في «السيرة الحلبية» (٣/٤٣٣): «ويُقال إن هذه العضباء لم تأكل بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم تشرب حتى ماتت». ولم أقف على سند هذا القول.

(٢٥٩) في «السيرة الحلبية» (٢/٢١٠): «وذكر بعضهم أن حمام مكة أظلَّه ﷺ يوم فتحها، فدعا له بالبركة». ولم أقف على سند هذا القول.

ووقفت الحمامتان ستراً له من الكفار(٢٦٠).

واستجارت به الظَّبية المُوثقة في الحبالة، وخصَّته بياء النِّداء في البَيداء شاهدةً له بالرِّسالة، وسألته إطلاقها لتُرضع خِشْفَيْهَا(٢٦١) ثم تعود، فعاهدها وأطلقها فغابت ثم أتت مُوفِيةً بالعهود، فلما عادت أوثقها نظراً في حال الصيَّاد، ثم أعتقها بإذنه لما استيقظ من الرُّقاد(٢٦٢).

حـــام الحَمَـــام علـــيه إجـــلالاً لـــه   وبـــه اســـتجارت ظبـــية القـــنَّاص
شَـــــهدت بمبعـــــثه وأبـــــدت   شَجْوَها بلسان لاَ هَـذِرٍ ولاخَـرَّاص
آيـــاتُ حَـــقٍّ حـــار كُـــلُّ مُـــؤرِّخٍ   فـــي حـــصرها ومحـــدِّث قـــصَّاص

وتنحَّى الأسد عن طريق مولاه سفينه، حين عَلِم أنه مُجهَّزٌ من حضرته العالية

---

(٢٦٠) رواه: ابن سعد في «الطبقات» (١/٢٢٨)، والطبراني (٢٠/٤٤٣)، والعقيلي (٣/٤٢٢) من طرق: عن عون بن عمرو القيسي: سمعت أبا مصعب المكي قال: أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة؛ فسمعتهم يحدثون: أنَّ النبي ﷺ قال: «أمر الله شجرة ليلة الغار، فنبتت في وجه النبي ﷺ، وأمر الله العنكبوت، فنسجت في وجه النبي ﷺ، وأمر حمامتين وحشِيَّتَين فوقفنا بفم الغار...».
وهذا خبرٌ منكر؛ أبو مصعب رجلٌ مجهولٌ، والقيسي؛ قال فيه ابن معين: لا شيء، وقال البخاري: منكر الحديث مجهولٌ.
انظر: «الضعيفة» (١١٢٨).

(٢٦١) الخِشْفُ: صغير الظباء.

(٢٦٢) رواه: الطبراني في «الأوسط» (٥٥٤٧) من طريق: إبراهيم بن محمد بن ميمون: حدثنا عبد الكريم بن هلال الجعفي: عن صالح المري: عن ثابت البناني: عن أنس بن مالك قال: «مَرَّ رسول الله ﷺ على قوم قد صادوا ظبية فشدوها إلى عامود الفُسطاط، فقالت: يا رسول الله، إني وضعت ولي خِشفان فاستأذن لي أن أرضعهما ثم أعود إليهم، فقال: أين صاحب هذه؟ فقال القوم: نحن، يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وتأتي إليكم! قالوا: ومن لنا بذلك، يا رسول الله؟ قال: أنا! فأطلقوها فذهبت فأرضعت، ثم رجعت إليهم فأوثقوها، فمر بهم النبي ﷺ فقال: أين أصحاب هذه؟ قالوا: هو ذا نحن، يا رسول الله! قال: تبيعونها؟ قالوا: يا رسول الله، هي لك! فخلوا عنها، فأطلقها فذهبت».
قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٩٥): فيه صالح المري، وهو ضعيفٌ.
قلت: والرَّاوي عنه مجهولٌ، وإبراهيم تكلَّموا فيه.
وفي الباب: عن أم سلمة، وأبي سعيد الخدري، ويزيد بن أرقم؛ ولا يصحُّ من ذلك شيءٌ.

المكينة(٢٦٣)، وقصّة الحمار الذي كلَّمه حين أصابه بخيبر، وذكر أن اسمه يزيد بن شهاب مَعروفةٌ لا تنكر(٢٦٤).

وشهِدت النَّاقة عنده على مُدَّعيها بإفكه، واعترفت أن صاحبها لم يسرقها وأنها جارية في مِلكه(٢٦٥)، وأتت إليه عَنزٌ في عسكره المنصور، وذيل الماء على منزلهم

---

(٢٦٣) أخرج: معمر في «الجامع» (٢٨١/١١)، واللالكائي في «الكرامات» (١١٤) من طريق: سعيد بن عبد الرحمن الجحشي: عن ابن المنكدر: «أنَّ سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أُسِر، فانطلق هاربًا يلتمس الجيش، فإذا بالأسد؛ فقال له: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ، وإنَّ من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد له بصبصةٌ حتى قام إلى جنبه، كلَّما سمع صوتًا أتى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد».
قلت: فأنت ترى أنَّ القصة إنما وقعت بعد وفاة النبي ﷺ، وأنَّ سفينة انتسب إليه ﷺ؛ فأمَّنه الأسد، ودلَّه على الطَّريق.

(٢٦٤) أخرج: ابن حبان في «المجروحين» (٣٠٨/٢) من طريق: أبي حذيفة موسى بن مسعود: عن عبد الله بن حبيب الهذلي: عن أبي عبد الرحمن السلمي: عن أبي منظور قال: «لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر؛ أصابه من سهمه أربعة أزواج نعال، وأربعة أزواج خفاف، وعشرة أواقي ذهب وفضة، وحمار أسود؛ قال: فكلم النبي ﷺ الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً، كلهم لم يركبهم إلا نبي، ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك...»؛ وذكر خبراً طويلاً.
قال ابن حبان: حديثٌ لا أصل له، وإسناده ليس بشيءٍ.
وقال ابن كثير في «البداية» (١٥٠/٦): قد أنكره غير واحدٍ من الحُفَّاظ الكبار.
وقال ابن حجر في «الإصابة» (٣٨٩/٧): خبرٌ واهٍ.

(٢٦٥) رواه: الطبراني (١٤١/٥) من طريق: هارون بن يحيى الحاطبي: ثنا زكريا بن إسماعيل: عن أبيه: عن عمِّه سليمان زيد بن ثابت: عن أبيه قال: «غدونا يوما غدوة من الغدوات مع رسول الله ﷺ حتى كنا في مجمع طرق المدينة، فبصُرنا بأعرابي أخذ بخطام بعيره حتى وقف على النبي ﷺ ونحن حوله، فقال: السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه النبي ﷺ؛ فقال: كيف أصبحت؟ قال: ورغا البعير، وجاء رجل كأنَّه حَرسِيٌّ! فقال الحَرَسي: يا رسول الله، هذا الأعرابي سرق البعير! فرغا البعير ساعةً وحنَّ، فأنصت له رسول الله ﷺ يسمع رُغاءه وحنينه. فلمَّا هدأ البعير، أقبل النبي ﷺ على الحَرَسي، فقال: انصرف عنه، فإنَّ البعير شَهد عليك أنَّك كاذب! فانصرف الحرسي، وأقبل النبي ﷺ على الأعرابي، فقال: أيَّ شيء قلت حين جئتني؟ قال: قلت - بأبي أنت وأمي - : اللَّهُمَّ صلِّ
=

غير مجرور، وهم زُهاء ثلثمائة بالعطش محصورون، فحلبها وروَّاهم ثم انطلقت وهم لا يشعرون[٢٦٦].

وأمر فرسه وقد قام للصَّلاة بالوقوف، فما حرَّك عُضواً حتى فرغ من صلاته وتفرَّقت الصُّفوف[٢٦٧]، وكان الدَّاجن[٢٦٨] في بيته يَقِرُّ ويثبُت إذا دخل إليه، ويجيء ويذهب إذا خرج منه صلى الله عليه[٢٦٩].

=

على محمَّد حتى لا تبقى صلاة، اللهم بارك على محمد حتى لا تبقى بركة، اللهم سلم على محمَّد حتى لا يبقى سلام، اللهم وارحم محمداً حتى لا تبقى رحمة! فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الله جل وعزَّ أبداها لي، والبعير ينطق بعذره، وإن الملائكة قد سدوا الأفق».

قال الهيثمي في «المجمع» (١١/٩): فيه من لم أعرفه.

وقال العسقلاني في «اللسان» (١٨٣/٦): حديثٌ ظاهر النَّكارة.

قلت: والبلاء من الحاطبي!

(٢٦٦) أخرج: ابن سعد في «الطبقات» (١٧٩/١) من طريق: خلف بن الوليد أبو الوليد الأزدي: عن خلف بن خليفة: عن أبان بن بشير: عن شيخ من أهل البصرة: أخبرنا نافع صاحب النبي ﷺ: «أنه كان مع رسول الله ﷺ في زُهاءِ أربعمائة رجل، فنزل بنا ماء، فكأنَّه اشتدَّ على الناس، ورأوا رسول الله ﷺ نزل، فنزلوا؛ إذ أقبلت عَنزٌ تمشي حتى أتت رسول الله ﷺ مُحدَّدة القرنين؛ قال: فحلبها رسول الله ﷺ. قال: فأروى الجند ورَوِي...».

قلت: أبان مجهولٌ، وشيخه مُبهَمٌ، ونافعٌ هذا كأنَّه مُختَلَقٌ!

قال الحافظ في «الإصابة» (٤١٥/٦): واختُلِف على خلف بن خليفة في الحديث المذكور؛ فرواه أبو كريب عنه، فلم يذكر أبان في السند، ورواه عصمة بن سليمان عن خلف، فقال عن أبي هاشم الرماني عن نافع - وكانت له صُحبةٌ - .

أقول: لم أقف على الرواية الأولى، والأخرى؛ خرَّجها: ابن قانع في «المعجم» (١٤١/٣)، والخطيب في «التاريخ» (٢٨٦/١٢) من طريقين: عن عصمة بن سليمان الخزاز؛ به.

وخلف هذا؛ قال فيه عثمان بن أبي شيبة: صدوق ثقة لكنه خرف فاضطرب عليه حديثه، وقال ابن سعد: أصابه الفالج قبل موته حتى ضَعُف وتغيَّر واختلط.

قال البيهقي: وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا إسناداً ومتناً. كذا في «البداية» (١٠٣/٦).

(٢٦٧) لم أقف عليه.

(٢٦٨) بهامش (م): يقال للشاة داجن إذا ألفت البيوت واستأنست، وكذلك السائمة والبهائم.

(٢٦٩) رواه: أحمد (٢٤٨٦٢)، وابن راهويه (٦١٧/٣)، والطحاوي في «شرح المعاني» (١٩٥/٤)، وأبو يعلى (٤٦٦٠) من طرق: عن يونس بن أبي إسحاق: سمعت مجاهدا يقول: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتد وأقبل

=

نبـــي وَبـــلُ مَركـــزِه عزيـــزٌ فـدَع طَـلَ الـسحابة[٢٧٠]والـرَّذاذا[٢٧١]
نبـــي أمـــر مُعجـــزِه كبيـــرٌ بـــه حتـــى جَمَّـــة ذو الأرض لاذا
وأقـــبل الحـــيوان طـــوعا يـــروم بكهفـــه العالـــي عـــياذا
علـــيه صـــلاة ربِّ ذي ســـهام إذا مـــا أُرسِـــلت نفـــذت نفـــاذا

=

وأدبر، فإذا أحس برسُول الله ﷺ قد دخل ربَض، فلم يَتَرَمْرَمْ ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه».

قال ابن كثير في «البداية» (١٤٧/٦): وهذا الإسناد على شرط الصَّحيح ولم يخرجوه، وهو حديثٌ مشهورٌ. والله أعلم.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/٩): رجال أحمد رجال الصَّحيح.

(٢٧٠) في الأصل: ظِلَّ الشَّجاعة، والصواب ما في (م).

(٢٧١) الوبل: المطر الشديد الضَّخم القَطر، والرَّذاذ: المطر الضَّعيف.

١٨ - فصل: في كلام الموتى والأطفال وإبراء ذوي العاهات

ومن معجزات النبي ﷺ أنَّ الشَّاة المَصليَّه، التي بخيبر أهدتها له اليهوديَّه، أخبرته بأنَّها مسمومة، وأنَّ عاقبة الأكل منها مذمُومة، فمات بشر بن البراء، وهو أحد من أكل منها، وفي رواية: أنَّ ذراعها أو فخذها تكلَّم عنها. ثم إن اليهوديَّة اعترفت بما عملت، فأمر بها ﷺ فقُتلت.

وأُتيَ بغلام يوم ولادته، فنطق بين يديه شاهداً برسالته، ولم يتكلم الغلام بعدها حتى شبَّ[٢٧٢]، وليس ذلك بمُستَنكَرٍ بعد كلام الظَّبية والضَّب. وانطلق مع الرَّجل الذي طرح ابنته بالوادي، فناداها باسمها فخرجت وهي بتلبيته تنادي، فقال إن أحببت أن أردك على أبويك فقد أسلما، قالت: لا حاجة لي بهما، وجدت الله خيراً

---

(٢٧٢) رواه: الخطيب في «تاريخه» (٤٤٢/٣)، وابن قانع في «معجمه» (١٣٤/٣)، والمزي في «التهذيب» (٧٣/٢٧) من طريق: أبي محمد شاصونة بن عبيد اليماني: حدثني معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقيب اليماني: عن أبيه: عن جده قال: «حججت حجة الوداع، فدخلت داراً بمكة؛ فرأيت فيها رسول الله ﷺ ووجهه مثل دارة القمر، وسمعت منه عجباً؛ جاءه رجل بغلام يوم وُلِد، فقال له رسول الله: من أنا؟ قال: أنت رسول الله! قال: صدقت، بارك الله فيك!». ثم قال: إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شَبَّ! قال أبي: فكنا نسميه: مبارك اليمامة.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٩/٦): حديثٌ غريبٌ جدًّا.

قال ابن حجر في «الإصابة» (١٨٠/٦): معرض وشيخه مجهولان، وكذلك شاصونة.

قال البيهقي في «دلائل النبوة»: ولهذا الحديث أصلٌ من حديث الكوفيين بإسناد مُرسلٌ يُخالفه في وقت الكلام؛ ثم ساقه من طريق: أحمد بن عبد الجبار: عن يونس بن بكير: عن الأعمش: عن شِمر بن عطية: عن بعض أشياخه قال: «جاءت امرأة بابنٍ لها قد تحرك؛ فقالت: يا رسول الله، إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد! فقال رسول الله ﷺ: أدنيه مني! فأدنته منه فقال: من أنا؟ فقال: أنت رسول الله!».

قلت: قد رواه: هناد في «الزهد» (١٣٤٠) من طريق: وكيع: عن الأعمش: عن شِمر بن عطية مُرسلا؛ وهذا - كما ترى - لا ذكر فيه للأشياخ.

لي منهما[٢٧٣].

وأمَّا حياة الشاب الأنصاري الذي مات، وما دعت به أمُّه العجوز العمياء من الدَّعوات، وما ذكرته من هجرته إلى الله ورسوله، فعن أنس نقل حديثها من لا يُرتاب في نقوله[٢٧٤]. وتكلَّم ثابت بن قيس حين أدخل في قبره فشهد له بالرسالة، وذكر اسمه السَّامي نجمُ قدره وكان قد قُتِل باليمامه، تغمَّده الله بالرَّحمة والكرامة[٢٧٥]. وتكلَّم أيضاً زيد بن خارجة بعد وفاته، فذكر اسمه الكريم ورسالته المعظَّمة وبعض صفاته، وسلَّم عليه بأفصح لسان، ثم عاد ميتاً كما كان.

تكلمت الموتى بحضرة أحمد ... وخاطبه في يوم مولده الطِّفلُ
وما ذاك بدْعاً بعد تكليم بعضهم ... لعيسى كما وافى إلينا به النقلُ
وقد أخبر الرحمن أن محمَّداً ... على سائر الرُّسل الكرام له الفضلُ
هو المُصطفى المختار والشَّاهد الرضى ... هو المُنعمُ الوهَّاب والحكمُ العدلُ

---

(٢٧٣) لم أقف عليه.

(٢٧٤) رواه: ابن عدي (٤/٦٢)، وابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (١) من طرق: عن صالح المري: ثنا ثابت: عن أنس قال: «عُدنا شابا من الأنصار وعنده أم له عجوز عمياء، قال: فما بَرِحنا أن فاظ - يعني: مات - ، ومددنا على وجهه الثوب؛ فقلنا لأمه: يا هذه، احتسبي مُصابَك عند الله! قال: أمات ابني؟ قلنا: نعم! قالت: اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك، وإلى نبيك رجاء أن تُغنيني عند كل شديدة، فلا تحمل علي هذه المصيبة اليوم! قال أنس: فوالله ما بَرِحنا حتى كَشف الثوب عن وجهه، وطَعِم وطَعِمنا معه».
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/١٥٤): صالح المري أحد زهاد البصرة وعبادها، مع لينٍ في حديثه عن أنس.
وأخرج: البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق: عيسى بن يونس: عن عبد الله بن عون: عن أنس؛ بنحوه.
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/٢٩٢): هذا إسناد رجاله ثقاتٌ، ولكن فيه انقطاعٌ بين عبد الله بن عون وأنس.

(٢٧٥) رواه: البخاري في «الكبير» (٥/١٣٨)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/٢١٩) من طريقين: عن حصين بن عبد الرحمن: عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الأنصاري قال: «كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس أصيب يوم اليمامة؛ فلمَّا أدخلناه قبره سمعناه يقول: محمَّد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان لين رحيم؛ فنظرنا إليه، فإذا هو ميت».
قلت: عبد الله هذا؛ مجهول الحال.

وكان قتادة أسكنه الله بحبوحة جنَّته، قد أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وَجنَته، فردَّها صلى الله وسلم عليه، فكانت بعدُ أحسنُ عَينَيه(٢٧٦). وأصيب وجه أبي قتادة بقِدح(٢٧٧) من القِداح، فبصق على جرحه فما ضرب ولا قاح(٢٧٨)، وتشفَّع به إلى الله بعض العميان، [فرد الله عليه بصره وعاد أحسن ما كان](٢٧٩). وابن مُلاعب الأسنة نهكه استسقاء طرأ عليه، فشُفي بحثوة من الأرض تفل عليها وجهَّزها إليه(٢٨٠)، ولما ابيضَّت عينا فُويكٍ(٢٨١) وذهب نظره، نفث في عينيه صلى الله وسلم

(٢٧٦) رواه: ابن سعد في «الطبقات» (٣/٤٥٢)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/٣٦١)، وأبو يعلى (١٥٤٩)، وابن عدي (٤/٢٨٣)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (١٢٦) من طريقين: عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان: عن جده قتادة: «أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها؛ فسأل النبي ﷺ، فقال: لا! فدعا به، فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أيَّ عَينيه أُصيبت».

قلت: وهذا مُنقطعٌ، قتادة لم يدرك جدَّه، لكن لهذه القصة شواهد تُثبتها. والله أعلم.

(٢٧٧) بهامش (م): سهم قصير.

(٢٧٨) أورد: الحاكم (٦٠٣٢)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/١٧٣١) من طريق: الواقدي: حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة: عن أبيه: عن أبي قتادة قال: «أدركني رسول الله ﷺ يوم ذي قَرَد، فنظر إلي، فقال: اللهم بارك له في شعره وبشره، وقال: أفلح وجهك قلت: ووجهك، يا رسول الله! قال: قتلت مسعدة؟ قلت: نعم! قال: فما هذا الذي بوجهك؟ قلت: سهم رُميت به، يا رسول الله. قال: فادنُ فدنوت منه، فبصق عليه؛ فما ضرب علي قَطُّ ولا قاح».

قلت: تفرَّد به الواقدي، وهو متروكٌ.

(٢٧٩) ما بين المعكوفين مثبت من (م).

(٢٨٠) أخرج: ابن أبي شيبة (٣٢٤٩٢)، وابن قانع في «المعجم» (٧٤٦) من طرق: عن مسعر: عن خشرم بن حسان الجعفري قال: «أصاب عامر بن مالك ملاعب الأسنة وَعَكٌ، فأرسل إلى النبي ﷺ، وسأله شيئا أو دواء، فأرسل إليه بعسل أو عكة عسل».

قلت: خشرم مجهولٌ، وهذا منقطعٌ بينه وبين عامر؛ كما قال غير واحدٍ.

لكن؛ قال الحافظ في «الإصابة» (٣/٥٩٩): وأخرجه البغوي أيضًا بإسنادٍ صحيحٍ عن قتادة: عن أبي المُتوكِّل: عن أبي سعيد: «أنَّ ملاعب الأسنة بعث إلى النبي ﷺ يسألهُ الدواء من وجع بطن ابن أخ له، فبعث إليه النبي ﷺ عُكَّة عسل، فسقاه فبرأ».

(٢٨١) في النسختين: فُديك؛ والصواب ما أثبت.

عليه(٢٨٢)، فارتَدَّ إليه بصرُه، حتى يُدخلُ الخيط في الإبره، والقوم يرفعون إلى ثمانين حِجَّه(٢٨٣). ورُمي كلثُوم بن الحُصين يوم أحد في نحره، فبصق فيه فبرأ بأمر من لا رَادَّ لأمره(٢٨٤)، ولم تَمِدَّ شَجَّة عبد الله بن أُنَيس، حيث تَفَل عليها(٢٨٥) من شَهِد بنبُوَّته أُوَيس، وفي عيني علي نفث يوم خبير، فأصبح رَمَدُه [كأن](٢٨٦) لم يكن شيئاً يُذكر.

كَـفُّ رسُـول الله كـم أبـرَأَت عيناً وأجـرت في الفلا من عيون
وكـم سَـقيم مُدنِـفٍ(٢٨٧) صـيَّرت تحـريك مـا أسـقمه فـي سُـكون
واسـأل فُـديكاً إن تـشأ أو فـسَل قـتادة تظفـر بـسِرٍّ مَـصُون

---

(٢٨٢) في (م): عليه وسلم؛ وما في الأصل أنسب للسجعة.

(٢٨٣) بهامش (م): لا بد من سجعة هنا ليتم بها الكلام. اهـ.
قلت: السجعة موجودة (إبره، حجه)؛ والحديث المشار إليه: رواه: ابن أبي شيبة (٢٣٥٦٣)، والطبراني (٢٥/٤)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (٢٦٨) من طريق: محمَّد بن بشر العبدي: حدثني عبد العزيز بن عمر: حدثني رجل من بني سلامان بن سعد: عن أمه: أنَّ خالها حبيب بن فُوَيك حدَّثها: «أن أباه خرج به إلى رسول الله ﷺ وعيناه مُبيضَّتان لا يُبصِر بهما شيئاً، فسأله ما أصابه فأخبره فنفث رسول الله ﷺ في عينيه، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة، وإنه لابن ثمانين، وإن عينيه مُبيضَّتان».
قال الهيثمي في «المجمع» (٢٩٨/٨): فيه من لم أعرفهم.
قلت: يعني السَّلاماني وأمَّه.

(٢٨٤) قال ابن سعد في «الطبقات» (٢٤٤/٤): «شهد مع رسول الله ﷺ أُحُداً، قد رمي بسهم في نحره، فجاء إلى رسول الله ﷺ فبصق فيه؛ فكان أبو رهم يسمى المنحور».
قلت: لم أقف على سند هذا الخبر.

(٢٨٥) عن عبد الله بن أنيس قال: «ضرب اليسير بن رِزام اليهودي وجهي بمخرش من شَوحِط - هي: خَشَبة من نوع خاص من شَجر الجبال - فشجني مُنقِّلةً أو مأمومةً، فأتيت بها النبي ﷺ، فكشف عنها، ونفث فيها؛ فما أراني منها شيئا».
قال الهيثمي في «المجمع» (٢٩٨/٨): رواه الطبراني، وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيفٌ.
قلت: بل ضعيفٌ جدًّا.

(٢٨٦) زيادة من (م).

(٢٨٧) الدَّنَفُ: المرض الملازم.

واعلـــم بـــأنَّ الـــصَّادق المجتبـــى أصـــعب مِـــن هـــذا علـــيه يهُـــون

ونفث على ساق سلمة بن الأكوع، فبرأت من ضربة أصابتها في يوم هو سمَّاه يوم الرُّضَّع. وأصاب رِجل زيد بن معاذ السَّيف، فبرأت بنفث مَن ببركته يذهب الجَنَف والحَيف[٢٨٨].

وانكسرت يوم الخندق ساق ابن الحكم، فنفث عليها فبرأ مكانه ولم يحصل له ألم[٢٨٩]. واشتكى علي فدعا له ثم ضربه برجله، فلم يعد إليه ذلك الوجع من أجله[٢٩٠]. وقطع أبو جهل يد مُعوِّذ بن عفراء يوم بدر، فبصق عليها وألصقها بإذن

---

(٢٨٨) رواه: ابن حبان (٦٥٠٩) من طريق: الحسين بن حريث: حدثنا علي بن الحسين بن واقد: حدثني أبي: حدثني عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: «إن رسول الله ﷺ تفل في رجل عمرو بن معاذ حين قُطِعت رجله، فبرأ».

قلت: هذا سندٌ حسنٌ صحيحٌ.

قال الحافظ في «الإصابة» (٦٨٤/٤): رواه جماعة عن الحسين بن واقد.

قلت: فقول المصنِّف زيد بن معاذ خطأ؛ والصَّواب: عمرو بن معاذ.

(٢٨٩) أخرج: الطبراني، والبغوي، وابن منده من طريق: يعقوب بن محمد الزهري: عن أسد بن موسى: عن ضفار بن حميد: عن كثير بن معاوية بن الحكم السلمي: عن أبيه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فأنزل أخي علي بن الحكم فرسه خندقًا، فضرب الفرس، فدقَّ جدارُ الخندق ساقَه، فأتينا به النبي ﷺ على فرسه فمسح ساقه، فما نزل حتى برأ».

قال ابن منده: غريبٌ، لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه.

وقال الحافظ في «الإصابة» (٥٦٢/٤): في الإسناد ضِفار بن حميد، لا يُعرف.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١٣٤/٦): فيه من لم أعرفه، ويعقوب بن محمد الزهري ضعَّفه الجُمهور.

(٢٩٠) أخرجه: الترمذي (٣٥٦٤)، وأحمد (٨٤١)، وابن حبان (٦٩٤٠)، والحاكم (٤٢٣٩) من طرق: عن شعبة: عن عمرو بن مرة: عن عبد الله بن سَلِمة: عن علي بن أبي طالب: «كنت شاكيا فمر بي رسول الله ﷺ، وأنا أقول: اللَّهُمَّ إن كان أجلي قد حضر فأرِحني، وإن كان متأخِّرًا فارفعني، وإن كان بلاء فصبِّرني! فقال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ قال: فأعاد عليه ما قال. قال: فضربه برجله؛ فقال: اللَّهُمَّ عَافِه! فما اشتكيتُ وَجَعِي».

قال الترمذي: وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

قال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قلت: ابن سَلِمة صدوقٌ تغيَّر، والخبر منكرٌ.

من شرح له الصَّدر[٢٩١]، وضُرب خُبيب على عاتقه فتهدَّل شِقَّه ومال، فنفث عليه، وردَّه إلى ما كان عليه[٢٩٢] قبل القتال[٢٩٣].

وبرأ صبي الخثعميَّة بغُسالة يديه، وعَقَل عقلاً كثيراً ببركته صلى الله عليه[٢٩٤].

---

(٢٩١) أخرج: ابن هشام في «السيرة النبوية» (١٨٢/٣)، والحاكم (٤٨٠/٣)، والطبري في «تاريخه» (٣٦/٢)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١٤٠٩/٣) من طريق: ابن إسحاق: حدثنا عبد الله بن أبي بكر وثور بن يزيد: عن عكرمة: عن ابن عباس قال: «قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة - وهي: الشجر المُلتَف - ، وهم يقولون أبو الحكم لا يُخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلمَّا أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنَّت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبَّهتُها حين طاحت إلاَّ بالنَّواة تَطيح من تحت مَرضخة النَّوى حين يضرب بها. قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلَّقت بجلده من جنبي وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلمَّا آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطَّيت بها عليها حتى طرحتها». قال ابن اسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان.

قلت: وهذا سندٌ حسنٌ. وهو صريحٌ في كون الضَّارب عكرمة، وأنَّ اليد ذهبت وما الْتَأَمَت.

قال الذهبي في «السير» (٢٥١/١): هذه - والله - الشجاعة لا كآخَرَ، مِن خَدشٍ بسهم ينقطع قلبه وتخور قواه!

(٢٩٢) من قوله: «ورده...» إلى هنا ساقط من (م).

(٢٩٣) أخرج: البخاري في «الكبير» (٢٠٩/٣)، وأحمد (١٥٨٠١)، والحاكم (٢٥٦٣)، وابن أبي شيبة (٣٣١٥٩)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (١٠٦) - واللفظ له - من طرق: عن يزيد بن هارون: أنا المستلم بن سعيد: ثنا خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب: عن أبيه: عن جده قال: «أتيت النبي ﷺ أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه، فقلنا: إنا نشتهي أن نشهد معك مشهداً! قال: أسلمتم؟ قلنا: لا! قال: فإنَّا لا نستعين بالمشركين على المشركين! قال: فأسلمنا وشَهِدت مع رسول الله ﷺ، وأصابتني ضربة على عاتقي، فجافتني - أي: بلغت جوفي - فتعلقت يدي فأتيت رسول الله ﷺ فتفل عليها وألزقها، فالتأمت وبرأت، وقتلت الذي ضربني، ثم تزوجت ابنة الذي قتلته، وضربني، وكانت تقول: لا عَدِمت رجلاً وشَّحك هذا الوِشاح! فأقول: لا عدمت رجلا عجَّل أباك إلى النَّار!».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٠٣/٥): رجال أحمد ثقاتٌ.

قلت: عبد الرحمن بن خبيب، لم يرو عنه غير ولده. فالسَّند ضعيفٌ.

(٢٩٤) زاد ناسخ (م): وسلم؛ والسجعة تأباها.

رواه: ابن ماجه (٣٥٣٢)، وأحمد (٢٧١٧٥)، الطبراني (١٦٠/٢٥)، وعبد بن حميد في =

وانكفأت القدر على ذراع ابن حاطِبٍ وهو صغير، فمسح عليه ودعا له فبرأ لوقته بإذن اللَّطيف الخبير.

وكان في كفِّ شُرَحبيل سَلعَةٌ منعته القبضة على السَّيف وضيَّقت ذرعه فما زال يَطحنُها بكفه حتى ذهبت، وزال أثرها ببركة يده التي كم أبرأت وكم وَهَبت[٢٩٥].

وأبرأ غير واحد من ذي جِنَّة وذي وَصَب، ولم يُؤت بأحد به مَسٌّ فصكَّ في صدره إلاَّ ذهب.

يا من له الرُّتب العليَّة والحسب ... يا من حوى شرف المغارس والنسب
دعواتك اللاتي نمت بركاتها ... كم أذهبت ما كان يفضي للعطب
من ضربةٍ عند النزال وطعنة ... تأتي ومن مسٍّ يصيب ومن وصب

=

«المنتخب» (١٥٦٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٢٩٣)، وابن حجر في «الإصابة» (٢١/٥) من طرق: عن يزيد بن أبي زياد: عن سليمان بن عمرو بن الأحوص: عن أم جندب قالت: «رأيت رسول الله ﷺ رمى جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر، ثم انصرف، وتبعته امرأة من خثعم ومعها صبي لها به بلاء لا يتكلم؛ فقالت: يا رسول الله، إن هذا ابني وبقية أهلي، وإنَّ به بلاء لا يتكلم! فقال رسول الله ﷺ: ائتوني بشيء من ماء فأتي بماء، فغسل يديه ومضمض فاه، ثم أعطاها؛ فقال: اسقيه منه، وصُبِّي عليه منه، واستشفي الله له! قالت: فلقيت المرأة، فقلت: لو وهبت لي منه! فقالت: إنما هو لهذا المبتلى! قالت: فلقيت المرأة من الحول، فسألتها عن الغلام، فقالت: برَأ وعقِل عقلاً ليس كعقول النَّاس!».

قلت: ابن أبي زياد فيه ضعفٌ، وسليمان مجهول الحال.

(٢٩٥) رواه: البخاري في «الكبير» (٢٥٠/٤)، والطبراني (٣٠٦/٧) من طريقين: عن يونس بن محمَّد المؤدب: ثنا حماد بن يزيد المقرئ: حدثني مخلد بن عقبة بن عبد الرحمن بن شرحبيل الجعفي: عن جده عبد الرحمن: عن أبيه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وبكفي سَلعة، فقلت: يا نبي الله، هذه السلعة قد آذتني، تَحول بيني وبين قائمة السَّيف أن أقبض عليه، وعن عِنان الدابة! فقال رسول الله ﷺ: ادنُ مِنِّي فدنوت منه، فقال: افتح يدك! ففتحتها، ثم قال: اقبضها! فقبضتها؛ قال: ادنُ مِنِّي فدنوت منه، قال: افتحها! ففتحتها، فنفث في كفي، ثم وضع يده على السَّلعة، فما زال يطحنها بكفه حتى رفع عنها وما أرى أثرها».

قال الهيثمي في «المجمع» (٢٩٨/٨): مخلد ومن فوقه لم أعرفهم، وبقية رجاله رجال الصَّحيح.

قلت: حمَّاد لا ذِكر له عند الشيخين!

أنت الذي بلغ المنى من عُدَّ من … خُدَّام سُنَّتك الشَّريفة والأدب
صلى عليك مُدبِّرُ الأكوان ما … ظهر الضِّياء من الغزالة[٢٩٦] واحتجب

(٢٩٦) بهامش (م): أي: الشمس. اهـ.

١٩- فصل: في دعائه المستجاب

ومِن معجزات النبي صلى الله عليه [وسلَّم][٢٩٧] سلاماً[٢٩٨] لا تفنى مَوادُّ مَدَدِه، أنَّه كان إذا دعا لرجل أدركت الدَّعوة ولده وولد ولده، دعا لأنس بالبركة وتكثير الولد والمال، فلم يُعلم أحدٌ نال من كثرة الولد ورخاء العيش ما نال، تمتَّع بالمال الكثير في سِلمِه و[في][٢٩٩] حربه، ودفن بيديه مائة ولد مِن صُلبه.

ودعا بالبركة لعبد الرحمن بن عوف، فطافت الأموال حول بيته أجزل طَوف[٣٠٠]، حتى تصدَّق مَرَّة بعِيرٍ[٣٠١]، فيها سبع مائة بعير، وأطلق جَزلاً وأنجز وعداً، وأعتق في يوم ثلاثين عبداً[٣٠٢]، وظهر في تركته من الذَّهب ما ثَقُل حِملاً وعزَّ وصفاً، حتى أخذت كُلُّ زوجة من أزواجه الأربع ثمانين ألفاً.

ودعا لمعاوية بالتَّمكين في البلاد، فنال الخلافة وحَكم في الطَّريف والتِّلاد[٣٠٣]، ودعا لسعد بن أبي وقاص بإجابة دعوته، فما دعا لأحد بعد إلاَّ

---

(٢٩٧) زائدة من (م).

(٢٩٨) في (م): الذي.

(٢٩٩) زيادة من (م).

(٣٠٠) في (م): طواف.

(٣٠١) بالأصل: ببعير؛ والصواب: بعِيرٍ؛ وهي: الإبل التي تحمل الميرة، لا واحد لها من لفظها.

(٣٠٢) أورده ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٨٤٨/٢) مُمرَّضًا بلا سندٍ.

(٣٠٣) أخرج: أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٥٠)، والخلال في «السنة» (٤٥٠/٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٧٣/١) من طريقين: عن أبي هلال: عن جبلة بن عطية: عن مسلمة بن مخلد - أو حدَّثه مسلمة عن رجل - قال: «رأى معاوية يأكل، فقال لعمرو بن العاص: إن ابن عَمّك هذا المِخضد - أي: يأكل بجفاءٍ وسُرْعة - ! قال: أما إني أقول، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم عَلِّمه الكتاب، ومكِّنه في البلاد، وقِهِ العذاب!».

قال الذهبي في «الميزان» (١١٢/٢): جبلة بن عطية عن مسلمة بن مَخلد لا يُعرف، والخبر منكر بمرَّة.

وقال ابن حجر في «اللسان» (٩٦/٢): ولعلَّ الآفة في الحديث من الرجل المجهول، فأمَّا =

استجيب له ببركته، واستجيب له ﷺ في عمر[٣٠٤]، وعَزَّ الإسلام به من ربِّ البشر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: مازلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر رضي الله عنه.

نعـــــم أعــــــز دينــــــنا إســـــلام ذي العـــــز عمـــــر
الـــــزاهد العـــــدل الرضــــى رب الفـــــــتوح والظفــــــــر
مـــــــا ذاك إلا بـــــــدعاء المـــــصطفى خيـــــر البـــــشر
كمـــــا دعـــــا لأنـــــس فـــــنال بالـــــيُمن الوطـــــر
ولابـــــن عـــــوف الجـــــواد فاجتلـــــى بـــــدرَ الـــــبَدَر
طوبـــــى لقـــــوم أدركـــــوا أيامـــــه البـــــيض الغُـــــرَر

وقال للنَّابغة: لا يفضُض الله فاك، فأدرك بدعائه غايةً تعلو على الأفلاك، وعُمِّر وكان أحسن النَّاس ثغرا، كُلَّما سقطت سِنٌّ أنبت الله له أخرى[٣٠٥].

ودعا لابن عبَّاس بالتفقُّه وتعليم التأويل، فكان بعدُ يُسمَّى حبر الأمة وتُرجُمان التَّنزيل، ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه، فكان يربح في جميع ما

=

جبلة، فنَقل ابن أبي حاتم توثيقه عن ابن معين.

وقال ابن كثير في «البداية» (٨/١٢١): وقد أرسله غير واحد من التابعين؛ منهم: الزهري، وعروة بن رويم، وحريز بن عثمان الرحبي الحمصي، ويونس بن ميسرة بن حلبس.

(٣٠٤) من قوله: «واستجيب...» إلى هنا ساقط من (م).

(٣٠٥) رواه: الحارث (٨٩٤)، وعنه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/١٥١٦) من طريق: العباس بن الفضل: ثنا محمد بن عبد الله التميمي بن عبد الشمس: أخبرني الحسن بن عبيد الله: عن رجل: عن النابغة الجعدي قال: «أتيت النبي ﷺ فأنشدته قولي؛ فذكر أبياتاً؛ فقال النبي ﷺ: لا يفضض الله فاك؛ قال: وكان من أحسن الناس ثغرا، وكان إذا سقطت له سِنٌّ نبتت».

قلت: هذا سندٌ مظلمٌ.

ورواه: أبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (١/٢٧٤) من طرق: عن يعلى بن الأشدق قال: سمعت النابغة الجعدي يقول: «أنشدت النبي ﷺ، فذكر أبياتاً، فقال رسول الله ﷺ: لا يفضض الله فاك مرتين».

قال الهيثمي في «المجمع» (٨/١٢٦): فيه يعلى بن الأشدق، وهو ضعيفٌ.

وقال الحافظ في «الإصابة» (٦/٣٩٤): هو ساقط الحديث.

يشتريه بنفسه ونائبه وأمينه. ودعا بالبركة للمِقداد أيضاً، ففاضت عليه عيُون المال فيضاً[٣٠٦]، ودعا بمثل ذلك لعُروة بن الجَعد، فدار بنجوم ربحه الجزيل فلك السَّعد، وكُفي علي كرم الله وجهه الحَرَّ والقَرَّ بدعائه، فكان يلبس في الشِّتاء ثياب صيفه وفي الصَّيف ثياب شتائه، وأعطى طفيل بن عمرو آية بدعوته عليه السَّلام، وهي نور يضيء بطرف سوطه في جُنح الظَّلام.

هـذا ابـن عـباس بـه قـد غـدا ... فـي الفقـه والـتأويل نِعـمَ الإمـام

وعـروة بـن الجعـد مـن ربحـه ... فـي المـال فـاز بأعلـى الـسهام

والحـر والقـر علـي رأى ... حَـربهما سِـلماً علـيه الـسَّلام

وأيّ خيـر لـم يكـن أصـله ... مـن أحمـد بـيتِ قـصيدِ الكـرام

ودعا على مُضر[٣٠٧] فقُحِطوا ولم يَصفُ لهم عَيش، ثم دعا لهم فسُقوا حين استعطفته قُرَيش، ودعا على كسرى بتمزيق مُلكِه فتَمزَّق، وتشتَّت شَملُ ذريَّته بل شَمل الفُرس قَاطبةً وتفرَّق. وقطع بعض الصِّبيان عليه الصَّلاه، فدعا عليه فأُقعد إلى أن أدركته الوفاه[٣٠٨]، وقال لرجل كُلْ بيمينك فقال لا أستطيع، فلم يرفعها إلى فيه إذ

---

(٣٠٦) رواه: أبو داود (٣٠٨٧)، وابن ماجه (٢٥٠٨)، والطبراني (٢٠/٢٥٩)، والبزار (٦/٥٢) من طريقين: عن موسى بن يعقوب الزمعي: حدثتني عمتي قريبة بنت عبد الله بن وهب: عن أمها كريمة بنت المقداد بن عمرو: عن ضباعة بنت الزبير قالت: «ذهب المقداد لحاجته ببقيع الخبخبة، فإذا جُرَذٌ يخرج من جحر دينارًا ثم لم يزل يخرج دينارًا دينارًا حتى أخرج سبعة عشر دينارًا، ثم أخرج خرقة حمراء - يعني: فيها دينارًا - ، فكانت ثمانية عشر دينارًا، فذهب بها إلى النبي ﷺ، فأخبره وقال له: خذ صدقتها! فقال له النبي ﷺ: هل هويت إلى الجحر؟ قال: لا. فقال له رسول الله ﷺ: بارك الله لك فيها».
قلت: هذا إسنادٌ ضعيف؛ قريبةٌ وأمها فيهما جهالةٌ.

(٣٠٧) عبارة: على مضر ساقطة من (م).

(٣٠٨) رواه: البخاري في «الكبير» (٨/٣٦٥)، وأبو داود (٧٠٥)، وأحمد (٤/٦٤) من طرق: عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي: عن مولى ليزيد بن نمران: عن يزيد بن نِمران قال: «رأيت رجلاً بتبوك مُقعَداً، فقال: مررت بين يدي النبي ﷺ، وأنا على حمار وهو يصلي؛ فقال: اللهم اقطع رجله، فما مشيت عليها بعد!».
قلت: هذا سندٌ فيه جهالةٌ.
ورواه: البخاري في «الكبير» (٨/٣٦٥)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣٤٦) من طريق:
=

لم يكن لأمره بمطيع.

وأكل عُتبةَ بنَ أبي لهب أسدٌ سيق إليه، حيث دعا بتسليط كَلبٍ من كلاب الله عليه، وقابلته جماعة من قريش بإساءة الأدب، فانقلبوا بعد القتل بدعائه إلى أسوأ مُنقلَب، وكان الحكم بن أبي العاص يغمِز عنده، ويختلج بوجهه حيث يبلغ رشده، فدعا عليه باستمراره على هيئته، فلم يزل يختلج(٣٠٩) إلى أن نزل بحفرته(٣١٠)، ومات ابن جثامة بعد سبع من دعائه عليه، فلمَّا دفن لفظته الأرض مرات ولم تركن إليه. وكم له من دعاء مستجاب في الاستسقاء وغيره، ومن كرامة ظاهرة تدلُّ على نُبُوَّته وعظمته وخيره.

إنَّ الـــذي يدعـــو لـــه مـــن لا ... يـــرد دعـــاؤه لمُوفَّـــق وســـعيدُ

والـــويل للعاصـــي الـــذي يدعـــو ... علـــيه وإنـــه لمـــشَرَّد وطَـــريدُ

يـــا سَـــيِّد الكونـــين يـــا مـــن ظِلُّـــه ... كـــنواله للـــوافدين مَديـــدُ

كـــم آيـــة وكـــرامة لـــك ذكـــرها ... أبـــداً علـــى مـــر الـــزمان جديـــدُ

منـــي إلـــيك ســـلامُ عـــبدٍ مـــا لـــه ... إلاَّ الـــصلاة علـــيك والتوحـــيدُ

=

أبي مسهر: ثنا سعيد بن عبد العزيز: عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: حدثني يزيد بن غزوان؛ بنحوه.

فأنت ترى أنَّ التنوخي قد اضطرب في هذا الخبر؛ ولا جرم فقد كان تغيَّر.

ورواه: أبو داود (٧٠٧) من طريقين: عن معاوية بن صالح الحضرمي: عن سعيد بن غزوان: عن أبيه؛ بنحوه. ومن فوق معاوية لا يُعرفون.

(٣٠٩) أي كان يُحرِّك شَفَتَيه وذَقَنَه اسْتهزاء وحِكايةً لفعْل النبي ﷺ.

(٣١٠) رواه: الحاكم (٤٢٤١)، والطبراني (٣/٢١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/٢٧٠) من طرق: عن ضرار بن صُرَد: ثنا عائذ بن حبيب: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد: عن عبد الله المدني المزني: عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: «كان الحكم بن أبي العاص يجلس عند النبي ﷺ فإذا تكلم النبي ﷺ اختلج وجهه، فبصُر به النبي ﷺ، فقال: أنت كذاك فما يزال يختلج حتى مات».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وتعقَّبه الذهبي بقوله: ضرار بنُ صرد واهٍ.

وبه أعلَّه الهيثمي في «المجمع» (٥/٢٤٣)، والحافظ في «الإصابة» (٢/١٠٥).

٢٠ - فصل: في انقلاب الأعيان له وتأثير بركته

ومن مُعجزات النبي ﷺ، أنه ركب لأبي طلحة فرساً قَطوفاً غير لاحق، فرجع ببركته بحراً لا تجري معه السَّوابق، ونخس لجابر جملاً أفسد اللُّغُوبُ نظامَه، فنَشَط حتى كان لا يقدر أن يملك زِمَامه. وبرَّك على فرس جُعَيل فحسنت وصفاً، وباع من بطنها باثني عشر ألفاً(٣١١)، وركب لسعد بن عبادة حماراً به قِطاف، فردَّه هِملاجاً لا يُسايره ذو إِكاف(٣١٢). وكانت في قُلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره، فلم يشهَد بها قِتالاً إلاَّ أيَّده الله تعالى فيه بنصره(٣١٣).

---

(٣١١) أخرج: النسائي في «الكبرى» (٨٨١٨)، والرُّوياني (١٥١٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣١٠)، والطبراني (٢/٢٨٠) ابن قانع في «معجم الصحابة» (١/١٥٦) من طريقين: عن رافع بن سلمة بن زياد الأشجعي: ثنا عبد الله بن أبي الجعد: عن جعيل الأشجعي قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة فلحقني رسول الله ﷺ فقال: سر، يا صاحب الفرس! قلت: يا رسول الله، عجفاء ضعيفة، فرفع رسول الله ﷺ مِخفقة كانت معه فضربها بها، وقال: اللهم بارك له فيها! قال: فلقد رأيتني ما أملك رأسها أن تقدم الناس، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفًا».
قال الهيثمي في «المجمع» (٥/٢٦٣): رجاله ثقاتٌ.
وقال الذهبي في «الميزان» (٤/٧٣): تفرَّد به رافع بن سلمة، ورافع مُتوسِّطٌ صالح الأمر ممَّن إذا انفرد بشيء عُدَّ مُنكراً، وعبد الله هذا - وإن كان قد وثِّق - ففيه جهالةٌ.

(٣١٢) رواه: ابن سعد في «الطبقات» (١/١٧٦): أخبرنا هاشم بن القاسم: أخبرنا سليمان بن المغيرة: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: «زار رسول الله ﷺ سعدا فقال عنده، فلمَّا أبردوا جاؤوا بحمار لهم أعرابي قَطوفٌ - أي: البطيء المشي - قال: فوطَّؤوا لرسول الله ﷺ بقطيفة عليه، فركب رسول الله ﷺ، فأراد سعد أن يُردِف ابنه خلف النبي ﷺ ليرد الحمار، فقال رسول الله ﷺ: إن كنت باعثه معي فأحمله بين يدي قال: لا! بل خلفك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أهل الدابة هم أولى بصدرها! قال سعد: لا أبعثه معك ولكن رد الحمار قال: فردَّه وهو هِملاجٌ فريغٌ - أي: واسع المشي - ما يُسايَر».
قلت: وهذا سندٌ صحيحٌ، لكنَّه مُرسلٌ.

(٣١٣) رواه: الحاكم (٥٢٩٩)، وأبو يعلى (٧١٨٣)، والطبراني (٤/١٠٥)، وابن عساكر في «تاريخ =

وكانت المرضى تستشفي بغُسالة ما يلبسه من الثِّياب، وتُعافى بما يُوضع في الآنية المُعدَّة له من الشَّراب، وسكب من فضل وَضُوئه في بئر، فلم يُتحدَّث بعدُ بالنَّزح عنها[(٣١٤)]، وبصق في بئر دار أنس، فلم يكن بالمدينة أعذب منها[(٣١٥)].

=

دمشق» (١٦/٢٤٦)، والذهبي في «السير» (١٦/١٣٠) من طرق: عن هُشَيم: ثنا عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري: عن أبيه: «لمَّا كان يوم اليرموك فَقد خالد بن الوليد قلنسوة له؛ فقال: اطلبوها! فطلبوها فلم يجدوها، فقال: اطلبوها! فطلبوها فوجدوها، فإذا قلنسوة وَسِخَةٌ، فقال: اعتمر رسول الله، فحلَّق رأسه، فابتدر الناس إلى شعره، فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسوة، فما شَهِدت قِتالاً وهي معي إلاَّ رُزِقت النَّصر».

قال الهيثمي في «المجمع» (٩/٣٤٩): رجاله رجال الصحيح، وجعفرٌ سمع من جماعة من الصَّحابة؛ فلا أدري سمع من خالد أم لا.

قلت: المُرجَّح عدم السَّماع؛ فإنَّ خالداً قديم الوفاة، مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين، وجعفر المذكور لم يسمع من عقبة بن عامر، ولا سمرة بن جندب، وقد ماتا في قرب الستين.

وأخرج: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/٢٤٧) من طريق: محمد بن سعد: نا يحيى بن حماد: نا أبو عوانة: عن عاصم بن كُلَيب قال: «سمعت شيخين في المسجد ممَّن سمع خالد بن الوليد قال أحدهما لصاحبه: أتذكر ما لقينا يوم الكمة بسباطة الحيرة؟ قال: نعم ما لقينا يوما قط أشد منه؛ وقعت كمة خالد بن الوليد فقال: التمسوها وغضب فوجدناها فوضعها على رأسه ثم اعتذر إلينا فقال: لا تلوموني فإن نبي الله حين حلق رأسه انتهبنا شعره فوقعت ناصيته بيدي فجعلتها في هذه الخرقة فإنما شق علي حين وقعت». وهذا سندٌ جيدٌ.

قلت: فالقصة بمجموع طريقيها ثابتةٌ - إن شاء الله تعالى - .

(٣١٤) رواه: البيهقي في «الدلائل» - كما في «البداية والنهاية» (٦/١٠١) - من طريق: إبراهيم بن طهمان: عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه حدَّثه: أنَّ أنس بن مالك أتاهم بقباء، فسأله عن بئر هناك. قال: فدللته عليها، فقال: لقد كانت هذه، وإنَّ الرجل لينضح على حماره فينزح، فجاء رسول الله ﷺ، وأمر بذَنُوبٍ فسقي، فإمَّا أن يكون توضَّأ منه، وإمَّا أن يكون تفل فيه، ثم أمر به فأعيد في البئر. قال: فما نُزِحَت بعد!».

قلت: وهذا سندٌ صحيحٌ؛ إن كان من دون إبراهيم ثقات.

(٣١٥) أخرج: البزار من طريق: الوليد بن عمرو بن مسكين: ثنا محمد بن عبد الله بن مثنى: عن أبيه: عن ثمامة: عن أنس قال: «أتى رسول الله ﷺ، فنزلنا فسقيناه من بئر لنا في دارنا كانت تُسمَّى النَّزور في الجاهلية، فتفل فيها؛ فكانت لا تُنزَح بعد».

=

ومرَّ على ماءٍ مِلحٍ فسمَّاه طَيِّبًا فطاب[٣١٦]، ومجَّ في بئر زمزم وغيرها ففاح منها ريح الإناب[٣١٧]، وكانَ يتفُل[٣١٨] في أفواه صبيان المراضع، فيُجزيهم ريقه إلى أن يجمعهم والليلَ جامع[٣١٩].

رسـول كـم حـديثٍ عـنه يُـروى ... جواهـــرُه شُـــنُوفٌ للمــــسامع
نمـــت بـــركاتُه وســـما سَـــنَاها ... يـــشير بلامـــح فـــي الكـــون لامـــع
بهـــا الحـــيوان أضـــحى ذا نـــشاط ... وزالـــت عـــن ذوي الـــسِّقَمِ الموانـــع
بهـــا عَـــذُبت مِـــياهٌ كُـــنَّ مِلحـــاً ... وصـــار لهـــا شَـــدًى كالمـــسك ضـــائع

وحديث عُكَّة أم مالك وأمرِهِ لها أن لا تُعصر، وما كانت تجد فيها من السَّمن حتى عصرتها لا تُنكر، وغرس لسلمان عند مكاتبته ثلاثمائة وَدِيَّة، فأطعمت من عامها ببركة يده النديَّه، وأعطاه ذهباً وزن منه لمواليه أربعين أوقِيَّه، على أنه كان مثل بيضة الدجاجه وبقيت منه بقيَّه.

=

قلت: هكذا أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/١٠١)، وهذا سندٌ جيدٌ؛ إن كان من دون الوليد ثقات.

(٣١٦) لم أقف عليه.

(٣١٧) رواه: ابن ماجه (٦٥٩)، وأحمد (١٨٨٥٨)، والطبراني (٢٢/٥١)، وابن قانع في «المعجم» (٣/١٨٢)، والأصبهاني في «الدلائل» (ص٣٣)، والحميدي (٨٨٦)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١١٣٦) - واللفظ لهما - من طرق: عن مسعر: عن عبد الجبار بن وائل [زاد غير واحد: عن بعض أهله]: عن أبيه قال: «أُتِي النبي ﷺ بدلو من زمزم فشرب ثم توضأ ومضمض، ثم مَجَّه في الدلو مِسكًا، أو قال: أطيب من المسك [وفي رواية: ففاح منها مثل ريح المسك] واستنثر خارجا من الدلو».
قلت: هذا سندٌ ضعيفٌ؛ لجهالة الواسطة بين عبد الجبار وأبيه.

(٣١٨) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٣١٩) رواه: الطبراني (٢٤/٢٧٧)، والحارث (٣٣٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٣٧)، وأبو يعلى (٧١٦٢) من طرق: عن عليلة بنت الكميت الأزدية قالت: حدثتني أمي أمينة: عن أمة الله: عن أمها رَزينة خادمة رسول الله ﷺ قالت: «كان النبي ﷺ يُعظِّمه - تعني: يوم عاشوراء - حتى إن كان ليدعو بصبيانه، وصبيان فاطمة المراضيع في ذلك اليوم، فيتفُل في أفواههم، ويقول لأمهاتهم: لا ترضعوهم إلى الليل؛ فكان ريقه يجزئهم».
قال الهيثمي في «المجمع» (٣/١٨٦): عليلة ومن فوقها، لم أجد من تَرجمَهُنَّ.

وسقى رجلاً من سؤره الذي به الأرواح تنتعش، فلم يزل يجد شِبع شَرِبَته إذا جاع ورِيّها إذا عطش[٣٢٠]، وأعطى قتادة عرجُونا في ليلة مُظلمة، فلم يبرح العرجون يضيء له حتى أتى مخيمه، وانكسر سيف عكاشة يوم بدر[٣٢١] فأعطاه جِذل حطب، فعاد في يده سيفاً صارماً يدني من قاربه إلى العطب، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف، وكان يعرف بالعون بين تلك الطَّوائف[٣٢٢]. وذهب سيف عبد الله بن جحش فدفع له عسيباً، وكان يوم أحد فرجع في يده سيفاً خشيبا[٣٢٣].

---

(٣٢٠) رواه: الطبراني في «الأوسط» (٢٩٢٦) حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي: حدثنا مَرَّار بن حموية الهمذاني: حدثني يحيى بن سعيد أبو زكريا المدني حافظ قبر رسول الله ﷺ: حدثني محمد بن صالح بن قيس - مولى بني الحارث بن فِهر - : عن زيد بن أسلم: عن أبيه أسلم قال: «حج عمر عام الرَّمادة سنة ست عشرة حتى إذا كان بين السُّقيا والعرج في جوف الليل، عرض له راكب على الطريق؛ إلى أن قال: قال لقيت رسول الله وأنا أبو عقيل الجعيلي على ردهة جعيل؛ فأسلمت، وبايعت، وشربت معه شربة من سويق شرب أوَّلها، وسقاني آخرها؛ فوالله ما زلت أجد شبعها، كُلَّما جعت وبردها كلما عطشت، وريها كلما ظمئت إلى يومي هذا...».

قال الهيثمي في «المجمع» (٣٠٦/١٠): فيه جماعةٌ لم أعرفهم.

قلت: كلهم معرُوفون حاشا شيخ الطبراني، وحافظ القبر النبوي.

(٣٢١) في الأصل: أحد؛ والصواب ما في (م).

(٣٢٢) رواه: الرافعي في «التدوين» (١٤١/٢) من طريق: محمد بن عمر الواقدي: حدثني عمر بن عثمان الجحشي: عن أمه: عن عمته قالت: قال عكاشة بن محصن: «انقطع سيفي يوم بدر، فأعطاني رسول الله ﷺ عُودًا، فإذا هو سيفٌ، فقاتلت به المشركين حتى هَزم الله المشركين، فلم يَزَل عنده حتى هلك».

قلت: وهذا ساقطٌ؛ لوهاء الواقدي.

ورواه: ابن سعد في «الطبقات» (١٨٨/١) من طريق: علي بن محمد المنجوري: عن أبي معشر السندي: عن زيد بن أسلم وغيره (و) يزيد بن رومان (و) إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وغيرهم: «أن عُكَّاشة بن مِحصن انقطع سيفه في يوم بدر، فأعطاه رسول الله ﷺ جَذلاً من شجرة، فعاد في يده سَيفًا صارِمًا صافي الحديدة شديد المتن».

قلت: المنجوري؛ قال الخليلي: ثقة يخالف في بعض أحاديثه، وضعفه الدارقطني. وأبو معشر ضعيفٌ.

(٣٢٣) في الأصل: حسيباً. والصواب ما في (م).

أخرج: معمر في «الجامع» (٢٧٩/١١): عن سعيد بن عبد الرحمن الجحشي: أخبرنا =

وبركته على الشِّياه الحوامل مأثُورة، ودُرُورُها باللبن الكثير في صحف المحدثين مسطُورة، كغنم حَليمةَ السَّعديَّه، وشاة أمِّ مَعبَد[٣٢٤] الخُزاعيَّه، وأعنُز معاوية بن نَور وشاتي أنس[٣٢٥] والمقداد، وشاة عبد الله بن مسعود وغيرهم ممَّن لا يحصره التَّعداد.

لخير البرايا معدن الجود والندى ... فضائل آيات وسل أم مالك
وسلم على سلمان واقصد نخيله ... تجد حُسن آيات النبي المبارك
وعكاشة اسمع قوله وحديثه ... عن الجذل بل عن مرهف الحد فاتك
ولُذ بجناب المصطفى وامش خلفه ... تنل جنة محفوفةً بالأرائك

وزوَّد أصحابه سقاء ماء أوكاه ودعا فيه، فلمَّا حلُّوه وجدُوه لبناً طيِّباً ذا زُبدَةٍ في فيه[٣٢٦]، وبرَّك على رأس عُمير بن سعد، فمات ابن ثمانين ولم يَشِب من بعد[٣٢٧]. ومسح على بطن عُتبَة بن فَرقد وظهرِه، فكان يغلب طِيبَ نسائه طِيبُ نشره، وجُرح عائذ بن عمرو يوم حنين، فسَلَتَ[٣٢٨] الدَّم عن وجهه، فعاد ذا غُرَّةٍ كاللُّجَين[٣٢٩].

=

أشياخنا: «أنَّ عبد الله بن جحش جاء إلى النبي ﷺ يوم أحد وقد ذهب سيفه، فأعطاه النبي ﷺ عسيباً من نخل فرجع في يده سيفاً».

قلت: الجحشي هذا؛ روى عن ابن عمر والسَّائب بن يزيد، وجمعٍ من التَّابعين.

(٣٢٤) عبارة: وشاة أمِّ مَعبَد ساقطة من (م).

(٣٢٥) لم أقف عليهما.

(٣٢٦) لم أقف عليه.

(٣٢٧) لم أقف عليه.

(٣٢٨) في (م): فمسك.

(٣٢٩) أخرجه: الحاكم (٦٤٨٦)، والروياني في «دلائل النبوة» (٧٧٤)، والطبراني (١٨/٢٠)، والضياء في «المختارة» (٢٣٧/٨) من طرق: عن حشرج بن عبد الله بن حشرج: حدثني أبي: عن أبيه: عن عائذ بن عمرو المزني قال: «أصابتني رميةٌ في وجهي، وأنا أقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم حُنَين، فلمَّا سالت الدماء على وجهي ولحيتي وصدري، تناول النبي ﷺ فسلت الدم عن وجهي وصدري إلى ثُندُوَتي، ثم دعا لي».

قال حشرج: فكان يُخبرنا بذلك عائذٌ في حياته، فلمَّا هلك وغسلناه نظرنا إلى ما كان يصف لنا من أثر يد رسول الله ﷺ إلى منتهى ما كان يقول لنا من صدره، وإذا غُرَّةٌ سائلةٌ كغُرَّة الفرس!

=

ومسح رأس قيس بن زيد[٣٣٠] وأشار بالدُّعاء إليه، فعَمَّر وابيضَّ رأسه خلا ما مرَّت يده عليه[٣٣١]، ومسح وجُوهاً كان عليها نور وجمال، وكثير من العاهات مرَّ ببركته وزال. ورمى يوم حنين في وجوه الكفار قبضة من التُّراب، فانصرفوا مكسُورين مأزُورين مُقطَّعة بهم الأسباب، وكان جرير بن عبد الله لا يثبُت على الأفراس، فضرب في صدره ودعا له فكان أفرس النَّاس. وشكا أبو هريرة النِّسيان إليه، فأمره ببسط ثوبه وضمه بعد أن غرف فيه بيديه، فما نسي شيئاً مما حفظه بعد ذلك، وكم له من معجزة ليس له فيها من الأنبياء مُشارك.

لله دَرُّ نبـــــيٍّ دُرُّ مَـــــنطِقه أَلـبَابَ أهـل الحِجـا والعلـم يَـستلبُ
والنَّـشرُ مـن وَصـفِه لا يَـنطوي أبـداً كـلاًّ ولا ينقـضي مـن بحـره العجـبُ

=

قال الضياء: إسناده ضعيفٌ.

قال الهيثمي في «المجمع» (٩/٤١٢): فيه من لم أعرفهم.

قلت: حشرج؛ قال فيه أبو حاتم: شيخ، وأبوه وجدُّه لا يُعرفان.

(٣٣٠) كذا، ولم أقف على قصَّته. والمشهور قصة السَّائب بن يزيد؛ وسيأتي ذكرها.

(٣٣١) أخرج: الطبراني (٧/١٦٠)، والعجلي في «الثقات» (١/٣٨٥)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (٢١٦) من طرق: عن النَّضر بن محمد الجُرشي: ثنا عكرمة بن عمار: ثنا عطاء مولى السائب بن يزيد أخي النمر بن قاسط قال: «كان وسط رأس السائب أسود، وبقية رأسه ولحيته أبيض؛ فقلت له: يا سيدي، والله ما رأيت مثل رأسك هذا قط هذا أبيض وهذا أسود قال: أوَ لا أخبرك يا بني؟ قلت: بلى! قال إني كنت مع صبيان نلعب فمر بي رسول الله ﷺ، فعرَضت له، فسلَّمت عليه؛ فقال: وعليك، من أنت؟ فقلت: أنا السائب بن يزيد أخو النمر بن قاسط، فمسح رسول الله ﷺ رأسي، وقال: بارك الله فيك! قال: فوالله لا يَبيَضُّ أبدا، أو قال: لا يزال هكذا أبدا».

قال الهيثمي في «المجمع» (٩/٤٠٩): رجاله رجال الصَّحيح، إلاَّ عطاء مولى السَّائب وهو ثقةٌ.

قلت: لم أقف على من وثَّقه، لكنَّ الخبر صحيحٌ بشواهده.

وقد روى: البخاري (٣٣٤٧): حدثني إسحاق: أخبرنا الفضل بن موسى: عن الجعيد بن عبد الرحمن: «رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جَلداً مُعتدِلاً؛ فقال: قد علمت ما مُتِّعت به سمعي وبصري إلاَّ بدُعاء رسول الله ﷺ؛ إنَّ خالتي ذهبت بي إليه، فقالت: يا رسول الله، إنَّ ابن أختي شاكٍ فادعُ الله له، قال: فدعا لي».

بـــه وجـــوهُ ذوي الإقـــبال ناضـــرةٌ آضَت[٣٣٢] وعادت له الأعيان تنقَلِبُ

وأبـــرأت كفُّـــه العاهـــاتِ مُـــسرعةً وكـــم لـــه آيـــةٍ تملـــى وتُكتَـــتَبُ

صـــلى علـــيه الـــذي أعلـــى مـــراتِبَه ما هبَّت الريح فاهتزت لها القُضبُ

(٣٣٢) بهامش (م): أي: رجعت.

٢١ - فصل: في إخباره ﷺ بالكائنات[٣٣٣]

ومِن معجزات النبي ﷺ[٣٣٤] ما أَطلَعه الله تعالى عليه من الغُيُوب، وما عرَّفه به سبحانه مما ذهب ومما يؤوب، وما أخبر بوقُوعه فوَقَع، وأنه سيكون فَلاَحَ ضوءُ صُبحِه ولَمَع.

فمنها: ما ذكر من الظُّهور على أعدائه، وإعلاء أعلام أنصاره وأوليائه، والأمن الموجودُ يُمنُهُ[٣٣٥] في الرِّحلة والمُقام، وفتح مكة وخيبر واليمن والعراق والشَّام، ودُنُو أمَّته من الدُّنيا وزهرتها، وتقلُّبُهم في جزيل نُضارها ونضارتها ونضرتها[٣٣٦]، وقِسمتُهم كنُوز كسرى وقيصر، وأخذهم من الاختلاف بالمكيال الأوفر. وافتراقُهم على ثلاث وسبعين فِرقة، الناجية منها واحدة ليس بينها وبين الحق فُرقة، وأنَّ أحدهم يغدو في حُلَّةٍ ويروح في أخرى، وتوضع الصَّحاف بين يديه تنعُّماً وفخراً، وتكون لهم عُدَّة أنماط رحبه، ويسترون بيُوتهم كما تُستر الكعبه[٣٣٧]، وأن ملكهم

---

(٣٣٣) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٣٣٤) هذه الجملة ساقطة من (م).

(٣٣٥) في (م): يمنعه.

(٣٣٦) النُّضَارُ: الذهب، وقيل: الخالص من كل شيء. والنَّضْرةُ: الحُسْن والرونق. والنَّضارة: حُسْن الوجه والبَرِيقُ، وقد يراد بها: حُسْنَ الخلُقِ والقَدْرِ.

(٣٣٧) رواه: أبو يعلى (٥٠٢)، وهناد في «الزهد» (٣٨٩/٢)، وعنه الترمذي (٢٤٧٦) من طريقين: عن محمد بن إسحق: حدثني يزيد بن زياد: عن محمد بن كعب القرظي: عن رجل: عن علي بن أبي طالب قال: «إنَّا لجلوسٌ مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع مُصعَب بن عمير ما عليه إلاَّ بُردَةٌ له مرقوعةٌ بفَرو، فلمَّا رآه رسول الله ﷺ بكى للَّذي كان فيه من النعمة، والذي هو اليوم فيه؛ ثم قال رسول الله ﷺ: كيف بكم إذا غدا أحدكم في حُلَّةٍ وراح في حُلَّةٍ، ووضعت بين يديه صَحفةٌ، ورفعت أخرى، وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة؛ قالوا: يا رسول الله، نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونُكفى المؤنة؟ فقال رسول الله ﷺ: لأنتم اليوم خير منكم يومئذ!!».
قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

=

يبلغ ما زُوي له من الغرب والشَّرق، وأنه لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق.

نبـــيٌّ أمانـــةٍ ورسُـــول صـــدقٍ جديـــرٌ بالنُّـــبوة والرســـاله
إذا مـــا قـــال قـــولاً فانتظـــره فـــسوف يكـــون حـــتماً لا محالـــه
إلـــه العـــرش بالأنـــوار مـــنه هـــدى مـــن شـــاء مـــن ظُلَـــم الـــضَّلاله
وعلـــم أمـــة مـــن بعـــد جهـــل بـــه وعلـــى الـــورى أعلـــى مقالـــه

وما أشار إليه من قِتال الخَزَر[٣٣٨] والتُّرك، وزوال مُلك فارس والروم بأمر مَالِك المُلك، وقبض العلم وظهور الهَرْجِ والفتن، وذهاب الأمثل فالأمثل وتقارُب الزَّمَن، وملك بني أمية واتخاذهم المال دُوَلاً، وخروج بني العبَّاس لا يبغون عن الملك حِوَلاً[٣٣٩].

وقتلِ عليٍّ بعد قتل عثمان، وخروج المهدي في آخر الزَّمان، وما ينالُ أهلَ بيته الأطهار، وما يلقُونه من القتل والتَّشريد في الأقطار، وأنَّ الزبير يحارب عليًّا، وأنَّ الفتن لا تظهر ما دام عمر حيًّا، وتنبح على بعض أزواجه[٣٤٠] كلاب الحَوأَب[٣٤١]، ويُقتَل حولها كثيرٌ بعدما كادت تذهب، وأنَّ عمَّاراً تقتله الفئة الباغيه، وأنَّ الأمر في

=

قلت: في هذا السَّند رجل مُبهمٌ.

(٣٣٨) هم جِنسٌ من البشر؛ عيونهم ضيِّقةٌ وصغيرة.

(٣٣٩) أخرج: الطبراني في «الأوسط» (٥٩٠) من طريق: محمد بن صالح بن النطاح: حدثنا حفص بن عبد الله بن الشخير: دخلنا على إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس داره فحدثنا: عن أبيه: عن جده: عن ابن عباس قال: «كان لأبي بكر مَجلِسٌ من النبي ﷺ لا يقوم عنه إلاَّ للعبَّاس، فكان يَسُر ذلك رسول الله ﷺ، فأقبل العباس يوما، فزال له أبو بكر عن مجلسه؛ فقال له رسول الله ﷺ: مالك؟ قال: يا رسول الله، عمك قد أقبل! فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم أقبل على أبي بكر متبسما؛ فقال: هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض، وسيلبس ولده من بعده السواد، ويملك منهم اثنا عشر رجلا...».

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن إسحاق إلاَّ حفص؛ تفرَّد به محمد بن صالح.

قلت: وهو ثقةٌ، وإنَّما النظر فيمن فوقه.

ولذلك قال الهيثمي في «المجمع» (٩/٢٧٠): وفيه جماعة لم أعرفهم.

(٣٤٠) بهامش (م): هي السيدة عائشة رضي الله عنها، وعن بقية الأزواج. اهـ.

(٣٤١) بهامش (م): بالحاء المهملة بوزن جعفر؛ اسم موضع قرب البصرة. اهـ.

قريش ما أقاموا للدِّين أعلاماً عاليه، وأن يكُونَ في ثَقِيفٍ كذَّابٌ ومُبير(٣٤٢)، وأنَّ مُسَيلِمة يَعقِرُه من هو على كل(٣٤٣) شيء قدير.

بعض الذي قاله خير الأنام جرى — والبعض يأتي كما قد نصَّ في الخبر
أما الصِّحاب وأهل البيت منه وما — قد نالهم فهو أمرٌ غير مُستَتِرِ
وسوف تظهر تصديقاً له فِتنٌ — كقِطع لَيلٍ خلا من غُرَّة القمر

وما أخبر به من سِحر لبيد بن الأعصم حليفِ الشَّيطان، وأنه في جُفِّ(٣٤٤) طلع نخلة ذكرٍ(٣٤٥) مُلقى في بئر ذروان، وأكلِ الأَرَضَة ما كتبته قريش في الصَّحيفه، وأنها أبقت فيها كُلَّ اسم لله تنزيهاً لأسمائه الشَّريفه.

وأنَّ العرب سوف يرتدُّون، وأن الخلافة بعده ثلاثون، وأنَّ الأمر بدأ نُبُوَّةً ثم يكون خلافةً ورحمة، ثم مُلكاً عَضُوضاً ثم عُتُوًّا وفساداً في الأمَّة، وكثرة العجم في أمَّته، وضربهم رقاب الرِّجال(٣٤٦)، وأنَّ الكذَّابين ثلاثون آخرهم الدَّجَّال. وشأن الأمراء الذين يؤخِّرُون الصَّلاه(٣٤٧)، والرَّجُل الذي يخرج من قَحطان يسوق النَّاس بعصاه، وأمر أُوَيسٍ القَرَني وما قال عنه، وأنه لا يأتي زمانٌ إلاَّ والذي بعده شرٌّ منه، ووقوع آخر هذه الأمَّة بسبِّ أوَّلها في الآثام(٣٤٨)، وقلَّة الأنصار حتى يكونوا كالملح

---

(٣٤٢) أي: مُهْلِك يُسْرف في إهْلاك الناس.
(٣٤٣) هذه اللفظة ساقطة من (م).
(٣٤٤) وهو الغشاء الذي يكون على الطَّلع.
(٣٤٥) هذه اللفظة ساقطة من (م).
(٣٤٦) أخرج: أحمد (٢٠١٩٣)، والحاكم (٨٥٦٣)، والطبراني (٢٢١/٧)، والروياني (٨٠١)، والعقيلي (١٦/٢)، وأبو نعيم (٢٤/٣) من طرق: عن حماد بن سلمة: عن يونس بن عبيد: عن الحسن: عن سمرة بن جندب رفعه: «توشكون أن يملأ الله أيديكم من العجم، فيكونون أشبالا لا يفرون، ويقتلون مقاتلتكم، ويأكلون فيئكم».
قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.
قلت: في سنده الحسن، وقد عنعن، لكن للخبر طرق أخرى يتقوَّى بمجموعها. والله أعلم.
(٣٤٧) هذه اللفظة ساقطة من (م).
(٣٤٨) رواه: البخاري في «الكبير» (١٩٧/٣)، وابن ماجه (٢٦٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٩٤)، وابن عدي (٢١٢/٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٧١/٩)، والمزي في «التهذيب» (١٦/١٥) من طرق: عن خلف بن تميم أبو عبد الرحمن الكوفي: عن عبد الله بن السري:
=

في الطَّعام.

وخروج الخوارج وأنَّ سِيمَاهم التَّحليق، وظهور القدريَّة والرَّافضة وعدُولهم عن الطَّريق[٣٤٩].

تــبًّا لقــوم رفــضُوا عُــصبَة ... محمَّــدٍ شَــانِئَهُم يــرفُضُ
عُــصبةُ خيــرٍ صــحِبوا المــصطفى ... واللهَ قرضــاً حــسناً أقــرضُ[٣٥٠]
وجــه الــذي يكــرههم أســود ... ووجــه كُــلِّ مــنهم أبــيضُ
طوبــى لمــن كــان حلــيفاً لهــم ... وويــلُ مطــرودٍ لهــم مُتــبغِّض

وما حدَّث به من أمر فاطمة الزَّهراء نجله، وأنَّها أول من يلحق به من أهله، وأنَّ أرض الطَّفِّ بها يُقتل الحسين، وأن الله تعالى يصلح بالحسن بين فئتين، وأنَّ رُعاء الغنم يُرَون رُؤساء عليهم التِّيجان، وأن الحفاة العُراة يتطاولون في البنيان، وولادة الإماء الربَّات، وموت النجاشي يوم مات.

وكتاب حاطب وقصَّة عُميرٍ مع صفوان، وما يكون بعد فتح بيت المقدس من

=

عن محمد بن المنكدر: عن جابر رفعه: «إذا لعن آخر هذه الأمَّة أوَّلها، فمن كتم حديثا، فقد كتم ما أنزل الله».

قال ابن القيم في «تهذيب السنن» (١٠/٦٧): هؤلاء ثقاتٌ.

كذا قال؛ وقد قال المزي: هكذا رواه خلف بن تميم عن عبد الله بن السري، وقد أسقط من إسناده ثلاثة رجال ضعفاء.

رواه: الطبراني في «الأوسط» (٤٣٠)، وابن عدي (٤/٢١٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٧١) من طرق: عبد الله بن السري الأنطاكي: حدثنا سعيد بن زكريا المدائني: عن عنبسة بن عبد الرحمن: عن محمد بن زاذان: عن محمد بن المنكدر: عن جابر مرفوعاً؛ بنحوه.

قلت: وإنما أسقط الثلاثة الضعفاء رغبة في العلو؛ فإنَّ عبد الله أصغر سِنًّا من خلف بن تميم، كما قال الحافظان ابنُ صاعد والخطيب.

وله علَّة أخرى، وهي ضعفُ ابن السَّري هذا؛ قال العقيلي: لا يُتابع عليه، ولا يُعرف إلاَّ به.

وانظر: «ظلال الجنة» (٢/٤٨١).

(٣٤٩) قلت: لم تصحَّ الأخبار الواردة في ذكر الرافضة.

(٣٥٠) في (م): أقرضوا.

المَوَتان[٣٥١]، ومن غَلَّ الشَّملَةَ[٣٥٢] لتفريق شمله، ومن أخذ خَرَز يهودٍ فوُجِدت في رحله، وقتل أهل مُؤتَةَ[٣٥٣] يوم قُتِلوا، ومصارع أهل بدر ومَقاتلهم بما فعلوا، وبناء مدينة بين دجلة ودُجَيلٍ يعني بغداد[٣٥٤]، وعِدَته من سكن البصرة ولم يُخلِف عليه السَّلام الميعاد.

إلى غير ذلك من الحوادث ونزُولها، وأشراط السَّاعة وحلُولها، وذكر البعث والنَّشر، وآيات الموقف والحشر، وأحوال الفُجَّار والأبرار، وأهوال القيامة ووصف الجَنَّة والنَّار، والجُمَل يُستغنى بها عن التَّفصيل، والأقلام ما تحصُر ما له ﷺ من التَّفصيل.

نبـــي عظـــيم القـــدر نَـــوَّر قلـــبَه
وعَلَّمـــه مـــن يعلـــم الـــسِّر والـــنجوى
وعـــرَّفـه بالكائـــنات وغيـــبها
فأصـــبح منـــشُوراً لـــه كـــل مـــا يُطـــوى
أيـــا حـــبذا مـــن هـــو إمـــام وقـــدوة
شـــرائع ديـــن الله عـــن لفظـــه يـــروى

(٣٥١) بهامش (م): بوزن عثمان؛ موت كثير. اهـ.

(٣٥٢) وهو كِسَاء يُتَغَطَّى به ويُتَلفَّف فيه.

(٣٥٣) بهامش (م): اسم موضع.

(٣٥٤) أخرج: ابن عدي (٥/٧١)، والمحاملي في «الأمالي» (٣٨٥)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/٧١٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/٢٨) من طرق: عن عمَّار بن سيف الضبي: حدثنا سفيان الثوري: عن عاصم الاحول: عن أبي عثمان الهندي: عن جرير مرفوعاً: «تُبنى مدينة بين دجلة ودجيل، والصراة وقطربل؛ تجبى إليها خزائن الأرض وجبابرتهم يخسف بأهلها فلهي أسرع هويا في الأرض ومن وتد الحديد في الأرض الرخوة».

قلت: وهذا سندٌ ساقطٌ؛ عمار الضبي متروكٌ.

وقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: ليس له أصلٌ.

وقال ابن عدي: هذا حديث منكرٌ.

قال الذهبي في «الميزان» (٣/٣٩٨): هذا حديث باطل. وأقره في «اللسان» (٣/١٦٦).

وله شواهد واهيةٌ كلها؛ قال أحمد بن حنبل: ما حدَّث به إنسان ثقةٌ!

لـــــه روضـــــة تهتـــــز بالـــــنَّد والـــــنَّدا
ســـحائبها تـــنهل بالجـــود والجـــدوى[٣٥٥]
تحـــفُّ ضـــريحا ضـــم هـــدياً ورحمـــة
وحـــاز العلـــى والعلـــم والبـــر والـــتقوى
علـــيه ســـلام لـــم يَـــزل غُـــصن دَوحـــه[٣٥٦]
رطيـــبا ســـريع المـــيل ينمـــى ولا يَـــذرى[٣٥٧]

(٣٥٥) بهامش (م): أي: العطاء.
(٣٥٦) في (م): دوحة.
(٣٥٧) بهامش (م): بالمد؛ أي: لا يذهب ولا يجف. اهـ.

٢٢ - فصل: في عصمته من الناس ﷺ

ومن معجزات النبي ﷺ: أنَّه جلس في بعض منازله تحت شجره، فاخترط أعرابي سيفه عليه يريدُ ما عظَّم الله خَطَرَه، فأرعدت يده وسقط منه السَّيف، وضرب الشجرة برأسه كمن أَلَمَّ به من الشَّيطان طَيف، فعفا عنه وأقامه بعد الإبلاس، فرجع إلى قومه قائلاً: جئتكم من عند خير الناس(٣٥٨). وانفرد يوم بدر لقضاء الحاجة من أصحابه، فتبعَه رجل من المنافقين مُصلِتاً سيفه من قرابه، فعصمه الله من شرِّه(٣٥٩)، وردَّ كيده في نحره. وقصده دعثُور(٣٦٠) بن الحارث، وفي يده عضب(٣٦١) مُرهفُ الحد فارث، وذلك في غزوة غطفان، فوقع لظهره ثم دعي بعدها للإيمان(٣٦٢).

---

(٣٥٨) رواه: الطبري (٦/٣٠٨) من طريق: عبد العزيز بن أبان: ثنا أبو معشر: عن محمد بن كعب القرظي وغيره قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلا، اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيَقيل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه، ثم قال: من يمنعك مني؟ قال: الله! فرعدت يد الأعرابي، وسقط السَّيف منه؛ قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه؛ فأنزل الله ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾».

قلت: وهذا سندٌ ساقطٌ؛ ابن أبان متروك، وأبو معشر ضعيفٌ.

(٣٥٩) لم أقف عليه.

(٣٦٠) بهامش (م): دعثور بمهملات ومثلثة - بوزن عصفور - ، وقال بعضهم: اسمه غورث بغين معجمة وراء مهملة بعد الواو ثم مثلثة - بوزن جعفر - وبالضم في أوله. هـ.

(٣٦١) بهامش (م): أي: سيفٌ.

(٣٦٢) روى الواقدي من طريق: عبد الله بن رافع بن خديج: عن أبيه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة أنمار، فلما سمعت به الأعراب لحقت بذُرَى الجبال، فقالت غطفان لدعثور بن الحارث - وكان شُجَاعا مُسَوَّدًا فيها - : قد انفرد محمَّد عن أصحابه، ولا نجده أخلى منه السَّاعة! فأخذ سيفًا صارمًا وانحدر، فإذا رسول الله ﷺ مضطجع، فقام على رأسه بالسَّيف، فاستيقظ؛ فقال له: من يمنعك مني؟ قال: الله! فدفعه جبرائيل عليه السَّلام فوقع، فأخذ رسول الله ﷺ السَّيف، وقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد!...»؛ فذكر الحديث، وفيه: «ثم أسلم دعثور بعد ذلك».

=

وكانت حمَّالة الحطب تضع على طريقه الغَضا[٣٦٣] وهو جَمر، فكأنما يطأه كثيباً مَهيلاً بقُدرة صاحب الأمر[٣٦٤]، وتواعده المشركون مرَّاتٍ عديده، وأتوا للفَتْكِ به بكُلِّ حِيلَة ومكيده، فمنهم من هرب وفَرَّ، ومنهم من مَرَّ عَيشه بعد أن مَرَّ[٣٦٥]، ومنهم من وقع مَغشِيًّا عليه[٣٦٦]، ومنهم من ضرب الله على عينيه، ومنهم من أصابته زُلَّخةٌ[٣٦٧] وسقط بين يديه[٣٦٨]، ومنهم من صدَّته الملائكة فلم يَصِل إليه.

رامُــوه بالــسُّوء والجـبَّارُ يحفظُــه   مِــن كُــلِّ ذي حــسدٍ للــشَّرِّ مُنتَـصِب
وأقــبلُوا نحــوه للكــيد فانقلــبُوا   بجهلهــم وعَمَــاهم شَــرَّ مُــنقَلب

=

قال الحافظ في «الإصابة» (٢/٣٨٧): وقِصَّته هذه شبيهة بقصة غورث بن الحارث المخرجة في «الصَّحيح» من حديث جابر؛ فيُحتمل التَّعدُّد، أو أحد الاسمين لقبٌ، إن ثبت الاتِّحاد.
قلت: لكن الواقدي متروكٌ، فالعُمدة على ما في «الصَّحيح»، وليس فيه دفع جبريل عليه السلام لغورث.

(٣٦٣) بهامش (م): شجر جمره شديد الحرارة.

(٣٦٤) رواه: الطبري (٣٠/٣٣٨): حدثني أبو هريرة الضبعي محمد بن فراس: ثنا أبو عامر العقدي: عن قرة بن خالد: عن عطية بن سعد الجدلي في قوله ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ قال: «كانت تضع العِضاه على طريق رسول الله ﷺ، فكأنما يطأ به كثيباً».
قلت: وهذا مع إرساله، فيه لينٌ.

(٣٦٥) بهامش (م): من المرور.

(٣٦٦) لم أقف عليه.

(٣٦٧) بهامش (م): بضم الزاي وتشديد اللام؛ داء في الظهر؛ وهو غورث بالهامش في الكلام على دعثور. اهـ.

(٣٦٨) قال الخطابي في «الغريب» (١/٣٠٨): «في حديث النبي ﷺ: «أنَّ عويرث أو غويرث بن الحارث المحاربي أراد أن يَفتِك بالنبي ﷺ، فلم يشعر به إلاَّ وهو قائم على رأسه، ومعه السَّيف قد سَلَّه من غِمده؛ فقال: اللهم اكفنيه بما شئت! قال: فانكَبَّ من وجهه من زُلَّخَةٍ زُلِّخها بين كتفيه، وندر سيفه»». يرويه أبو شعيب الحراني: نا أبو عمر المقري: نا محمد بن مروان: عن هشام: عن أبي صالح: عن ابن عباس».
قلت: وهذا سندٌ واهٍ؛ فيه محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروكٌ.
ثم أورده بسندٍ صحيحٍ إلى الزهري مَرسلاً؛ إلاَّ أنَّه قال: «فدُلج بين كتفيه»، وهو غلطٌ والصَّواب: زُلخ.

لما مَشَوا في ظلام الظُّلم أورثهم خبطاً[٣٦٩] وخَطباً[٣٧٠] أدى إلى العطب
تبًّا يلاقيهم لقيا أبي لهب وبَئيس[٣٧١] ما صنعت حمَّالةُ الحطب

وأجمعت قريش على قتله وبيَّتوه لعكوسهم، فخرج عليهم من بيته وذَرَّ التُّراب على رؤوسهم، وخَلَص منهم وهم له ينظرون، صمٌّ بكمٌ فهم لا يُبصِرون. وأتبعه سُراقة حين الهجرة اتِّباع قاتل، وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجَعَائل، فلمَّا قَرُب منه دعا عليه سيِّدُ الثقلين، فخرَّ عن فرسه بعد أن ساخت قوائمها مرَّتين، فناداه بالأمان، فأمَّنه وقابله بالإحسان، وعرف بعضُ الرُّعاة حقيقة خبرهما، فخرج يشتَدُّ ليُعلم قُريشاً بأمرهما، فلمَّا ورد مكة ضُرب على جَنانه[٣٧٢]، وأُنسي ما خرج له حتى رجع إلى مكانه[٣٧٣].

وجاءه أبو جهل بصخرة ليطرحها عليه، وكان إذ ذاك ساجداً وقريش تنظر إليه، فيبست يداه إلى عنقه، ولم ينفعه هُبل، ثم سأله أن يطلق يديه بدعائه ففعل[٣٧٤]. وأتاه مرَّةً أخرى وهو يصلي صلى الله عليه[٣٧٥]، فلمَّا قَرُب منه وَلَّى ناكصاً[٣٧٦] على

---

(٣٦٩) بهامش (م): إشارة لقولهم خبط عشواء في الليل المظلم، أي: الناقة التي أصابها العشى في عينها.

(٣٧٠) في الأصل: لفظة (بهم) زائدة.

(٣٧١) بهامش (م): الشديد الأمر.

(٣٧٢) بهامش (م): بالفتح؛ أي: قلبه. اهـ.

(٣٧٣) لم أقف عليه.

(٣٧٤) أورد ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٢/٣) قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ؛ فقال: «وقال يونس بن بكير: حدثني محمد بن إسحاق: حدثني رجلٌ من أهل مصر قديما منذ بضع وأربعين سنة: عن عكرمة: عن ابن عباس: «...فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع مُنبهِتًا مُمتقِعًا لونه مَرعوبًا، قد يبست يداه على حَجَره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال من قريش، فقالوا له: ما بك يا أبا الحكم؟ فقال: قُمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلمَّا دنوت منه عرض لي دونه فَحلٌ من الإبل - والله - ما رأيت مثل هامته ولا قَصَرَته ولا أنيابه لِفحلٍ قط، فهَمَّ أن يأكلني!» قال ابن اسحاق: فذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال: ذلك جبريل، ولو دنا منه لأخذه!».

قلت: وهذا سندٌ ضعيفٌ؛ لجهالة الرجل المصري.

(٣٧٥) زاد في (م): وسلم؛ والسجعة تأباها.

عَقِبَيه، أشرف على خندق نار كاد يَهوي فيه، وأبصر من الهول العظيم ما يُحزنه ويُخزيه.

تـدانت مـنه واجـتمعت قـريش علـيه وبيَّـتُوه للعُكـوس
فلـم يحـصل لهـم ممـا أرادوا سـوى ذر التـراب علـى الـرؤوس
وأمـر سـراقة إذ خـر ملقـى وراعـي الـشاة دُوِّن فـي الطُّـروس
ويُـبسُ يَـدَي أبـي جهـل شـهير وكـم آي لأحمـدَ كالـشُّموس

وجاءه عازماً على قتله رجلٌ من بني المغيره، فطمس الله بصره على أنه كان أعمى البصيره(٣٧٧)، وأدركه يوم حنين رجل من خلفه، ورفع سيفه عليه جازماً بحتفه، فلمَّا دنا ارتفع إليه شُواظٌ من نار، فولىَّ ثم أقبل فأسلم وقاتل في صفِّ الأبرار(٣٧٨). وخبر عامر بن الطُّفَيل حين قصد قتله مذكُور، وما اتَّفَق عليه مع أربَد بن قيس من الكيد المردُود عليهما مشهُور.

وكثير من اليهود والكُهَّان أنذرُوا به وعيَّنُوه لأصحاب الأوثان، وأخبروهم بنبئه وحضُّوهم على قتله، فعصمه الله تعالى منهم بنصره وفضله، وحرسه بعينه التي لا

=

(٣٧٦) في (م): ناقصا.

(٣٧٧) لم أقف عليه.

(٣٧٨) رواه: الطبراني (٧/٢٩٨)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٨٩٧)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (٢٣٦) من طرق: عن عبد الله بن المبارك: عن أبي بكر الهذلي: عن عكرمة قال: قال شيبة بن عثمان: «لما رأيت النبي ﷺ يعني يوم حنين أُعرِي - أي: ليس معه جماعة - ذكرت أبي وعمي قتلهما حمزة، قلت: اليوم أدرك ثأري في محمد! فجئته عن يمينه، فإذا أنا بالعبَّاس قائم عليه درع، فقلت: عمه لن يخذله! فجئته عن يساره، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث، فقلت: ابن عمه لن يخذله! فجئته من خلفه، فدنوت ودنوت حتى إذا لم يبق إلا أن أُسوِّره - أي: أثب عليه - سَورة بالسَّيف رُفع لي شُواظٌ من نار كأنَّه البرق، فخِفت أن يمحَشني - أي: يحُرِقني - ، فنكصت على عقبي القهقري؛ فالتفت رسول الله ﷺ، وقال: يا شيبُ ادنُه! فدنوت، فوضع يده على صدري، فاستخرج الله الشيطان من قلبي؛ فرفعت إليه بصري فلهو أحب إلي من سمعي وبصري؛ فقال لي يا شيب: قاتل الكفار! قال: فقاتلت معه».

قال الهيثمي في «المجمع» (٦/١٨٤): فيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيفٌ.

قلت: بل متروكٌ - كما تقدَّم - .

تنام، وكلأه بعنايته في الرِّحلة والمُقام، وجعل في أعناقهم أغلالاً، وألبسهم من العكس والطَّرد سِربالاً، وكفَّ أيديهم عنه إذ هَمُّوا ببَسطها، وقابل عزائمهم السَّيِّئة بطَيِّ نَشرها وحَلِّ ربطها، ورَدَّ كُلاًّ منهم خاسئاً وأطال بُعده، وحمى رسوله ﷺ وكفاه ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾.

سبحان من عصم الرسول من الأذى ... وله أَذَلَّ عصابة الأوثان

وحمى حِماه وكفَّ عنه أكفَّهم ... ورماهم في هُوَّة الخسران

وأعزَّه وكفاه ما يخشاه من ... شَرِّ اليهود البهت والكُهَّان

وأقام دولته وأعلى دينه ... فضلاً وإحساناً على الأديان

صلى عليه الله ربُّ العرش ما ... عَطَفَ النَّسيم معاطف الأغصان

٢٣ - فصل: فيما جمع له من المعارف والعلوم

ومن معجزات النبي ﷺ: ما جمعه الله تعالى له من المعارف الوافرة، والعلوم التي لم تزل عن وجُوه الهداية سَافِرة، وما خصَّه به من ورُود عين اليقين، والاطِّلاع على جميع مصالح الدُّنيا والدِّين[٣٧٩]. وعرَّفه من قوانين شريعته، وحفظ أسرار وديعته، وسياسة عباده، ورعاية ساكني بلاده، وقصص الأنبياء والرُّسل والجبابرة، وما كان في الأمم قبل بِعثته الزَّاهره، وأحاديث القرون الماضيه، وإظهار شرائعهم النَّائية، ووعي سِيرهم، وسَرد أنبائهم، وأيَّام الله فيهم، واختلاف آرائهم، والمعرفة بمُدَدِهم وأعمارهم، وحِكَم حُكمائِهم وأخبار أحبارهم، ومُحاجَّة كُلِّ أمَّة من الكفرة، ومُعارضة الكتابيّين بما في كُتبهم المُسطَّرة، وإعلامهم بمخبَّآتها وأسرارها، والمكتوم والمُغيَّر والمُبدَّل من أسفارها. وما أحاط به من لغة العرب وغريب ألفاظها، وضروب فصاحة خطبائها وبلاغة وُعَّاظها، وما خُصَّ به من جوامع كَلِمِها، وحِفظ أيَّامها وأمثالها وحِكَمِها، ومعرفة معاني أشعارها، وبيان مُشكِل نظامها ونِثارها[٣٨٠].

---

(٣٧٩) قلت: قد أخرج: مسلم (٢٣٦٣)، وابن ماجه (٢٤٧١)، وابن حبان (٢٢) من طريقين: عن حماد بن سلمة: عن هشام بن عروة: عن أبيه: عن عائشة (و) عن ثابت: عن أنس: «أن النبي ﷺ مر بقوم يُلقِّحون؛ فقال: لو لم تفعلوا لصلح؟ قال: فخرج شِيصاً - هو: التَّمر الذي لا يَشتَدُّ نواه ويقوى، وقد لا يكون له نوى أصلاً - ، فمرَّ بهم؛ فقال: ما لِنَخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا! قال: أنتم أعلم بأمر دُنياكم».

فأفاد هذا الخبر أنَّ الأنبياء وإن كانوا أحذق الناس في أمر الوحي والدعاء إلى الله تعالى، فهم في أحوال الدنيا كغيرهم، فجميع ما يشرعونه إنما يكون بالوحي، وليس للأفكار عليهم سلطان، ورأيهم في أمور المعايش عُرضةٌ للصَّواب والخطأ، ولا نقص عليهم في ذلك، إذ أمور الدنيا مرجعها إلى التَّجربة، والأنبياء والرُّسل إنما بعثوا لإنقاذ الخلائق من الشَّقاوة الأخروية وفوزهم بالسعادة الأبدية، فهمُّهم مُتعلِّق بالآخرة ومعارِفها.

راجع: «فيض القدير» (٤٨٩/١؛ ٥٠/٣) للمناوي، و«المنهاج» (١١٦/١٥) للنَّووي.

(٣٨٠) لا يخلو بعض ما ذكره المصنِّف في هذا المقام من المبالغة، فالإحاطة من صفات الله تبارك وتعالى، وقد ثبت في «الصحيح» قوله ﷺ: «لا تُطروني كما أطرَت النَّصارى بن مريم، =

وبـــــيانِ أركــــــان العلــــوم ورفـــــعِ ذِكــــــرِ مـــــنارها
وشـــــفاءِ صـــــدُور مُـــــريدِها الظَّامِــــئ إلــــى أنهارهــــا
وبلُــــوغُ مــــا يُدنــــي إلــــى اســــتخراج دُرِّ بحارهــــا
وسُــــلُوك أوضـــح طُــــرقها فــــي الــــنُّور مــــن أقمارهــــا

وتفهيم الغامض الذي لا يَظهر، وتمهيد قواعد الشَّرع المُطهَّر، المُشتمِل على محاسن الأخلاق، ونفائس الأعلاق، ومحامِد الآداب، وطرائف طرائق الصَّواب، وتسكين حركة العابث والعائث[٣٨١]، وتحليل الطيِّبات وتحريم الخبائث، وصَون الأعراض والأموال بالحُدود، وحماية الأنفُس بالوعيد لا بِالوُعود.

وما علِمه بما كان وما يكون، وما حواه من سائر الفنون، كالفرائض والحساب، والتَّعبير والأنساب، والطِّب المُحقَّق شفاؤُه، والعلاج المُجرَّب دواؤُه، كقوله ﷺ في حديثه المعروف عند أصحاب الأثر، ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر، وقوله ﷺ صلاة متصلة بيوم العرض، إن الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض.

وقولُه سَلَّم عليه[٣٨٢] ربُّ العِزَّة والسُّلطان، الرؤية الصَّادقة من الله والحلم من الشَّيطان، وقوله ﷺ في خبر رواه من شَنَّف به مَسمَعه، إن سبأ رجلٌ ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعه، وقوله عليه أفضل الصلاة والسَّلام، في الحبَّة السَّوداء شفاء من كُلِّ داء إلاَّ السَّام.

لله مــــا أفــــضلَه مُرسَــــلاً حــــاز علُــــوماً حــــصرها لا يُــــنال
بحــــراً شــــراع الــــشَّرع أضحــــى مُــــرتفعاً يعلــــو رؤوس الجــــبال

=

فإنَّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسُوله». فنهاهم ﷺ عن مدحه بما ليس فيه، والإفراط في مدحه، كفعل النصارى في دعواهم الإلهية في المسيح ﷺ وغير ذلك.

راجع: «الفتح» (٦/٤٩٠؛ ١٠/٤٧٨).

(٣٨١) بهامش (م): أي: المفسد. اهـ.

(٣٨٢) في (م): صلى الله عليه وسلم.

لــولاه مــا وافــى محــيًّا الهــدى مبتـسِم الثَّغـر ولا[٣٨٣] زال الـضلال
طالــبَ حــصر الوصــف مــنه اتَّـئد من ذا الذي يحصي الحصى والرمال

إلى غير ذلك من لغات الأمم، وتصوير حروف الخط بالقلم[٣٨٤]، وما لا يعلم بعضه، ولا يدري إبرامه ونقضه، إلاَّ من مارس الدُّروس واقتفى سُبُلها، وعكف على مطالعة الكتب وجالس أهلَها، وما اتَّخذ أهل هذه المعارف كلامه فيه قُدوَة، وجعلوه أصلاً في علومهم ليُفرِّعوا عليه ويَحذُو حَذوَه.

على أنَّه كان أُمِّيًا لا يقرأ ولا يكتُب، ولا عُرف بصحبة من يَعلم الكتابة أو يحسُب، ولا نشأ بين قومٍ لهم مُدارسه، ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا مُمارسه، ولا اختلف إلى حَبر من الأحبار، ولا اجتمع بمُنجِّم ولا كاهن ولا صاحب أخبار، إنما كانت غاية معارف العرب الشِّعر والبيان، وأخبار من سلف من أوائلها وبَان، وذلك نقطةٌ من بحر علمه، وقَطرةٌ من غَيث حِكمه وحُكمه. وبالجُملة فقد كانوا يسألونه عمَّا اضطُرُّوا من ذلك إليه، وعمَّا اختلفوا فيه منه صلى الله عليه[٣٨٥].

إنَّ المعــارف عَــرفُها مــن زَهــرِه ونمــو أفــنان الفُــنُون بقطــره
ومعـالم العلـم الـشَّريف بـه سـمت وطـريقها وَضَـحت بطالـع فجـره
كـم حكمـة ظهـرت معانـي حُكمِهـا بــين البــرايا دُرُّهــا مــن بحــره
صــلى علــيه وزاده مــن فــضله مــن خــصَّه شــرفاً بغــامض ســره

(٣٨٣) لفظة (لا) ساقطة من (م).

(٣٨٤) قلت: لا يصِحُّ هذا ولا ذاك؛ أمَّا العلم بلغات الأمم، فلا دليل عليه؛ فهو من الغلو المذموم. وأمَّا تصوير الحروف بالقلم، فقد ورد فيه حديث؛ بلفظ: «ما مات النبي ﷺ حتى قرأ وكتب». وهو موضوعٌ؛ كما بيَّنه الألباني في «الضعيفة» (٣٤٣).

وانظر: «السير» (١٨٩/١٤)، و«تذكرة الحفاظ» (٧٤٢/٢)؛ كلاهما للذَّهبي.

(٣٨٥) زاد في (م): وسلم.

٢٤ - فصل: في خبره مع الملائكة والجن

ومن معجزات النبي ﷺ: إمدادُ الله له بملائكته، وإدخالُ طائفة الجن في طاعته، وصرفهم إليه لاستماع القرآن، ورؤية عدَّة لهم من أصحابه في كثيرٍ من الأحيان(٣٨٦). وخبر مُحادثته مع الملائكة في العالم العلوي مأثور، وما شاهده من كثرتهم وعِظم صُوَرهم ليلة الإسراء مشهور، رأى جبريل في صورةٍ له ستِّمائة جناح، وتكلَّم مع إسرافيل وغيره في مكان تصعد إليه الأرواح(٣٨٧).

وعاينهم جماعة من أصحابه في مواطن بحضرته، ورأى ابن عباس وغيره جبريل في صورة دِحيَة وهيئته، ورُئِي النَّاموس الأعظم(٣٨٨) في مجلسه العلي الأركان، وهو في صورة رجل(٣٨٩) يسأله عن الإسلام والإيمان. وجلس على يمينه المعروفة باليُمن جبرائيل، وعن يساره المشهورة باليُسر إسرافيل، وكانا في صورة رجلين أبيضي الأثواب، فرآهما سعد وغير واحد من الأصحاب(٣٩٠).

---

(٣٨٦) لكن في غير صورتهم الحقيقية التي عليها خُلِقوا.

(٣٨٧) لم أقف عليه.

(٣٨٨) بهامش (م): أي: وهو جبريل عليه السلام. هـ.

(٣٨٩) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٣٩٠) أخرج: البخاري (٣٨٢٨)، ومسلم (٢٣٠٦)، وابن حبان (٦٩٨٧) من طريقين: عن مسعر: عن سعد بن إبراهيم: عن أبيه: عن سعد قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد؛ يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام».

قال الحافظ في «الفتح» (٢٨٣/١٠): «حديث سعدٍ فيه تسمية الرجلين، وأنَّهما جبريل وميكائيل، ولم يُصِب من زعم أن أحدهما إسرافيل».

ولعلَّ مستند من ذكر ذلك؛ ما رواه: الحاكم (٤٤٣١)، وأبو يعلى (٤٨٩)، وأبو زرعة في «العلل» (٣٣٧/١) لابن أبي حاتم من طريق: محمد بن خالد بن عثمة: ثنا موسى بن يعقوب الزمعي: حدثني أبو الحويرث: أن محمد بن جبير بن مطعم أخبره: أنه سمع عليا يخطب الناس فقال: «بينما أنا أمتح من قليب بدر إذ جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط، ثم ذهبت =

ملائكــة الــرحمن تطــرُق بابــه ونحــوَ حِمَــاه لــم تــزل تَتَــردَّدُ
لتأيــيد جــيشٍ أو أداء رســالةٍ وكـم قـد أتـت مغنـى الـزِّيارةِ تقـصِدُ
وأمـرُ سـماعِ الجِـنّ للذِّكـر عـنده وإيمـانهم طَـوعاً بـه لـيس يُجحـدُ
كـرمات ذي فـضلٍ عَلِـيّ مَحَلُّـه لــه كــرمٌ كالغــيث لا يــتعدَّدُ

وأخبر بعض من شَهِد يوم بدر، أنَّه سمع أصوات الملائكة على خيلها بالحثِّ والزَّجر، ورأى نظائر الرُّؤوس من الكُفَّار، ولم يشاهد ضارباً بعَضبٍ ولا بَتَّار، ورأى

=

ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط إلا التي كانت قبلها، ثم ذهبت ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط إلا التي كانت قبلها.

فكانت الرِّيح الأولى جبريل، نزل في ألف من الملائكة مع رسول الله ﷺ. وكانت الريح الثانية ميكائيل، نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر عن يمينه. وكانت الريح الثالثة إسرافيل، نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ، وأنا في الميسرة؛ فلما هزم الله تعالى أعداءه، حملني رسول الله ﷺ على فرسه، فجرت بي فوقعت على عقبي؛ فدعوت الله عز وجل فأمسكني، فلما استويت عليها طعنت بيدي هذه في القوم حتى اختضب هذا مني دما، وأشار إلى إبطه».

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. قال الذهبي: بل مُنكرٌ عجيبٌ!

وقال أبو زرعة: هكذا قال ابن عثمة، ووهِم فيه؛ وإنما هو كما رواه: ابن أبي فديك (و) خالد بن مخلد (و) ابن أبي مريم: عن موسى بن يعقوب: عن أبي الحويرث: عن محمد بن جبير بن مطعم: عن رجل من بني أَود: أخبره عن علي.

قلت: فالسَّند فيه مجهولٌ، والزُّمعي وأبو الحويرث تُكُلِّم فيهما.

ويدُلُّ على وهائه؛ ما رواه: أحمد (١٢٥٦)، وابن أبي شيبة (٣١٩٥٤)، والحاكم (٤٤٣٠)، والضياء في «المختارة» (٦٣٣) من طرق: عن مسعر: عن أبي عون الثقفي: عن أبي صالح الحنفي: عن علي قال: «قال لي النبي ﷺ ولأبي بكر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ويكون في الصف».

قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، لم يخرجاه. ووافقه الذَّهبي والضِّياء.

قال تقي الدين السُّبكي: «سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ، مع أن جبريل قادرٌ على أن يدفع الكفار بريشَةٍ من جناحه؟ فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مَدَدًا على عادة مدد الجيوش رعاية لصُورة الأسباب وسُنَّتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع. والله أعلم». «الفتح» (٣١٣/٧).

بعضهم رجالاً بيضاً بُلقَ الأفراس، يجولون بين السَّماء والأرض على رؤوس النَّاس، وحين رأى حمزة جبريل في الكعبة خرَّ مغشيًّا عليه(٣٩١).

وكانت الملائكة تصافح ابنَ الحصين(٣٩٢) ببركة مَن صَحِبَه وانتمى إليه، ولمَّا قُتل يوم أُحُدٍ مُصعَب بن عُمَير، أخذ الرَّاية مَلك(٣٩٣) على صورته مُساعدةً لأهل الخير(٣٩٤).

وأمَّا ابن مسعود أتحفه الله بالكرامة، فإنَّه ليلة الجن رأى من حضر منهم وسمع كلامه(٣٩٥). وأقبل شيخ بيده عصا في بعض الأيَّام، فسلَّم على رسول الله ﷺ فرد عليه السَّلام، ثم ذكر اسمه ونسبه إلى إبليس اللَّعين، وأخبره أنه لَقِي نوحاً ومن بعده إلى ذلك الحين، قال عمر بن الخطاب، فأسلم وعلّمه سُوَراً من الكتاب(٣٩٦). وتفلَّت

---

(٣٩١) رواه: ابن سعد في «الطبقات» (١٢/٣): أخبرنا موسى بن إسماعيل: أخبرنا حماد بن سلمة: عن عمَّار بن أبي عمَّار: «أنَّ حمزة بن عبد المطلب سأل النبي ﷺ أن يُرِيَه جبريل في صورته، قال: إنَّك لا تستطيع أن تراه! قال: بلى! قال: فاقعُد مكانَك! قال: فنزل جبريل على خشبة في الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها إذا طافوا بالبيت؛ فقال: ارفع طرفك، فانظر! فنظر؛ فإذا قدماه مثل الزَّبرجَد الأخضر، فخرَّ مَغشِيًّا عليه».

قلت: رجاله ثقاتٌ، إلاَّ أنَّه مُرسلٌ.

(٣٩٢) بهامش (م): وهو: سيدنا عمران رضي الله عنه. هـ.

(٣٩٣) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٣٩٤) رواه: ابن سعد في «الطبقات» (١٢١/٣) من طريق: محمد بن عمر الواقدي: حدثني الزبير بن سعد النَّوفلي: عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال: «أعطى رسول الله ﷺ يوم أحد مصعب بن عمير اللِواء؛ فقُتل مصعب، فأخذه ملك في صورة مصعب؛ فجعل رسول الله ﷺ يقول له في آخر النهار: تقدم يا مصعب! فالتفت إليه الملك، فقال: لست بمصعب! فعرف رسول الله ﷺ أنه ملك أُيِّد به».

وهذا إسنادٌ ساقطٌ؛ الواقدي متروكٌ.

(٣٩٥) تقدَّم أنَّ ذلك لم يثبت.

(٣٩٦) رواه: العقيلي (٩٨/١)، وابن حبان في «المجروحين» (١٣٥/١)، وأبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (٢٦٥/٣) من طرق: عن إسحاق بن بشر الكاهلي: حدثنا أبو معشر: عن نافع: عن ابن عمر: عن عمر قال: «بينما نحن قعود مع النبي ﷺ على جبل من جبال تهامة، إذ أقبل شيخ في يده عصا، وسلَّم على نبي الله ﷺ، فردَّ عليه السَّلام، ثم قال: نغمةُ الجن وغُنَّتُهم، أنت من؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس...»؛ ثم ذكر خبراً طويلاً.

=

شيطان ليقطع صلاته في تهجده، فأخذه وأراد ربطه في بعض سواري مسجده، ثم أطلقه لدعوة أخيه سليمان، ورده الله خاسئاً بالخزي والخذلان.

رســـــول[٣٩٧] حـــــاز آيـــــات ... وغايـــــات مـــــن الـــــسَّبق
أمـــين جـــــاء بالإيمـــــان ... والإحـــــسان والـــــصِّدق
جمـــيل الخَلـــق والأخـــلاق ... جـــمُّ الـــرِّفد والـــرِّفق
أفـــاد الجـــان والإنـــسان ... علمـــا بَاسِـــمَ البـــرق
بـــه أضـــحت مُنيـــراتٍ ... نواحـــي الغـــرب والـــشرق

ولما هدَم خالدٌ مكان العُزَّى وحطم جدرانه، خرجت له سوداء ناشرة شعرها عُريانة، فجزَلها بمُهنَّدِه، واستمرَّ على ما هو بصدده، وكرامات أصحابه من بعض معجزاته الواضحة، وفِلذَةٌ من أنوار آياته اللأَّئحة، وبِضعةٌ من علامات نُبُوَّته الهادية، وقِطعةٌ من سحائب كراماته الرَّائحة والغادية، مقتصر من جزيلها على اليسير، ومُقتنِعٌ من طويلها بقليل من كثير، إذ لو حصل الاستقصاء لكانت ديواناً، بل دواوين تطير أوراقها إلى طالبها زرافات ووُحدانا، وبالجملة فالأدلَّة على فضله لا تُعدُّ ولا تحصر، واختصارُ القول في أهل الشَّرف والطَّول[٣٩٨] أولى وأجدر.

نَعَـم نِعَـمُ المُقفِّـي لـيس تحـصى ... وتلخـيصُ المقالـة فـيه أجـدر
لأنَّ الأفـق مهمـا قلـت فـيه ... مـن الزُّهـرُ الـدَّراري فهـي أكثـر

=

قال العقيلي: هذا حديثٌ ليس له أصلٌ، والحمل فيه على إسحاق.

وله شاهدٌ من حديث أنس؛ رواه: ابن ماكولا في «الإكمال» (٢٥٤/٧)، والعقيلي (٩٦/٤) من طرق: عن محمد بن صالح بن مهران: حدثنا أبو سلمة محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثنا مالك بن دينار: عن أنس بن مالك قال: «كنت مع رسول الله ﷺ؛ إذ أقبل شيخ متوكئا على عُكَّازه؛ فقال رسول الله ﷺ: مِشية جني ونغمته! فقال: أجل! فقال: من أي الجن أنت؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس...».

وهذا سندٌ موضوعٌ؛ أبو سلمة الأنصاري كذَّبوه.

قال العقيلي: كلا هذين غير ثابت، ولا يرجع واحد منهما إلى صحَّة.

(٣٩٧) في (م): رسول الله؛ والصواب ما في الأصل.

(٣٩٨) بهامش (م): بالفتح أي: العطاء. هـ.

وفـضل البحـر لـم يُدركـهُ وَصـفٌ ... وعَـدُّ المَـوج مـنه لـيس يُحـصر
أيـا لله مـن ذي مُعجـزاتٍ ... لهـا نـور كعـين الـشَّمس تظهـر
عظـيم الخُلُـق معـروف الـسَّجايا ... إلـه العـرش قَدَّمـه وطَهَّـر
سـلام الله لا يـنفكُّ يهفُـو[٣٩٩] ... بـه مـا هلَّـل الداعـي وكبَّـر

(٣٩٩) بهامش (م): أي: ينزل. هـ.

٢٥ - فصل: في وجوب الإيمان به وطاعته واتِّباع سنته

الإيمان بالنبي ﷺ واجب، وشهاب التَّصديق برسالته في سماء الهداية ثاقب، وهو أمرٌ مُتعيّنٌ لا يصحُّ إلاَّ معه الإسلام(٤٠٠)، وكلُّ إيمان خلا عن الإيمان به فهو غير تمَام. والإيمان به هو الشَّهادة له بالرسالة، وتصديقه في جميع ما جاء(٤٠١) به وما قاله، فمن آمن به عَصَمَ دمَه ومالَه، وأحرز ما يُصلح عاقبته ومآله. والإيمان مُحتاجٌ إلى العَقد بالجَنان(٤٠٢)، كما أنَّ الإسلام مُضطَرٌّ إلى النُّطق باللِّسان، فإذا اجتمع التَّصديق بالقلب والنُّطق بالمِذْوَدِ(٤٠٣)، تم الإيمان وفاز صاحبه بالجَدِّ(٤٠٤) الأسعد.

وطاعته أيضاً واجِبَه، لأنها لطاعة الله مُصَاحِبَه، فمن أطاعه هُدِي إلى سواء الطَّريق، ومن مَدَّ باعه إلى أُفُقِه ظَفِر بالتَّوفيق، ومن امتثَل أمرَه رَفَل في أثواب الثَّوَاب، ومن خالفه سُلِكَ به إلى عُقَاب(٤٠٥) العِقَاب. وطاعتُه هي الالتزام بسُنَّته، والتَّسليم لما جاء به ورفع كلِمَته، فاتَّبِعُوه وأطِيعُوه(٤٠٦)، وانقُلوا خبر أمره وأذيعُوه، وإذا نهاكم عن شيءٍ فانبذُوه، وما آتاكم الرسول فخذُوه.

خــذُوا مــا آتــاكم بــه المــصطفى وأقـــــواله صـــــدِّقُوا تغـــــنَمُوا
ووالـــــوه وامتـــــثَلوا أمـــــرَه وطــــرُق هُــــداه الــــزَمُوا تُلــــزَمُوا
وسُـــــنَّتُه تابعـــــوا واســـــمَحوا بــبَذل الــنَّدى وارحمــوا تُــرحموا

---

(٤٠٠) من قوله: وهو «أمر...» إلى هنا ساقط من (م).

(٤٠١) عبارة: ما جاء ساقطة من (م).

(٤٠٢) بهامش (م): أي: القلب. هـ.

(٤٠٣) بهامش (م): المذود بالمعجمة أوله والمهملة آخره: اللسان؛ بوزن منبر. هـ.

(٤٠٤) بهامش (م): أي: الحظ. هـ.

(٤٠٥) بهامش (م): جمع عقبة. اهـ.

(٤٠٦) لفظة: وأطيعوه ساقطة من (م).

ولا تعوَجُّوا عن مناهج الحقِّ وسُبُله، وآمِنُوا[٤٠٧] بالله وملائكته وكتبه ورسله، واجتهدُوا في تصميم الاعتقاد وحضُور الجَنَان، واجمَعوا بين التَّصديق بالقلب والشَّهادة باللِّسان، والشَّهادة[٤٠٨] دون التَّصديق بالقلب نِفاقٌ، ومن نَطق بها وهو غير مُعتقِدِها فما له في الآخرة من خلاق، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون، ولا تلبسُوا الحق بالباطل وتكتمُوا الحق وأنتم تعلمون.

ويجبُ اتِّباعه وامتثال سُنَّته السَّنيَّه، واقتفاءُ طريق هديه وسيرته الزكيَّة، والاقتداء به في الأخلاق والأفعال، والانقياد لأوامره[٤٠٩] في جميع الأعمال، والتأسِّي[٤١٠] به في حَربه وسِلمِه، والأخذُ بقوله والرِّضى بحُكمِه، فخير الهَدي هداه، ومن اتَّبعه أحبَّه الله، فعليكم بإحياء سُنَّته لتُعَدُّوا من صالحي أمَّته، أفلح من عضَّ عليها بالنَّواجذ، وفاز من رُئي بجَنابها وهو لائذ، ومن انتصر بها فهو منصُور، ومن اقتدى بها وُفِّق في سائر الأمور.

ومــن إلــيها جــاء يــرجو الهــدى　　　أَلْقَــت علــيه حَبَــرَات[٤١١] الحُــبُور

ومــن أتــى يطــوي الفَــلاَ نحــوها　　　فــاز بنــشر الخُلــد يــوم النُّــشور

ومن اعتصم بها نجا من النار، ومن حفظ بُرَّ[٤١٢] بَرّهَا حُشر مع الأبرار، ومن رَضِي بقول صاحبها رضي بالقرآن المجيد، ومن تمسَّك بها عند فساد الأمَّة فله أجر مائة شهيد[٤١٣]. ومن رغِب عنها فليس من سيِّد البشر، ومن أمَّرَها على نفسه نال

---

(٤٠٧) لفظة: وآمنوا ساقطة من (م).

(٤٠٨) والشهادة ساقطة من (م).

(٤٠٩) في (م): في أوامره.

(٤١٠) بهامش (م): أي: الاقتداء.

(٤١١) بهامش (م): جمع حبرة؛ أصلها: برود باليمن، والحبور كالسرور، وزنا ومعنى. هـ.

(٤١٢) بهامش (م): يحتمل كسر الباء من بر الأول المفرد من أفعال البر، أي: الخير. ويحتمل الضم بمعنى الحنطة، فهو كناية؛ والثاني بفتحها اسم فاعل. وانظره.
قلت: قد ضبطت في الأصل بالضم. والله أعلم.

(٤١٣) أخرج: ابن عدي (٣٢٧/٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١١٨/٢) من طريقين: عن الحسن بن قتيبة أبو علي المدائني: ثنا عبد الخالق بن المنذر: عن ابن أبي نجيح: عن مجاهد: عن ابن عباس رفعه: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي، فله أجر مائة شهيد».
وهذا سندٌ واهٍ؛ أبو علي المدائني متروكٌ.

غاية الآمال ونهاية الوَطَر، ومن خالفها واتَّبع غير سبيل المؤمنين، وَلاَّهُ الله ما تَولَّى وأصلاه مثوى الكافرين.

فتلقُّوا ما صَدَرَ عن صَدرِ المصطفى بالقَبول، وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، ولازِمُوا طريقته واتَّبعُوا سُنَنه، لقد كان لكم في رسول الله إسوةٌ حسنة، ولا يغُرَّنَّكُم بالله الغَرُور، وإيَّاكُم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. وأيقظوا قلوبكم بمعرفة السنَّة من سِنة الجهالة، ولا تتعرَّضُوا إلى مخالفته والاعتراض على طريقه المستقيم، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

لا يكمل الإيمان في قلب امرئ ... إلا بتصديق النبي المرسل
ذاك الذي في الخلق طاعة أمره ... وجبت بإخبار الكتاب المنزَّل
يا فَوزَ نَاجٍ مَورَ[٤١٤] سنته اقتفى ... وبه اقتدى في كل أمر مشكل
صلى عليه الله ما أحيا الحيا[٤١٥] ... مَيْتَ النَّبَات بعارض[٤١٦] مُتهَلِّل

---

(٤١٤) في (م): من بأمور؛ والأقرب ما في الأصل، والمراد بالمور هنا: الطريق.

(٤١٥) في (م): إحياء.

(٤١٦) بهامش (م): أي: مطر كثير. اهـ.

٢٦ - فصل: في لزوم محبته

مَحبَّة رسُول الله ﷺ لازمَه، والآية الكريمة بوجُوبها وعِظَمِ خطرها جازمَه، ولن يؤمن أحد حتى يكون أحبَّ إليه من نفسه، ومن ولده ووالده وسائر أبناء جنسه، ومن أحبَّه وجد حلاوة الإيمان، ودخل في زمرته إلى محلِّ الرَّوح والرَّيحان، وفاز بمرافقة الذين أنعم عليهم الربُّ، وكان معه في درجته والمرء مع من أحب.

ولقد كان أصحابُه رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنَّة الخُلد مَسكنُهم ومثواهم، يحبُّونه أشدَّ المحبَّه، ويختارون لقاءه وقُربه، ويعظِّمُونه أشدَّ التعظيم، ويكثرُون من الصَّلاة عليه والتَّسليم. أمَّا أبو بكر فمحبَّتُه له مشهورة[٤١٧]، وهجرتُه إلى الله ورسوله معروفة مذكورة، وحلف عمر له صلى الله عليه[٤١٨]، أنه أحبَّ إليه من نفسه التي بين جنبيه، وعن علي كان والله أحبَّ إلينا من الأموال والأولاد، ومن الآباء والأمَّهات والماء البارد على ظمإ الأكباد[٤١٩]، وقال عمرو بن العاص: ما كان أحد أحب إلينا من النبي صلى الله عليه وسلَّم، وكان خالد بن مَعدان يتمنَّى لقاءه وبشوقه إليه يتكلَّم[٤٢٠]، وقيل لابن عمر اذكر أحبَّ الناس إليك فصاح يا

(٤١٧) عبارة: له مشهورة ساقطة من (م).

(٤١٨) زاد في (م): وسلم.

(٤١٩) لم أقف عليه.

(٤٢٠) أخرج: أبو نعيم في «الحلية» (٥/٢١٠)، وعنه ابن عساكر في «التاريخ» (١٦/١٩٩) من طريقين: عن الحافظ إبراهيم بن محمد بن الحسن الأصبهاني: ثنا علي بن سهل الرملي: ثنا الوليد بن مسلم: عن عبدة بنت خالد بن معدان: عن أبيها قالت: «قَلَّ ما كان خالد يأوي إلى فراش مقيله إلاَّ وهو يذكر فيه شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يسميهم، ويقول هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم؛ فعجِّل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم، وهو في بعض ذلك».

قلت: وهذا سندٌ حسنٌ، عبدة هذه؛ هي أم عبد الله روى عنها جماعة، وجُلُّ رواياتها عن أبيها، وأوردها ابن حبان في «الثقات» (٧/٣٠٧).

محمَّداه[٤٢١]. ولما احتُضِر بلال ذكر لقاءه ورؤية صحبه وقال واطرباه[٤٢٢]، ومنهم من فارق[٤٢٣] أهله ودياره في موالاته، ومنهم من قتل صاحبه وقاتل أباه وابنه طلباً لمرضاته.

كيف لا يفعل الصِّحاب الكرام ... ذاك مع خير من أظلَّ الغمام
كيف لا يمنحونه الودَّ صِرفا ... وهو بدرٌ به أنار الظَّلام
صانهم زانهم هُداهم حماهُم ... وبه نحوَهم تدانى المَرام
حبَّذا مُرسلٌ عَطُوفٌ رؤوفٌ ... كاشفٌ كُربةَ المهمُوم هُمام
لمحبِّيه في الوجُود مقال ... ولهم في جِنَان[٤٢٤] عَدنٍ مقام
إنَّ مَن في ولائه يتغالى ... لسَعيدٌ مُوفَّق والسَّلام

ومِن علامات محبَّته توقيرُه وتعظيمُ قَدره، وإظهارُ الخضُوع والخشُوع عند سماع ذكره، والشَّفقةُ على أمَّته وبرّ صالحهم، والنُّصحُ لهم والسَّعي في مَصَالحهم. فطُوبى لمن عُدَّ من جملة محبِّيه، وامتثل جميع أوامره واجتنب سائر نواهيه، وبذل الجهد في مؤازرته ونَصره، وتأدَّب بآدابه في عُسره ويُسره، وآثر[٤٢٥] ما شرعه على

(٤٢١) أخرج: البخاري في «الأدب» (٩٦٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١٥٤/٤)، وابن الجعد (٢٥٣٩)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٤٢/١٧) من طرق: عن أبي إسحاق: عن عبد الرحمن بن سعد قال: «كنت عند عبد الله بن عمر، فخَدِرت رجله؛ فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، ما لرجلك؟ قال: اجتمع عصبها من هاهنا! قلت: ادع أحب الناس إليك! قال: يا محمدا! فانبسطت».

قلت: هذا منكرٌ، فيه عنعنة أبي إسحاق، وهو كان مشهوراً بالتَّدليس.

(٤٢٢) رواه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧٥/١٠) من طريق: أبي الحسن علي بن محمد: حدثنا أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر: حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: «قال بلال حين حضرته الوفاة: غدا نلقى الأحبة * محمَّدا وحزبه؛ قال: تقول امرأته: واويلاه! قال: يقول هو: وافَرَحاه!».

قلت: وهذا مُنقطِعٌ؛ سعيدٌ لم يدرك بلالاً.

(٤٢٣) في (م): فارقه.

(٤٢٤) في (م): جنات.

(٤٢٥) بهامش (م): أي: قدم.

هواه، وأسخط العباد في رضى الله ورضاه، وثابر[٤٢٦] على العمل بسُنَّته، ووافق ما حضَّ عليه مخالفاً لشَهوته، وتفقَّه في دِينِه وشريعته، وتخلَّق بخلقه وتطبَّع بطبيعته، وأحبَّ من أحبَّه، وعظَّم آل بيته وصَحبَه، وجانب كُلَّ أمر يخالف شرعه، وأعرض عمَّن تعرَّض لمحدَثَة فيه أو بدعه، ونهض للوقُوف عند حدُوده، ورفض أقوال شَامتهِ وحسُودِه، وبذل النفس والمال دونه، ومال إلى الذين يحبُّهم ويحبُّونه.

فأيُّ كرمٍ أجزلُ من كرمه، وأيُّ نعم أكرمُ من نعمه، وأيُّ إفضال أعمُّ من إفضاله، وأيُّ نوال أتمُّ من نَوَاله، جاء بالرَّأفة والرحمة، وعلم الكتاب والحكمة، وبشَّر وأنذر، ونهى عن التعسير ويَسَّر[٤٢٧]، وبالغ في النَّصيحة، وسلك الطَّريق الصَّحيحة، واجتهد على الهداية، وأنقذ من العِمَايَة، ودعا إلى الفلاح، وبيّن سبيل النَّجاح، وأوجب البقاء الدَّائم والنَّعيم السَّرمد، صلى الله عليه صلاة مُتَّصلةً لا تنقطع ولا تَنفَد.

يـا صـاحب العـزِّ والقَـبُول ومـن ... حَيَّـر أهـل العقُـول مُعجِـزُه
يـا مـن لـه مجلس حـوى شـرفاً ... بالقطـر مـن صـحبه يُطـرِّزُه
ويظهـر العلـم فـي جوانـبه ... والـدُّر مـن فِـيهِ[٤٢٨] فـيه[٤٢٩] يُبـرزُه
حُـبُّك يـا أشـرف الخلائـق فـي ... قلـوب أهـل الرَّشـاد مركـزُه
أنـت الـذي تُـبطِلِ الوعـيد كمـا ... وَعـدَ المُرَجّـي بـذاكَ[٤٣٠] تُنجِـزُه
صـلَّى علـيك الإلـه مـا خطـرت ... ريـحٌ بغُـصن الـنَّقَا تُهَزْهِـزُه

---

(٤٢٦) بهامش (م): أي: داوم. هـ.
(٤٢٧) في (م): وبشر.
(٤٢٨) بهامش (م): أي: فمه.
(٤٢٩) بهامش (م): جار ومجرور.
(٤٣٠) في الأصل: نداك.

٢٧ - فصل: في تعظيمه وتوقيره

أوجب الله تعالى تعظيمه وتوقيره، وفرض إعانته ونَصره وإجلاله وتعزيره[٤٣١]، ونهى المؤمنين عن التقدُّم بالقول بين يديه، وعن سبقه بالكلام وإساءة الأدب عليه، وأمرهم أن يستمعوا لما يخرج من فِيه، ولا يتعجَّلُوا بقضاء أمر قبل قضائه فِيه، ولا يَفتَاتُوا[٤٣٢] فيما يتعلَّق بدينهم إلاَّ بأمره، وحذَّرهم مخالفته[٤٣٣] في قُلِّ الأمر وكُثره، وأن لا يرفعُوا أصواتهم فوق صوته، وأن يحترمُوه ويُعظِّمُوه في حياته وموته، ولا يَدعُوه كدعاء بعضهم بعضا، ويتركوا من لا يرعى حقَّه مقتاً ورفضاً وبغضاً، وأن يُنادوه بأشرف ما يحبُّ من أسمائه، وإن أحداً منهم لا يجهر عليه بالقول في ندائه، وأثنى على الذين يغضُّون أصواتهم عنده، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم وسينجز لهم وعده.

عَظِّم نبيًّا عالماً عاملاً ... رَبُّ العلا أَوجَبَ تعظيمه
والزم هُدِيت الرُّشد توقيره ... ما دُمت في الدنيا وتكريمه
واحذر تخالف أمره واتَّبع ... تحليله طوعاً وتحريمه
واصبر لكَلمِ الضِّد فيه عسى ... في الحشر أن تسمع تكليمه

فقد كان أصحابُه يُعظِّمُونه كثيراً، ولا يملؤون عيُونهم منه إجلالاً وتوقيراً، وإذا خرج عليهم لا يُحدُّون إليه النظر، ولا يرفع أحد منهم إليه بصره إلاَّ أبا بكر وعمر، ويجلسون حوله كأنما الطَّير على رؤوسهم، ويسمحون في الذَّب عنه بأموالهم

(٤٣١) بهامش (م): أي: تعظيمه.

(٤٣٢) بهامش (م): من الفتيا؛ أي: لا يحكمون. هـ.

(٤٣٣) هذه اللفظة ساقطة من (م).

ونفوسهم، وإذا توضأ ابتدروا وَضُوءه(٤٣٤) وأسرعوا إليه، وكادوا حرصاً على التبرك به يقتتلُون عليه، ويَتَلَقَّون بُصاقه عليه الصَّلاة والسَّلام، فيمسحون به الوجوه ويَدلِكُون به الأجسام، وإذا سقط منه شعرة تزاحموا على التقاطها، ويبادرون إلى امتثال أوامره والتلفُّع برِياطها(٤٣٥)، ويقرعون بالأظفار بابه، ويؤخِّرُون سؤاله عن الأمر حياءً ومهابه.

وإذا تكلَّم أنصتُوا [لكلامه](٤٣٦) ... وإذا تلا عليهم الذِّكر أخبتُوا(٤٣٧)

وإذا أرادهم لأمر بادروا ... لجواب ذاك الأمر لم يتبئتوا(٤٣٨)

وإذا نهاهم أعرضوا عما نهى ... ولغير ما يختار لم يتلفَّتُوا

وإذا أشار بصمتهم لم ينطقوا ... وإذا دعا أقوالهم لم يسكتوا

أَكرِم بهم قَوماً أقامُو دِينه ... وبعزمهم شَملَ الأعادي شَتَّتُوا

فعَلَيهِمُوا رضوان ربٍّ صانهم ... أن يعبدوا من دونه أو يقنُتوا

ويجب أن يُحترم بعد مماته، كما كان يحترم عليه الصلاة والسلام حال حياته(٤٣٩)، وذلك عند ذكره وحديثه وسُنَّته، ولدى(٤٤٠) سماع اسمه الشريف وسيرته، فقد كان السَّلف يُعظِّمُون حديثه الصَّحيح، ويتلقَّون الصَّادر والوارد من سُنَّته الشَّريفة بكل صدر فسيح، وينصتُون إلى سماع أقواله، ويتأدَّبُون عند ذكر أوصافه وأفعاله؛ فمنهم من يُسكِّن من حركته، ومنهم من يشرئبُّ(٤٤١) لوقع بركته، ومنهم مَن يرتدي

(٤٣٤) بهامش (م): بالفتح؛ ما يُتوضأ به. هـ.
(٤٣٥) بهامش (م): جمع ريطة؛ ثوب شق باثنين.
(٤٣٦) زيادة من (م)؛ وقد عد ناسخ الأصل هذا البيت من جملة النثر، والأقرب أنه شعر.
(٤٣٧) بهامش (م): أي: خضعوا.
(٤٣٨) أي: لم يتكبروا.
(٤٣٩) في (م) ألحقت هاتان الجملتان بالأبيات السابقة؛ والصواب ما في الأصل.
(٤٤٠) في الأصل: ولذي، وفي (م): وكذا؛ ولعل الصواب ما أثبت.
(٤٤١) بهامش (م): أي: يتطاول بعنقه، كأنه يريد شيئا. اهـ.

بالخضوع والخشوع، ومنهم من تجري من عينيه شآبيب(٤٤٢) الدُّموع، ومنهم من يغيب ويتحيَّر، ومنهم من يَصفَرُّ لونه ويتغيَّر، ومنهم من لا يكتب الحديث إلاَّ وهو طاهر، ومنهم من يكره أن يحدث وهو مضطجع أو قائم أو سائر، ومنهم من إذا طُلب منه تسميعُ حديثه المُفيد، بادر إلى الغسل والتَّطييب ولُبس الجديد.

فخذ في برِّه وتوقيره والاستجابة إليه، بما كنت تأخذ به نفسك لو كنت بين يديه، واجتهد في تبجيله وتعظيمه، وبالغ في إجلاله وتكريمه، واعرف حقَّ قدره، وتأدَّب عند ذكره، واستشفع به في غَفْرِ ذنُوبك وستر عيُوبك إلى من لا يحول ولا يزُول(٤٤٣)، واستمسك بقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾(٤٤٤).

---

(٤٤٢) بهامش (م): جمع شؤبوب كعصفور؛ المطر الغزير. اهـ.

(٤٤٣) قال شيخ الإسلام: «وهو ﷺ سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل، وهو إمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذ وفدوا؛ ذو الجاه العظيم. ولكن جاه المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاه المخلوق عند المخلوق، فإنه لا يشفع عنده أحد الا بإذنه، والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك، فلما علمت الصحابة رضوان الله عليهم أن النبي ﷺ حسم مادة الشرك بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، وكذلك علموا أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته وموالاته أو التوسل بدُعائه وشفاعته، فلهذا لم يكونوا يتوسَّلون بذاته مُجرَّدةً عن هذا وهذا.

فلمَّا لم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئاً من ذلك، ولا دعوا بمثل هذ الأدعية، وهم أعلم منا وأعلم بما يحب الله ورسوله، وأعلم بما أمر الله به رسوله من الأدعية، وما هو أقرب إلى الإجابة منا، بل توسلوا بالعباس وغيره ممَّن ليس مثل النبي ﷺ؛ دل عدولهم عن التوسل بالأفضل إلى التَّوسُّل بالمَفضول: أنَّ التَّوسُّل المشروع بالأفضل لم يكن مُمكِنًا». «المجموع» (١/٣٢٠) باختصارٍ.

(٤٤٤) وهذا إنما أمر به في حياته ﷺ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أو التابعين أنهم كانوا إذا وقع منهم ظلم لأنفسهم، جاؤوا إلى قبر النبي ﷺ؛ ثم لماذا يأتون وهذا النبي ﷺ ينهى عن اتخاذ قبره عيداً!

والأبيات التي ذكرها المصنف فيها مخالفة شرعية كبيرة، فإنه لا غافر للذنوب، ولا كاشف للكروب، ولا مقلب للقلوب إلا الله تبارك وتعالى؛ اللهم لك الحمد على التوحيد والسنة.

بـك يـا رسـول الله فـي غُفـران مـا ... أسلفت فـي زمـن الـصِّبا[٤٤٥] أتـشفَّع
كـم مـن ذنـوبٍ قـد تحمَّـل كاهلـي ... شُـمُّ الجِـبال لـوقعها يتـصدَّع
مالـي سِـواك أحـومُ حَـوْل جَـنابه ... يـا مـن إليه ذوي المساوي[٤٤٦] تهرعُ
أنـت الـذي ظلـم الـشَّدائد تنجلـي ... بـسِراجه وبـه العظـائمُ تُدفـع
صلى عليك من اصطفاك من الوَرَى ... مـا لاح فـي الآفـاق نـور يلمـع

(٤٤٥) بهامش (م): حداثة السن. اهـ.
(٤٤٦) بهامش (م): أي: الذنوب. اهـ.

٢٨ - فصل: في محبة آله وأصحابه رضي الله عنهم

من تَعظيم رسول الله ﷺ تعظيمُ آله الأطهار، وعِترَتِه الأبرار، وذُرِيَّته الأخيار، وسائر المهاجرين والأنصار، وإكرام أمهات المؤمنين أزواجِه، والسُّلوك في بَرِّ حُبِّهم في أوضح منهاجه، وتوقيرُ من سَلَف من أصحابه، ومن لازمه منهم في ذهابه وإيابه، ومعرفةُ الواجب من حقوقهم، وشَيمُ[٤٤٧] الوَامِض من برُوقهم، والاقتداء بأفعالهم الصَّالحه، والاقتباس من أنوار معارفهم الواضحة.

فعَظِّم أهل بيته كما عظَّمهُم العلماء من الناس، وهم آل علي وجعفر وعُقَيل والعبَّاس، ووال من والاهم، وعاد من أبغضَهم وعادَاهم، وتمسَّك بحبل حُبِّهم فهو دليلٌ على الإيمان، واجتهد في تقديم قريش وعاملهم بالإحسان، فمعرفة مكان آله براءة من النار، والوَلاية لهم أمانٌ من البوار، وحبهم جوازٌ على الصراط[٤٤٨]، وبابٌ إلى منزلة الحظِّ والاغتباط. ومن أحبَّ الحسن والحسين، وأُمَّهما الزهراء ذات النورين، وأباهما المعروف بالبسالة والشَّهامة، كان مع المصطفى في درجته يوم القيامة[٤٤٩].

---

(٤٤٧) بهامش (م): أي: نظر.

(٤٤٨) رُوي في ذلك حديثٌ بلفظ: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب». وهو خبرٌ موضوعٌ.
راجع: «الضعيفة» (٤٩١٧).

(٤٤٩) لم أقف على خبر بهذا المعنى، وكأنَّ المصنِّف ركَّبه من خبرين:
١ - فقد أخرج: الطيالسي (١٩٠)، وأبو يعلى (٥١٠)، والطبراني (٤٠٦/٢٢) من طريق: عمرو بن ثابت: عن أبيه: عن أبي فاختة سعيد بن علاقة قال: قال علي: «زارنا رسول الله ﷺ، فبات عندنا والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسن، فقام رسول الله ﷺ إلى قربة لنا، فجعل يعصرها في القدح ثم يسقيه، فتناوله الحسين ليشرب، فمنعه وبدأ بالحسن قالت فاطمة: يا رسول الله، كأنه أحبهما إليك؟ فقال: لا، ولكنه استسقى أوَّل مرَّة، ثم قال =

لا تَعْدُ عن سَنَن[٤٥٠]الرَّسول محمَّد | والزم محبَّة آله الأطهار
وَقِّر وعَظِّم قَدرَ عِترتِه ومَن | يُنمى إلى الذُّريَّة الأخيار
واسلُك سبيل كرامات الزَّوجات | والأولاد والأعوان والأنصار
وارفع لأهل البيت رَايَات الولا | تجد الوقاية من عذاب النار

وقد حضَّ النبي ﷺ على حُبِّهم، ونَبَّه على رَفعِ شأنهم عند ربِّهم، فقال

=

رسول الله ﷺ: إني وإيَّاك وهذين - وأحسبه قال: وهذا الراقد، يعني: عليا - يوم القيامة في مكان واحد».

وهذا سندٌ لا بأس به في الشَّواهد؛ رجاله ثقاتٌ كلهم إلاَّ عمرو؛ فقد قال أبو حاتم: ضعيف الحديث يكتب حديثه، كان رديء الرأي شديد التشيع، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم، وقال أبو داود: رافضي خبيث وكان رجل سوء، ولكنه كان صدوقاً في الحديث.

وأخرج: أحمد (٧٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٢٢)، وابن قتيبة في «الغريب» (٢/ ١٠٨) من طريق: عفان: عن معاذ بن معاذ: ثنا قيس بن الربيع: ثنا أبو المقدام ثابت بن هرمز البكري: عن عبد الرحمن بن الأزرق: عن علي قال: «دخل علي رسول الله ﷺ وأنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن أوالحسين؛ قال: فقام النبي ﷺ إلى شاة لنا بَكِيٍّ، فحلبها فدَرَّت، فجاءه الحسن فنحَّاه النبي ﷺ؛ فقالت فاطمة: يا رسول الله، كأنَّه أحبهما إليك! قال: لا، ولكنه استسقى قبله! ثم قال: إنِّي وإياك وهذين، وهذا الرَّاقد في مكان واحد يوم القيامة».

قال الهيثمي في «المجمع» (٩/١٧٠): فيه إسناده قيس بن الربيع وهو مُختَلَفٌ فيه، وبقية رجاله ثقاتٌ.

قلت: لم يضبط قيس الخبر، فقد جعل شيخ أبي المقدام الأزرقي بديل أبي فاختة الثِّقة، والسقيا من الشاة القليلة اللبن، وتردد في الحسنين أيهما كان المستسقي، ثم جزم بأنه رد الحسن.

ولا جرم، فهو ضعيفٌ، قال أحمد: روى أحاديث منكرة.

قلت: لكن محل الشَّاهد، وهو القدر المشترك بين الروايتين يثبت بهذين الطريقين يقيناً. والله أعلم.

٢ - وأخرج: البخاري (٥٨١٧)، ومسلم (٢٦٤٠) من طرق: عن جرير: عن الأعمش: عن أبي وائل: عن عبد الله قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم؟! قال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب!»».

(٤٥٠) بهامش (م): السنن بالفتح: الطريق.

آتاه[٤٥١] الله الفضيلة وأناله غاية سوله[٤٥٢]، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ورسوله، وعظَّمهُم إذْ قدَّمهم بكتاب الله أين كانوا وحيث حَلُّوا، في قوله: إني تارك فيكم ما إن أخذتم لن تضلُّوا، وقال في علي: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وقال في عمِّه العباس: من آذى عمِّي فقد آذاني، وقال: أنشدكم الله في أهل بيتي، ولعمري إنها إشارةٌ لطيفةُ المعاني، ويكفيهم قولُ من خلق كُلَّ شيء فقدره تقديراً، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

إن خفت من سَبُع الذُّنوب وبطشه ... فالزم ولاء الخمسة الأشباح

أهل الكساء الطَّاهرين ذوي التُّقى ... سُفُن النجاة وراحة الأرواح

وبهم توسَّل حين يعتكر الدُّجى ... تلقى الرِّضى من فالق الإصباح

واستغفر لأصحاب رسُول الله ﷺ على كُلِّ الأحوال، وأمسك عمَّا شجر بينهم من الأقوال والأفعال، وأظهر سيرتهم الحميدة، وبيّن فضائلهم العديده، واهتد بأعلام علومهم المرتفعة، وارفض من عاداهم من ضُلاَّل[٤٥٣] الشيعة والمبتدعة، وانظر إلى قول من خلق الإنسان من صلصال كالفخار، محمَّد رسول الله والذين معه أشدَّاء على الكفَّار، وإلى قول من أبطل بآية كلِمه[٤٥٤] ما جاء به السَّحرة، لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشَّجره، وإلى قول من يرجع الأمرُ كلُّه إليه، رجالٌ صدقُوا ما عاهدوا الله عليه، وقد قال أشرفُ الخلق وسيِّد البشر، اقتدوا باللَّذين من بعدي أبي بكر وعمر، وقال عليه الصلاة والسلام، ومثلهم كمثل الملح في الطعام[٤٥٥]، وقال في حديث يتشنَّفُ به السَّمع وتتشرَّف به الصَّحيفة، فلو أنفق

---

(٤٥١) زاد في (م): مَن.

(٤٥٢) بهامش (م): بتسهيل الهمز للسجع.

(٤٥٣) بهامش (م): جمع ضلال. قلت: كذا؛ ولعله أراد: ضال.

(٤٥٤) كذا في النسختين؛ ولعل الأصوب: كليمه - أي: موسى عليه السلام - .

(٤٥٥) أخرج: أبو يعلى (٢٧٦٢)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٧٢)، وعنه ابن عبد البر في =

أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه.

تمسَّك بالأوامر من رسول كريم ناشر فضل الصَّحابة[٤٥٦]

ولازم حُبَّهم واستوص خيراً بكُلٍّ منهُم وارفع جَنَابه

وأكثر من ثنائك كُلَّ وقت عليهم حائزاً أجر الصحابة

فمن أحسن الثَّناءَ عليهم برئ من النفاق، ومن أحبَّهم أحرز في ميدان الإيمان خصل السباق، ومن تبعهم أدرك ما يرُوقُ مما يرُوم، ومن اقتدى بهم اهتدى لأنهم كما قال عليه السَّلام كالنجوم[٤٥٧]، ومن قابلهم بالعزِّ حَظِي[٤٥٨] في دار البقاء بالملابس الفاخرة، ومن حَفِظَ رسُولَ الله فيهم حَفظَه الله في الدنيا والآخره، فَضَّلهُم الله بصُحبة[٤٥٩] سَيِّد المحسنين والمُجمَلِين، واختارهم في العالمين سوى الأنبياء والمرسلين.

أصحابُ هادي الوَرَى قومٌ[٤٦٠] لهم شَرَفٌ بالقُرب منه خُصُوصاً أوَّلُ العَشَره

«الاستيعاب» (١/١٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٤٧) من طريقين: عن إسماعيل المكي: عن الحسن البصري: عن أنس بن مالك رفعه: «إنَّ مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطَّعام».

قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٨): فيه إسماعيل بن مسلم، وهو ضعيفٌ.

قلت: وفيه الحسن، وهو مُدلِّس وقد عنعن.

وانظر: «الضعيفة» (١٧٦٢).

(٤٥٦) في (م): السحابة.

(٤٥٧) أخرج: عبد بن حميد (٧٨٣)، وابن عدي (٢/٣٧٧) من طريقين: عن أبي شهاب: عن حمزة الجزري: عن نافع: عن ابن عمر رفعه: «إنما أصحابي مثل النجوم يهتدي بهم، فأيَّهم أخذتم بقوله اهتديتم».

وهذا خبرٌ موضوع، آفته الجزري هذا.

وانظر: «الضعيفة» (٥٨ - ٦١).

(٤٥٨) بهامش (م): من باب طرِب.

(٤٥٩) هذه اللفظة ساقطة من (م).

(٤٦٠) هذه اللفظة ساقطة من (م).

جــاؤوه واســتمعوا مــا قــال واتَّــبعُوا   وبايعُـوا تحـت أغـصانٍ مِـنَ الـشَّجَره

يكفــيهم أنَّ خيــر الرســل أكــرمهم   وأنَّهُــم أفــضلُ الأخــيار والبَــرَره

مِنِّــي علــيهم ســلامٌ طَــيِّبٌ أَرِجٌ   مــا أظهـر البحـر مـن قاموسـه دُرَرَه

٢٩ - فصل: في زيارة قبره وتعظيم مواطنه

[و][٤٦١] زيارة قبر النبي ﷺ سُنَّةٌ جميلة، أجمع المسلمون عليها، ورغِبُوا فيما له بها من الفضيلة، فمن زاره بعد وفاته، فكأنما زاره في حال حياته، ومن زار قبره دخل في جواره المنيع، وكان في شفاعته يوم لا حميم يطاع ولا شفيع[٤٦٢]. ومن أقام بمدينته حَظِي بطِيب ثراها، ومن مات بها ظفر بشفاعة من به ضيفُها وقِرَاهَا.

فاقصد مسجده الذي تشدُّ الرحال إليه، وفُز بزيارته والسَّلام عليه وعلى صاحبيه، ولا ترفع صوتك في مسجده، وكن ممَّن ظهر في الأدب حُسن مَقصَدِه، واتَّبع السَّلف الصَّالح في تعظيمه، وبالغ كما بالغوا في إجلاله وتكريمه، وتبرَّك بروضته ومنبره ومواطئ قدميه[٤٦٣]، وشرِّف نظرك بمكان كان جبريل عليه السلام

---

(٤٦١) زيادة من (م).

(٤٦٢) لم يصح في فضل زيارة قبره ﷺ شيءٌ، والمروي بين ضعيف ومنكر وموضوع؛ وقد تتبَّع الحافظ ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص١٠ - ١٧١) أحاديث الزيارة حديثا حديثا وبيَّن عِلَلَها، وأقوال أئمة الحديث فيها، وفصَّل القول فيها تفصيلاً لا يدع أي شك في قلب أحد من المنصفين بضعفها، وعدم ثبوت شيء منها إطلاقا، وأنَّه ليس فيها ما يُقوّي بعضه بعضا لِشِدَّة ضَعفها، واضطراب أسانيدها، وتضارب ألفاظها.
انظر: «الضعيفة» (٢٥، ٤٧، ٢٠٤).

(٤٦٣) إنَّما يُشرع من ذلك كله: الصلاة في الروضة النبوية؛ لقوله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». رواه: البخاري (١١٣٧)، ومسلم (١٣٩٠)، وأمَّا غير ذلك فلا يشرع لفُقدان الدَّليل عليه.
يقول ابن تيمية في «الاقتضاء» (ص٣٦٧ - ٣٦٨): «وما أحسن ما قال مالك: «لن يصلح آخر هذه الأمَّة إلاَّ ما أصلح أولها»، ولكن كُلَّما ضَعُف تمسُّك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم، عُوِّضوا عن ذلك بما أحدثُوه من البدع والشِّرك وغيره... قال أبو بكر الأثرم: قلت لأبي عبد الله - يعني: أحمد بن حنبل - : قبر النبي ﷺ يُمَسُّ ويُتَمسَّح به؟ فقال: ما أعرف هذا! قلت له: فالمنبر؟ فقال: أمَّا المنبر، فنعم؛ قد جاء فيه. قال أبو عبد الله: شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر أنه مسح على المنبر، قال: ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة.
=

ينزل فيه بالوحي عليه.

زُر قبر من شمسُ ضُحى أعلامُه لمَّا بَدَت وَلَّى ظَلامُ الشَّطَط
كما ترى نَفسَك في رَوضَةٍ من أرضها زَهرُ القِرَى[٤٦٤] يُلتَقَط
واهرَع إلى طَيبَة تلك التي جُود أبي الطيِّب فيها انبَسَط
وانزل بها في مَسجدٍ مُنجِدِ جبريلُ في أرجائه كم هَبَط

يا له مسجداً أُسِّس على التقوى، ومُتعبَّداً أفلح من تمسك بسببه الأقوى، فيه روضةٌ من رياض الجنَّه، ومنه انتشرت أعلام الكتاب والسُّنَّه، وفيه بقعة هي[٤٦٥] أفضلُ بقاع الأرض، وكيف لا وقد ضمَّت أعضاء الشَّفيع المشفَّع يوم العرض، وأكثِر من الصَّلاة في نواحيه تحظَ بالنَّعيم والإنعام، فصلاةٌ فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام، لأنه مسجدٌ وافرُ المآثر زاهرُ المشَاعر، صالحُ المناسك، واضحُ المسالك، عَمِيمُ النِّعمَة عظيمُ الحُرمَة، شريفُ المواقف، مُطهِّرٌ للطَّائف والعاكف، مرفُوعُ القواعد ثابتُ الأساس، جعله الله تعالى أمناً ومثابةً للناس، نَامِيَ البركات وافي التعظيم، فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيم، ومن دخله كان آمنا نصُّ

=

قلت: ويروون عن يحيى بن سعيد أنَّه حين أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا؛ فرأيته استحسنه، ثم قال: لعلَّه عند الضرورة والشيء، قيل لأبي عبد الله: إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر، وقلت له: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه، ويقومون ناحية فيسلمون. فقال أبو عبد الله: نعم، وهكذا كان ابن عمر يفعل، ثم قال أبو عبد الله: بأبي هو وأمي ﷺ!

فقد رخَّص أحمد وغيره في التَّمسُّح بالمنبر، والرُّمانة التي هي موضع مقعد النبي ﷺ ويده، ولم يرخص في التمسح بقبره، وقد حكى بعض أصحابنا روايةً في مسح قبره؛ لأنَّ أحمد شَيَّع بعض الموتى، فوضع يده على قبره يدعو له، والفرق بين الموضعين ظاهر، وكره مالك التمسح بالمنبر كما كره التمسح بالقبر.

فأمَّا اليوم، فقد احترق المنبر، وما بقيت الرُّمَّانة، وإنَّما بقي من المنبر خشبة صغيرة، فقد زال ما رُخِّص فيه؛ لأنَّ الأثر المنقول عن ابن عمر وغيره إنما هو التمسُّح بمقعده».

(٤٦٤) بهامش (م): ما يعد للضيف. هـ.

(٤٦٥) هذه اللفظة ساقطة من (م).

العزيز الجبَّار، ومن حَجَّهُ ثلاث حِجَج حَرَّمه الله على النار[٤٦٦].

واجتهِد في تقديس مشاهده، وإقامة شعائر مساجده، وتعهُّد معالمه ومعاهده، وتطهير مَوَاقِفِه ومَعائدِه، وتشريف أماكِنِه المكِينَة، وتمجيد مواطِنِه من مكَّة والمدينة.

حُثَّ المسير إلى نحو الحجاز ولا ... تقف وسلِّم على عُرب بذي سَلَم
وانزل بمكة خير الأرض مُقتفياً ... آثار أقدامِ سرّ الكون في القِدَمِ[٤٦٧]
واجنح لكعبتها والمَروتين بها ... والعَرف من عرفات موقف الأُمَم
والحِجر والحَجر السَّامي وخَيف مِنى ... وكُلِّ[٤٦٨] موضعِ نُسُكٍ حَلَّ في الحَرَم

أكرم بها مواطن عَمُرت بالوحي والتَّنزيل، وزَهَرت ربُوعُها بتَرداد جبريل وميكائيل، وعَلَت بهُبوط الملائكة وعرُوجها، وسَمَت بقمرها الطَّالع في أفلاك برُوجها، وتنسَّمت بالتِّلاوة نفحاتُ أسحارها، وتبسَّمت بالذِّكر ثغُورُ زُهور أشجارها، وأشرقت بالتَّكبير والتَّهليل سماؤُها، وتأرَّجت بالتَّسبيح والتَّقديس أرجاؤُها، وضَمَّ رُغامُها[٤٦٩] أعضاء سيِّد البشر، وانتشر عنها من دين الله ورسُوله ما انتشر.

ويا لها مدارس آيات، ومراكز رايات، ومساجد صلوات، ومشاهد خَلَوَات، ومنازل البركات الوافرة، ومحاطُّ[٤٧٠] المعجزات الباهرة، ومنشأ السِّراج المنير، ودار هجرة البشير النذير، ومَهبأ غَيث الرِّسالة، وموطن مُوضِح الدِّلالة، ومطلع فجر النُّبوَّة، ومعدن الفتوى والفُتُوَّة، ومناسك الحُجَّاج والمُعتمِرين، ومَحطُّ رِحال الآمرين المؤتمَرين.

---

(٤٦٦) من قوله: «ومن...» إلى هنا ساقط من (م). والحديث المشار إليه، لم أقف عليه.

(٤٦٧) وهذا غلو فاحش؛ لعلَّ مستنده فيه الخبر الموضوع: «لولاك ما خلقت الأفلاك». انظر: «الضعيفة» (٢٨٢).

(٤٦٨) في (م): وكما.

(٤٦٩) بهامش (م): أي: ترابها. اهـ.

(٤٧٠) بهامش (م): لعله: ومحال؛ جمع محل بالفتح فيها، لئلا يتكرر مع قوله: ومحط الآتي قريباً. هـ.
قلت: وفي الأصل كما هنا (ومحاط).

فجديرٌ بها أن تُحترم جُدرانُها، وتُستلم أركانُها[٤٧١]، ويُرفع مقامُها، وتُنشر أعلامُها، ويحمى حماها، ويُرعى ماؤها ومرعَاها، ويُشتاف عَرف روضتها[٤٧٢]، وتُعَفَّرُ الوَجنَاتُ في جَنَّاتِ تُربَتِها.

طوبى لمن يأتي بمكَّة لائذاً ... بمشاعرَ جَلَّت عن الأوصاف
ويُعظِّمُ البيت العتيق مجدِّداً ... فيه بُرُود السَّعي والتَّطوَاف
ويَسير كي يَحظى بساكِنِ طَيبَة ... ويواصلُ الأعناق بالإيجاف[٤٧٣]
ويُقبِّلُ الأحجار من حُجُرَاتها ... حُبًا لمن يرتاح للأضياف
أعني رسولَ الله كشَّاف العَنا ... ذا العُذر والإحسان[٤٧٤]والإنصاف
صلى عليه الله ما سَقَت الثَّرى ... عينُ الغَمَام بدمعها الوَكَّاف

(٤٧١) الصَّواب استلام الركنين اليمانيان، لأنهما من الكعبة، أمَّا الشاميان، فلا؛ وقد أخرج: أحمد (٣١٣)، وغيره بسندٍ جيدٍ: عن يعلى بن أمية قال: «طفت مع عمر بن الخطاب، فاستلم الرُّكن. قال يعلى: فكنت مما يلي البيت، فلما بلغت الركن الغربي الذي يلي الأسود، جررت بيده ليستلم؛ فقال: ما شأنك؟ فقلت: ألا تستلم؟ قال: ألم تطف مع رسول الله ﷺ؟ فقلت: بلى! فقال: أفرأيته يستلم هذين الركنين الغربيين؟ قال: فقلت: لا! قال: أفليس لك فيه أسوة حسنة؟ قال: قلت: بلى! قال: فانفُذ عنك!».

(٤٧٢) في (م): روضها.

(٤٧٣) بهامش (م): نوع من السير. اهـ.

(٤٧٤) بهامش (م): والعذر ذا الإحسان.

٣٠ - فصل: في الصلاة عليه ووجوبها وفضيلتها

الصَّلاة على رسول الله ﷺ واجبة في الجملة، فليأت بها من آمن به واتخذه للهداية قِبلَه، وليُكثر في غالب أوقاته منها، وليُواظب عليها ولا يغفل عنها، خصُوصاً يوم الجمعة من كُلِّ أسبوع، فقد ورد الأمر به عن أوس في حديثه المرفوع، ومن العلماء من أوجبها في الصَّلاه، ومنهم من استحبَّها فيها على ما رآه[٤٧٥].

---

(٤٧٥) قلت: تصويب مذهب الوجوب لا محيد عنه؛ لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦]، ولما رواه أبو داود (٩٨١)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٧٧)، وغيرهما بسندٍ حسنٍ عن أبي مسعود البدري قال: «أقبل رجل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ونحن عنده؛ فقال: يا رسول الله، أمَّا السَّلام فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا؟...».
قال القرطبي في «تفسيره» (١٤/٢٣٦): «فعُلم الصلاةُ ووَقتُها، فتعيَّنت كيفيةً ووقتاً».
وثبت عن فضالة بن عبيد قال: «سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته؛ لم يحمد الله، ولم يصل على النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: عجل هذا! ثم دعاه، فقال له: إذا صلى أحدكم؛ فليبدأ بتحميد الله، والثَّناء عليه، ثم ليُصلِّ على النبي ﷺ، ثم ليدعُ بعد بما شاء». رواه: أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، وقال: حسنٌ صحيحٌ.
وروى الترمذي (٤٨٦) بسندٍ حسنٍ عن عمر بن الخطاب قال: «إنَّ الدُّعاء موقوفٌ بين السَّماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تُصلِّيَ على نبيك ﷺ».
قال ابن العربي: «ومثل هذا لا يقال من قِبَل الرأي، فيكون له حكم الرَّفع».
قال الحافظ في «الفتح» (١١/١٦٣): «أخرج البيهقي في «الخلافيات» بسند قوي عن الشعبي - وهو من كبار التابعين - قال: «من لم يصل على النبي ﷺ في التشهد فليعد صلاته».
وأخرج الطبري بسندٍ صحيحٍ: عن مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير - وهو من كبار التابعين - قال: كُنَّا نُعلَّم التَّشهُّد، فإذا قال: وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ يحمد ربه، ويُثني عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل حاجته»».
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/٥١٠): «قد روينا وجوب ذلك، والأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة، كما هو ظاهر الآية، ومُفسَّرٌ بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة؛ منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدري وجابر بن عبد الله، ومن التابعين الشعبي =

ومن سأل الله شيئاً فليبدأ بحمده والثَّناء عليه، ثم ليصلي على من تحرَّك السَّاكن ونطق الصَّامت بين يديه، فهو أجدر بنُجح المقَال، وأحرى بالإجابة للسُّؤال، والدُّعاء بين الصَّلاتين عليه لا يُرد، ولا يُطرد عن باب القبُول ولا يُصد، وما من دعاء إلاَّ وهو دون السَّماء محجوب، فإذا اقترن بالصَّلاة عليه صعَد وسعِد بالمطلوب.

ومواطن الصَّلاة عليه عند ذكره، وحين سماع اسمه وحديثه النَّامي دُرّ بحره، وفي الأواخر من الكتب بعد الأوائل، وكذا الأذان ودخول المسجد وفي الرَّسائل[٤٧٦]، وفي تشهُّد[٤٧٧] الصَّلوات وعلى الجنائز، والمُكثِر من الصلاة عليه بالقِدْح المُعَلَّى فائز، فرَغِم أنفُ امرئ لم يصلِّ عليه إذا ذُكِر عنده، وحَسْبُ المُصلِّي عليه أنَّ الملائكة تَستَغفرُ له وتَشكُر قَصدَه.

صلُّوا على خير الورى تُفلحُوا — في هذه الدُّنيا وفي الآخره
واستكثرُوا منها تَنَالُوا البقا — في جنَّة روضَاتُها ناضره
ربُّ العلى صلَّى عليه كما — قد جاء في آياته الباهره
والأمر معروفٌ بها ظاهرٌ — والعَرف منها ريحُه عَاطِره

ومن صلَّى عليه صلاةً صلَّى الله [عليه][٤٧٨] عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات، وكتب له عشر حسنات، وصلَّت عليه الملائكة الكرام، ومن سلَّم عليه حَيَّاه السَّلام بالسَّلام. ومن أكثر من الصَّلاة عليه كفي وغُفر

=

وجعفر الباقر ومقاتل بن حيان.

وإليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً، وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي به، وبه قال إسحاق بن راهويه، والفقيه الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المَوَّاز المالكي رحمهم الله».

انظر: «الأم» (١/١١٧)، و«المغني» (١/٣١٨)، و«مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٠٨)، و«سبل السلام» (١/١٩٣)، و«نيل الأوطار» (٢/٣٢١).

(٤٧٦) في (م): والأبكار والأصائل.

(٤٧٧) في (م): مشهد.

(٤٧٨) مثبتة من (م).

ذنبُه، ونجا يوم الآزفة وكَرَّ عنه كربُه[٤٧٩]، ومن صَلَّى عليه في كتاب، فَازَ بجزيل الثَّواب، ولم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمُه في ذلك الكتاب[٤٨٠].

ومن سلَّم عليه عشراً فكأنَّما أعتق رقبه[٤٨١]، والصَّلاة عليه تمحو ما أسلفه المصلي من الذُّنوب واكتسبه، والمُكثِر من الصَّلاة عليه أولى النَّاس به يوم القيامة، وما من أحد يسلم عليه إلاَّ ردَّ الله رُوحَه حتى يَرُدَّ سَلامَه. ومن صلَّى عليه عند قبره الكريم سمِعه[٤٨٢]، والسَّلام عليه يُؤتى به في كُلِّ جُمعه، ولله ملائكة سيَّاحُون تُبلِّغُه السَّلام عن أُمَّته، واليومُ الأزهر وليلتُه الزَّهراء يُؤدِّيان إليه صلاة [وسلام][٤٨٣] أهل مِلَّتِه[٤٨٤]، فأكثر من الصَّلاة عليه فإنَّها عليك مفروضة، وصلِّ عليه حيثُما كنت فإنَّ

---

(٤٧٩) في (م): ومن أكثر من الصَّلاة عليه وعظَّم قربه، كفي وعن حديثه ويحمل يوم الآزفة وكَرَّ عنه كربُه.

(٤٨٠) رواه: الطبراني في «الأوسط» (١٨٣٥) من طريق: إسحاق بن وهب العَلاَّف: حدثنا بِشر بن عبيد الله الدَّارسي: حدثنا ابن يزيد بن عياض: عن الأعرج: عن أبي هريرة رفعه: «من صلى علي في كتاب، لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب».
قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد؛ تفرَّد به إسحاق.
قلت: هو ثقةٌ؛ والتَّبعة على شيخه الدَّارسي؛ كذبه الأزدي، وقال ابن عدي: منكر الحديث عن الأئمة.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥١٧/٣): ليس هذا الحديث بصحيحٍ من وجوهٍ كثيرةٍ.
وانظر: «الضعيفة» (٣٣١٦).

(٤٨١) لم أقف عليه.

(٤٨٢) رواه: العقيلي (١٣٦/٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٩١/٣) من طرق: عن محمد بن مروان السدي: عن الأعمش: عن أبي صالح: عن أبي هريرة رفعه: «من صلى عَليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عَلَيَّ نائياً أُبلِغته».
قال العقيلي: لا أصل له من حديث الأعمش، وليس بمحفوظ، ولا يتابعه إلاَّ من هو دونه. يعني: السدي.
وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٥١٦/٣): في إسناده نظرٌ؛ تفرَّد به محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروكٌ.
انظر: «الضعيفة» (٢٠٣)، و«المجموع» (٢٤١/٢٧).

(٤٨٣) مثبتة من (م).

(٤٨٤) في (م): محبته.
رواه: الطبراني في «الأوسط» (٢٤١) من طريق: عبد المنعم بن بشير الأنصاري: حدثنا أبو =

صَلاتَك عليه معرُوضة، والبخيل من ذكِر عنده فلم يُصلِّ عليه صلى الله عليه، وأنزله المَنزِل المُقَرَّب لديه.

إذا أنـت أكثـرت الـصَّلاة علـى الَّـذي ... هَـداك إلـى الإسـلام فُـزت بقُـربه
وكُـنتَ بـه أولـى مـن الـنَّاس كُلِّهـم ... ونِلـتَ ثـواباً وافـراً عـند ربِّـه
فـصلِّ علـيه ثُـمَّ ثَـنِّ بآلـه ... أولي الفضل والتَّقوى وثَلِّث بصَحبه
وسَـلِّم علـيهم والـسَّلامُ مـن الفتـى ... يُـؤدِّي إلـى غُفـران سـائر ذنـبه

اللَّهم أفضل صلواتك وأكمل تحيَّاتك وبركاتك على محمَّد أمينك المأمون، وشادِن(٤٨٥) علمك المخزون، وشهيدك يوم المحشر، ورسولك إلى الأسود والأحمر، الصَّادق فيما نطق، والخاتم لما سبق، والهادي من الأضاليل، والدَّامغ رؤس الأباطيل(٤٨٦)، الذي كان حافظاً لعهودك، واقفاً عند حدُودك، قاضياً بأحكام وحيك، ماضياً على إنفاذ أمرك ونهيك، حتى أورى القَبَس، ومحا آية الغَلَس، وأوضح الأعلام، ومهَّد قواعد الإسلام.

اللَّهُمَّ آته الوسيلة والفضيلة، وأَنِلهُ الدَّرجة العالية الجليلة، وابعثه المقام المحمود، وأنجز في القيامة له الموعود، وأكرم مثواه ونُزُله، وحقِّق من فضلك العظيم أمَلَه، وصَرِّفه في المعادن من عدلك، وضاعف له الخير بمنِّك ويُمنِك، وتقبل شفاعَته الكبرى، وبلِّغه بنظرك إليه غاية البُشرى، وفجِّر له عُيُون عِنايتك

=

مودود عبد العزيز بن أبي سليمان المدني: عن محمد بن كعب القرظي: عن أبي هريرة مرفوعاً: «أكثروا الصَّلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تعرض علي».
وهذا سندٌ ضعيفٌ جِدًّا؛ عبد المُنعم هذا مُتَّهمٌ.

(٤٨٥) كذا في النسختين، من شدن الغزال فهو شَادِنٌ؛ إذا قوي وطلع قرناه. ولعله: سادنٌ؛ أي: خادم. والله أعلم.

(٤٨٦) من قوله: «والهادي...» إلى هنا مبيض له في (م)؛ ولعل الناسخ لم يتبينه.

رواه: الطبراني في «الأوسط» (٢٤١) من طريق: عبد المنعم بن بشير الأنصاري: حدثنا أبو
مودود عبد العزيز بن أبي سليمان المدني: عن محمد بن كعب القرظي: عن أبي هريرة مرفوعاً: «أكثروا الصَّلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تعرض علي».
وهذا سندٌ ضعيفٌ جِدًّا؛ عبد المُنعم هذا مُتَّهمٌ.
شَادِنٌ إذا قوي وطلع قرناه

تفجيراً، واجعل له من لدُنك سُلطانا(٤٨٧) نصيراً.

اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد المختار، وعلى أهل بيته الأطهار، وعلى آله وأولاده وأصحابه، وعلى أزواجه وخاصَّته وأحبابه، وعلى الأنصار والأعوان، وعلى التَّابعين لهم بإحسان، صلاةً مقرونةً بالتَّسليم والتَّفضيل، مُشتمِلةً على التَّكريم والتَّشريف والتَّعظيم والتَّبجيل.

مديح في شريف صفته ﷺ (٤٨٨)

يـا خـاتِمَ الرُّسـل ويـا مـن لـه ... ظِـلٌّ علـى مـن يـرتجيه ظَلـيل
يـا مَعـدِنَ الجُـود وبحـرَ الـنَّدى ... يـا صـاحب القَـدرِ النَّبـيه النبـيل
يـا مـن إذا مـا أَمَّـهُ قَاصِـدٌ ... يَلقـاه بالـوجه الجلـيِّ الجلـيل
كـن لـي شـفيعاً فـي ذُنُوبـي فقـد ... أُلقـيتُ مـنها تحـت حِمـلٍ ثقـيل
وانظـر لحالـي واسـقِني شـربةً ... مـن حوضـك الحالـي تـروي الغلـيل
إنـي تَطَفَّلـتُ علـى مادحـي ... وصـفِ معالـيك الأَثيـرِ الأثـيل(٤٨٩)
إذا قلـتُ فـي مـدحك مـا قلـتُه ... وهـو قلـيلٌ مـن كثيـرٍ جـزيل(٤٩٠)

---

(٤٨٧) في (م): وليا.
رواه: الطبراني في «الأوسط» (٢٤١) من طريق: عبد المنعم بن بشير الأنصاري: حدثنا أبو مودود عبد العزيز بن أبي سليمان المدني: عن محمد بن كعب القرظي: عن أبي هريرة مرفوعاً: «أكثروا الصَّلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تعرض علي».
وهذا سندٌ ضعيفٌ جِدًّا؛ عبد المُنعم هذا مُتَّهمٌ.
شَادِنٌ إذا قوي وطلع قرناه

(٤٨٨) قد ضمَّن المُصنِّف هذه القصيدة طلب الشَّفاعة من النبي ﷺ، وأن يسقيه من حوضه؛ وكلاهما ليس إلى النبي ﷺ، وإنما يُطلَبان من الله تعالى، فالنبي ﷺ قد اختار الرَّفيق الأعلى، فمن أراد شفاعته ﷺ، وأن يَرِد حوضه؛ فليعبد ربَّه تعالى ولا يشرك به شيئًا، فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «لكل نبي دَعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كل نبي دعوَته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة؛ فهي نائلةٌ - إن شاء الله - من مات من أمتي، لا يُشرك بالله شيئًا».

(٤٨٩) في (م): الأثير، الأثير.

(٤٩٠) هذا البيت ساقط من (م)؛ وقد أثبت مكانه البيت الآتي:
لخصته في مـدحك ما قلته ... وهـو قليل من عُبَيد ذليل

فاقبَله منِّي وأنِلنِي به — جائزةً حائزةً للجميل
فضلُك لا يحصُره واصف — إن الدَّراري حصرُها مُستَحيل
صلَّى عليك الله ربُّ العُلى — والعرشِ ما هَبَّ النَّسيمُ العليل
والحمد لله على فضله — وحسبنا الله ونعم الوكيل

نجز إملاءُ قلمِ الكاتب، وانتهى مسيرُ النَّجم الثَّاقب، بتيسير(٤٩١) من أرشد إلى المعرفة وألهم، وتوفيق من علَّم الإنسان ما لم يعلم. عليه توكَّلت وإليه أنيب، وهو المسؤول في بلوغ المأمول إنه قريبٌ مجيبٌ.

قال مؤلِّفُه - عفا الله عنه - : بدأت في إنشائه يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وفرغت منه في يوم الأحد، مستهل شوَّال(٤٩٢) من السنة المذكورة.

وكان الفراغ من تعليقه في يوم الجمعة سابع عشر [شهر ذي] الحجة الحرام، ختام شهور سنة خمس وألف بثغر دمياط، على يد أفقر عباد ربِّه الوفي، محمد بن غرس الدين الحنفي - عفا الله عنهما بمنه وكرمه - . آمين. والحمد لله رب العالمين(٤٩٣).



(٤٩١) في (م): بترشيد.

(٤٩٢) من قوله: «الأحد...» إلى هنا مبيض له في (م)؛ ولعل الناسخ لم يتبينه.

(٤٩٣) وفي (م): وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد المبارك، في (١٨) ثمانية عشر رمضان، الذي هو من شهور سنة ١٣٠٣ ثلاثة وثلاثمائة بعد الألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم. وذلك على يد كاتبه الفقير المعترف بالذنب والتقصير، راجي عفو ربه القدير: معوض سلامة؛ غفر الله له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه، ولكافة المسلمين أجمعين. آمين، آمين، آمين.
قلت: ومن العجب أن يخفى عليه يوم فراغ المؤلف من تأليفه، ويوافقه فيه.

فهرس الفوائد والموضوعات العلمية